اصوات نساء
ASWAT NISSA

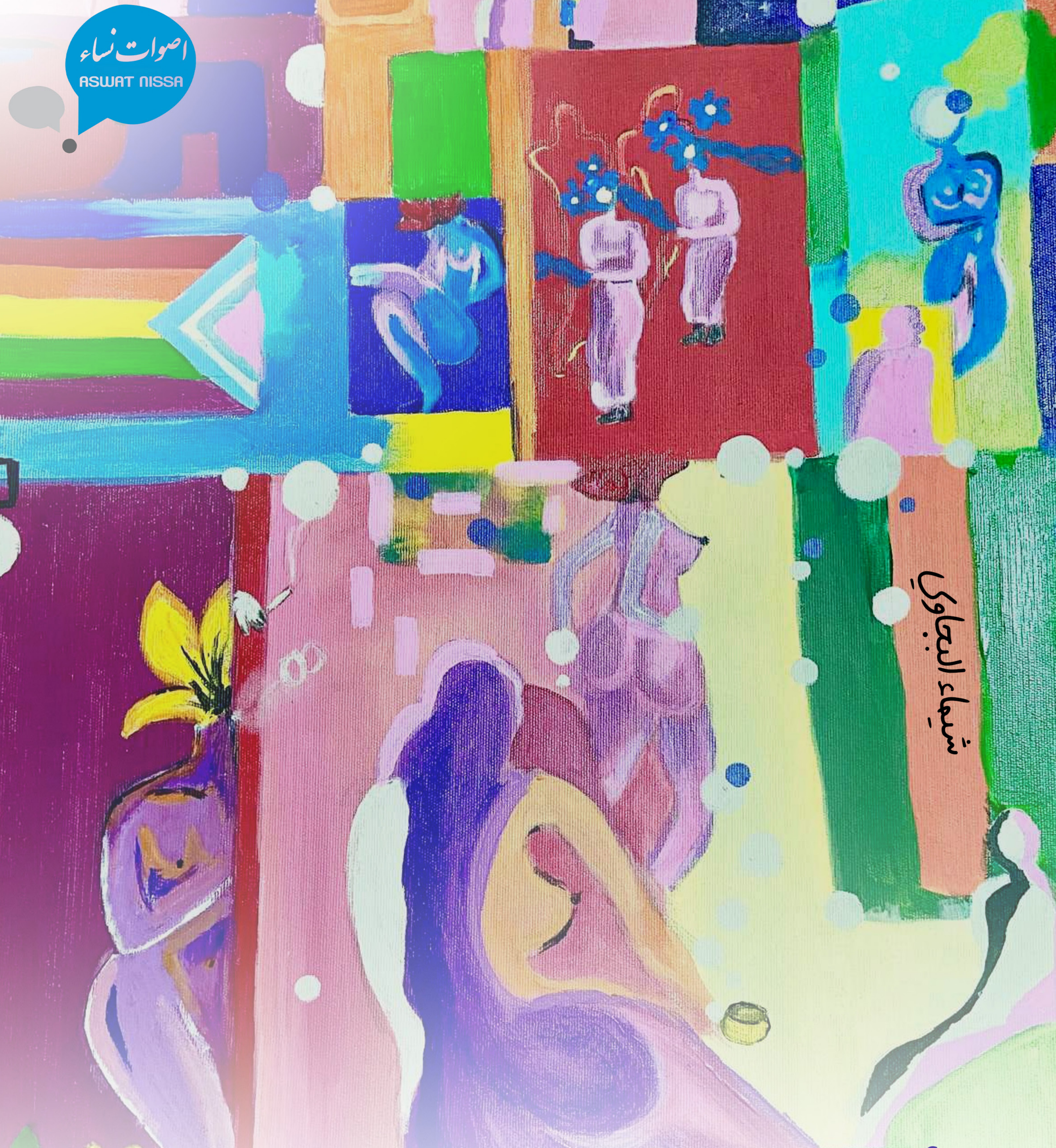

الأمكنـــة والفضـاءات النســوية ودورها في نشر ثقافة المساواة:

الممارســات الفضـلى والعراقـيل

أكتوبر 2024

فهرس المحتوى

المقدّمة:..06
- اتقديم الدراسة
أ- الإطار العامّ...09
ب- تعريف الأمكنة/الفضاءات...10
ج-تحديد المنهج المعتمد في الدراسة..11
- I I تحليل نتائج الدراسة
1- مدخل...20
أ-في التموقع...20
ب- التعريف بالنسويّة..23
2- تعدّد الأمكنة النسوية وتنوّعها..31
*-تمهيد..31
2/1 مظاهر التعدّد والتنوّع..33
2/2 المجتمع المدني وتأسيس الأمكان النسويّة...39
2/3 «رحلة» النسويات من الأماكن النسويّة المادية إلى الفضاء الرقمي...............43
2/4 الفضاء الخاصّ : مكان نسويّ بامتياز..49
2/5 الأمكنة النسويّة وعلاقتها بالشارع..50
3- نوعيّة القضايا المطروحة للنقاش داخل الأمكنة النسويّة................................51
4- وظائف الأمكان النسويّة: بـــثّ للوعـــــي النســــــــويّ ونشـــــر لثقافة الحقوق والمساواة...53
5- بعض الممارسات الفضلى السائدة في الأمكان النسويّة..............................59
6- الأمكان النسويّة: عقبات أمام ترسيخ ثقافة الحوار والعمل معا.......................66
7- أمكنة نسوية بديلة وطموحات مشتركة..70
III -الاستنتاجات الكبرى وختم الدراسة 74
*محدودية الدراسة...84
*قائمة بليوغرافية مقترحة لمزيد التعمّق..88
*ملحق1:أسئلة المقابلة...95
*ملحق 2: دليل اللقاء مع المجموعات البؤرية.......................................96
*ملحق 3: نموذج «موافقة المشاركة /ك في الدراسة»...............................97

الأمكنة والفضاءات النسوية ودورها في نشـــر ثقــــافة المســــاواة: الممارسات الفضلى والعراقيل

آمال قرامي [1]

«المكان الذي لا يؤنّث لا يعوّل عليه»

ابن عربيّ

الملخّص باللغة العربية :

قلّما يعثر المطلّع/ة على تاريخ الحركة النسويّة العربية عموما والحركة النسويّة التونسية،على وجه الخصوص على معلومات مفصّلة ودقيقة حول الأمكنة النسويّة التي تأسست: خصائصها المميّزة وهويّة الفاعلات فيها وشروط الانتماء إليها والوظائف التي اضطلعت بها في سبيل تنمية وعي النساء والشابّات بحقوقهن ونشر ثقافة الحقوق والمساواة والعدالة.

ونظرا إلى هذه الفجوة المعرفية والحاجة إلى إعادة اكتشاف هذه الأمكنة النسويّة التونسية حرصت «جمعيّة أصوات نساء» على إطلاق هذه الدراسة التي تهدف إلى رصد ملامح الأمكنة النسويّة باعتبارها فضاء للنقاش والحوار والتدريب وإنتاج معرفة وتكريس الممارسات الفضلى. وعن طريق إجراء مجموعة من المقابلات مع المناضلات والناشطات ، وعقد لقاءات مع مجموعات بؤرية من مختلف الأعمار والأيديولوجيات والانتماءات أمكن استخلاص مجموعة من النتائج الهامّة وإخضاعها للتحليل النسويّ والنقد. وليس استقصاء الخصائص المميزة للأمكنة النسوية إلاّ محاولة للتعرّف عليها وتثمين جهد الفاعلات فيها والعمل على تطويرها حتى تتحوّل إلى أمكنة تلبّي مختلف حاجات النساء والشابات وتحفّزهن على النضال من أجل حماية مكتسباتهن وانتزاع حقوق جديدة.

الكلمات المفاتيح: **النسويّة، النضال، النشاطيّة ،مكان، فضاء، ثقافة الحقوق والمساواة، الممارسات الفضلى،....**

1 أستاذة دراسات الجندر/النوع الاجتماعي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس.

Résumé en français

'Impact des espaces féministes en matière de promotion de la culture de l'égalité :
Les bonnes pratiques et les contraintes

Les militantes ont fait entendre leurs revendications dans les places publiques, dans les syndicats, dans les partis politiques et dans d'autres sphères sociales. Elles ont montré qu'elles pouvaient construire leurs espaces de réflexion, d'échange et d'organisation des mobilisations contre les discriminations et les inégalités. Bien que ces espaces jouent un rôle crucial dans la promotion de l'égalité des genres, ils n'attirent généralement pas l'attention des chercheurs (es). En effet, les recherches portant sur les mouvements des femmes en Tunisie ne montrent pas un grand intérêt à l›organisation de l›espace et du temps et n'explorent pas les espaces féministes. Cette étude s'intéresse aux espaces de dialogue féministes dites espaces de « la cause des femmes » .

Cette étude s'attache à identifier les espaces « de la cause féministe » et à mettre en lumière leur rôles et leur l'impact sur le mouvement de féminisme. Le corpus constitué s'appuie principalement sur les entretiens effectués avec des militantes et des activistes (femmes démocrates, AFTURD,Aswat nissa, Calem, Damj, ,...) ainsi que la discussion menée auprès des participantes dans des focus groups(Club genre, club féministes, activistes indépendantes...) .Il mobilise également des textes publiés par certaines féministes et membres dans des associations. Notons que les émotions représentent le matériau essentiel des échanges permettant de sortir des cadres intellectuels des discours, des idéologies et des discussions d'opinion pour entrer dans un dialogue ' « entre femmes » qui est réellement une écoute et une rencontre avec l'autre.

L'analyse les données collectées nous a permis de cerner les espaces féministes qui englobent non seulement les associations féministes, mais aussi d'autres sites de défense des droits des femmes tel que le monde académique, les groupes facebook etc. Elle nous a permis aussi d'identifier les bonnes pratiques (les modes de transmission des expériences des militantes ...)et les contraintes (les enjeux ; la difficulté de sortir de la logique de l'affrontement, particulièrement dans la confrontation générationnelle, et de s'ouvrir à un véritable dialogue. ...) qui ont un impact sur les espaces féministes.

Mots clés : **Féminisme, militantisme, activisme , espaces,les bonnes pratiques, promotion de la culture de l'égalité, ...**

*المقدّمة

من الشائع القول إنّ التونسيات لم يفعلن الكثير من أجل انتزاع حقوقهن بل إنّهن كنّ تابعات لإرادة الزعيم الحبيب بورقيبة الذي يُعزى له الفضل في تحريرهن من القيود الاجتماعية والأعراف، وفي سنّ تشريعات طوّرت مكانتهن في المجتمع. وتلتقي هذه السردية مع سردية ثانية ذات منزع استشراقي، تتعمّد حجب فاعلية النساء المسلمات مُبرّرها في ذلك أنّ التونسيات كنّ مثل سائر النساء الأخريات، حبيسات الفضاء الخاصّ، ولم يتحرّرن إلاّ بعد التمدرس والاطلاع على الثقافة الغربية والفكر الحداثي، ومنظومة القيم والحقوق الكونية.

غير أنّ القراءة التاريخية المعتمدة على مقاربة تاريخ النساء تُثبت أنّ من التونسيات فئة استطاعت الفعل في الواقع من أجل تغييره. فلئن منعت أغلب الأسر بناتها من التعليم والاختلاط وقيّدت خروجهن إلى الفضاء الخارجي فإنّ من التونسيات من نجحن في انتزاع بعض المساحات التي تُخوّل لهنّ الاضطلاع ببعض الأدوار والتفاوض مع أهاليهن. فأسّسن النوادي الأدبية في بيوتهن وجعلنها فضاء للنقاش حول مسائل ذات صلة بقضايا النساء(التعليم، الزواج القسري، خلع الحجاب...) واكتساب الوعي بالمسألة السياسية. وقد وفّرت هذه الأمكنة للنساء(كمنوبية الورتاني[2] 1924 وحبيبة المنشاري[3] 1929...) فرصة للتدرّب على إلقاء المحاضرات والتعبير عن تصوّراتهن وتعزيز ثقتهن بأنفسهن ثمّ التفاعل مع الجمهور في الفضاء العامّ. وبالإضافة إلى بعث النوادي انخرطت مجموعة من التونسيات في الجمعيات الخيرية أو الجمعيات النسائية والاتحادات كالاتحاد الإسلامي النسائي عام 1936 والاتحاد القومي النسائي التونسي 1944 [4]بينما انتمت أخريات إلى حركة المقاومة[5] 1930-1955 أو إلى الأحزاب الناشئة (الحزب الشيوعي التونسي، الحزب الاشتراكي الدستوري الحرّ 1934) أو المنظمات كالاتحاد العام للعمّال التونسيين[6] 1946 ثم الاتحاد النسائي التونسي... فكنّ بذلك حاضرات في فضاءات تخصّهن وفي فضاءات أخرى كانت تعدّ حكرا على الرجال، وتمكّن من مُعاينة مظاهر التمييز واللامساواة واللاعدالة. وقد ساهمت هذه الديناميكية في لفت انتباه التونسيات إلى أنّ أدوارهن في الفضاء العامّ هي التي ستمكنّهن من اكتساب وعي أفضل بواقع القهر والاستغلال والتسلّط، وأنّ تحرّرهن لا يمكن أن يتحقّق بمعزل عن تحرير الوطن.

غير أنّ هذه المبادرات التي تُوفّر دليلا قاطعا على فاعلية التونسيات لم تجعلهن آنذاك قادرات على مواجهة المجتمع البطريكي والمؤسسات العاضدة له، وعلى رأسها المؤسسة الدينيّة

2 في 15 جانفي من سنة 1924، ألقت منوبية الورتاني(1958-1899) في الجمعية الثقافية الفرنسية"الترقي" التابعة للاشتراكيين محاضرة بعنوان: «مع النسوية أو ضدّها في البلدان الغربية وفي بلدان الشرق» وهي كاشفة الوجه والشعر، «وأحدث خطابها رجّة في صفوف الحاضرين لا سيما أن تجرؤ امرأة مسلمة على الوقوف أمام الجمهور ومخاطبته سافرة للمطالبة بما لا يخطر على بال مسلم... ومضت الصحف تعلق على الاجتماع فناصرت جريدة تونس الاشتراكية السيدة منوبية الورتاني ونظمت حملة للمناداة بتحرير المرأة التونسية المسلمة شارك فيها كتاب تونسيون... وهب الدستوريون القدامى المحافظون على الموروث يردون عليهم في الصحف الناطقة باللسانين العربي والفرنسي، وحثت جريدة النهضة لسان الحزب الإصلاحي الدستوريين على الاعتدال في الموقف، وكانت ردود الفعل عليها في الصحف العربية الأخرى عنيفة فألصقت بها تهمة التواطؤ مع القوى الهدامة للدين الرامية إلى الانسلاخ عن الذاتية التونسية» (أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثالثة، 1985، ص-251 252.) وقد دعمت الورتاني تأسيس المنظمات النسائية من خلال دعمها لبشيرة بن مراد لبعث الاتحاد الإسلامي النسائي سنة 1936 يمكن الرجوع إلى موسوعة النساء التونسيات مائة امرأة وامرأة الطبعة المحينة تونس 2023 ص ص 468-463.
واعتبرت إلهام المرزوقي هذا الحدث ميلادا للقضية النسوية في تونس . لمزيد الاطلاع يمكن الرجوع إلى إلهام المرزوقي، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، ترجمة آمال القرامي، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، الطبعة الأولى، سنة 2010، ص-368 369.

3 وفي 8 جانفي من سنة 1929، قدمت حبيبة المنشاري، (1961-1907)وهي كاشفة الوجه والشعر على منبر جمعية الترقي محاضرة بعنوان: «امرأة الغد المسلمة: مع الحجاب أو ضدّه؟» ودافعت عن منع تعدد الزوجات وتعليم النساء ثم شاركت سنة 1932 في المؤتمر الثاني لنساء الشرق بطهران بدعوة من الأوساط النسوية آنذاك. يمكن الرجوع إلى موسوعة النساء التونسيات مائة امرأة وامرأة الطبعة المحينة تونس 2023 ص ص 437-434.

4 يشار إلى أنّ بشيرة بن مراد هي مؤسسة أول اتحاد نسائي وطني وكانت أول من نادت بالمساواة بين المرأة والرجل في خطاب لها بالعاصمة سنة 1955 ودعت إلى تعليم النساء، وقد أسست صحيفة تونس الفتاة إلى جانب نشاطها في الاتحاد النسائي التونسي.

5 ليليا العبيدي، قاموس السيّر للمناضلات التونسيات 1961-1881، الطبعة الأولى تونس 2009، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا ووزارة شؤون المرأة والأسرة والطفولة والمسنين ، ترجمة بشير القهواجي.

6 لمزيد الاطلاع على النوادي والجمعيات والفروع النسائية يمكن الرجوع إلى إلهام المرزوقي، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، ترجمة آمال قرامي، نشر المركز الوطني للترجمة ، تونس 2010.

الزيتونيّة. ولذا كان دور بعض المصلحين ومناصري حقوق النساء والعدالة الاجتماعية(خير الدين باشا، ابن أبي الضياف، محمد السنوسي، عبد العزيز الثعالبي، الطاهر الحداد...) مهمّا في التصدّي المباشر للقوى الاجتماعية التي كانت تصرّ على عزل النساء وحرمانهن من حقوقهن ومن المشاركة في الشأن العامّ. وقد ساهم النقاش الفكري في عصر النهضة حول «المسألة النسائية»، في مصر وتونس وبلاد الشام وغيرها من البلدان، (والذي ساهمت فيه النساء) في التأثير في الرأي العامّ وتهيئته لتقبّل التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ستحدث بعد الاستقلال.

وما إن تأسست الدولة الوطنية حتى بدأ التأريخ للحركة الوطنية، ولكن من منظور ذكوريّ إذ حجبت الرواية الرسميّة والسرديات التاريخية المنحازة للرجال مشاركة النساء في الحقب التاريخية التي سبقت الاستقلال.[7] فما كان على الأجيال الجديدة من الدارسات إلاّ البحث عن آثار التونسيات وأرشفة جزء من تاريخهن لإبراز مختلف الأدوار التي نهضت بها هؤلاء[8] وتحليل خطاباتهن وتصوراتهن للتحرّر والتغيير الاجتماعي-السياسي والمساواة والعدالة... وليس توثيق شهادات المناضلات إلاّ محاولة للتوقّف عند إرهاصات ظهور حركة نسويّة تونسيّة وفهم مسارات اكتساب الوعي بالتمييز الممارس ضدّ النساء وحرمانهن من حقوقهن، وكذلك لتبيّن حجم الآلام المُترتّبة عن الحرمان من الحقّ في التعليم والصحّة ومن الخروج إلى الفضاء العامّ. وكان لمراجعة السرديات القديمة والجهد المبذول من أجل تحقيق مرئية النساء (من طبقات وجهات ومستويات تعليمية مختلفة...) انعكاس على فهم مسار تشكّل وعي التونسيات بذواتهن وأدوارهن بعد الاستقلال ثمّ في مرحلة لاحقة، على قراءة ‹الثورة› التونسية 2011 إذ بدا من المهمّ تحليل الأحداث والخطابات والمواقف والممارسات من منظور نسويّ، يرصد التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويكشف عن أشكال حضور التونسيات في مختلف الأفضية ويوضّح مسارات تطوّر وعيهن[9].

ويمكن إدراج هذه القراءات النسوية في إطار تثمين المسار التراكمي للنضال النسائيّ/النسويّ من جهة، وتفنيد مزاعم الباحثين/ات الذين اعتبروا»خروج› النساء أثناء الثورات وبعدها حدثا استثنائيا وملفتا للنظر، من جهة أخرى. وليس الإصرار على التعتيم على المشاركة النسائيّة وربط الفاعلية بما وفّرته الثورة الرقمية من أدوات تواصل ومعرفة إلاّ علامة على رؤية تقليديّة تحافظ على الثنائية المتضادة بين الفضاء الخاصّ /الفضاء العامّ، وتتجاهل قنوات المرور التي تؤسس للنشاطية(activisme) البَينِية.

فبالرجوع إلى مشاركة التونسيات في الثورة / الاحتجاجات/النضال نتبيّن أنّ هذه الفاعلية كانت متفاوتة من امرأة إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى ومن فضاء جغرافي إلى آخر وأنّها اتسمت بالتنوّع واللاتجانس.[10] كما أنّنا نلحظ وجود متخيّل جمعيّ مشترك حفّز أغلب التونسيات

---

7 LES AVANCÉES FÉMINISTES AU MAGHREB : UN BILAN EN DEMI-TEINTE ENTRETIEN DE SOPHIE BESSIS AVEC NICOLE G. ALBERT ; Diogène n° 267-268, juillet-décembre 2019.

Azza Ghanmi (1993), «quand on veut aborder l›histoire du mouvement féministe tunisien, on se heurte à une douloureuse évidence: il n›y a pas de discours du mouvement sur lui-même. Il existe [seulement] quelques témoignages portant sur telle ou telle période, sur tel ou tel aspect particulier de l›itinéraire».p12.

من المؤلم حسب عزة غانمي، أنّنا لا نجد خطابا أنجزته المناضلات بأقلامهن، عن تاريخ الحركة النسوية غاية ما هناك بعض الشهادات المتعلقة بفترة تاريخية ما أو بملمح خاص لهذا المسار.

8 نشير إلى كتابات ليليا العبيدي ودرة محفوظ وعزّة غانمي وإلهام المرزوقي وأخريات. ولمزيد الاطلاع يمكن الرجوع إلى ملحق الأدبيات الخاصة بالموضوع.

Lilia Labidi, Discours féministe et fait islamiste en Tunisie ;Dans Confluences Méditerranée 2006/4 (N°59), pages 133 à 145 ;

Dorra Mahfoudh et Amel Mahfoudh (2014). « Mobilisations des femmes et mouvement féministe en Tunisie ». Nouvelles Questions Féministes, 33 (2), 14 - 33.

9 Amel Mahfoudh, Féministes militantes en Tunisie Les chemins de la transmission ; Dans Nouvelles Questions Féministes 2022/2 (Vol. 41), pages 159 à 163.

10 Abir Kréfa, Les rapports de genre au cœur de la revolution, Dans Pouvoirs 2016/1 (N° 156), pages 119 à 136. « Diplômées chômeuses, ouvrières, paysannes, étudiantes, artistes, prostituées, magistrates et avocates, blogueuses, mères de « blessés et martyrs », féministes, syndicalistes, antiracistes, femmes niqabées, militantes LBT (lesbiennes,

على الدفاع عن الحقّ في امتلاك الفضاء العمومي، وبناء علاقات متنوّعة مع الساحات العامّة ومقرّات السلطة، والشوارع الرئيسية ذات الرمزية المهمّة وغيرها. وشكّلت الأمكنة التي وفّرتها مختلف مكونات المجتمع المدني، وخاصّة الجمعيات النسويّة والنسائيّة فرصة لاكتشاف الذات وممارسة المجتمعية(la sociabilité) والمواطنية وتنمية القدرات وإعادة النظر في منزلة النساء وأدوارهنّ في المجتمع.

وبالرغم من الأدوار المتنوّعة التي اضطلعت بها النوادي الثقافية والخاصّة ومقرّات الجمعيات والمنظمات غير الحكومية والجامعات وبعض المؤسسات وغيرها من الأمكنة[11] فإنّها لم تستأثر باهتمام الدارسين/ات، وهنا نستحضر تساؤلا كانت ‹سكينة بوراوي› قد طرحته من قبل، حين قالت: «هل هناك مخطط تفصيلي لتجميع بيانات حول كيفيّة استثمار النساء لمساحات التحرّر كالأندية الثقافية؟»[12]

غير أنّ هذا السؤال لم يكن محفّزا للباحثات/ين لتنفيذ هذا المشروع وظلّت الإشارات إلى مقرّات الجمعيات حيث اللقاء والعمل وممارسة النقاش والتخطيط للنضال... مبثوثة في بعض الدراسات[13] والبحوث والمقالات، وغير كافية لدراسة علاقة النساء والشابّات بمختلف الأمكنة وتبيّن دورها في نشر ثقافة المساواة والدفاع عن حقوق النساء وانتزاع مجموعة من المكاسب.

ونظرا إلى هذه الفجوة المعرفية بدا من الضروري والمشروع طرح مجموعة من الأسئلة على فئة من التونسيات اللواتي انخرطن في النضال من أجل الدفاع عن حقوقهن وإحداث التغيير السياسي والمجتمعي في حقب تاريخية متعدّدة: فما هو تعريف النسويات اليوم، للأماكن/ الفضاءات التي احتضنت نشاطيتهن؟ وكيف أثّرت في بناء هوياتهن وتشكيل وعيهن وتكوينهن، ونشاطيتهن وحيواتهن؟ وما هي نوعيّة العلاقات التي نشأت بينهن وبين الأمكنة والأفضية؟ وما هو تمثل النسويات للأمكنة وفق الجندر والسنّ والطبقة...؟ ثمّ ما الدلالات التي تضفيها النسويات على أمكنة النضال؟ وكيف ساهمت الأمكنة التي أسّستها النسويات في الدفاع عن

---

bisexuelles et transsexuelles) ont investi différemment l'usine, la rue, Internet et les places publiques, les administrations ainsi que les institutions « transitoires » et élues. Engagées dans des combats menés pour des revendications sectorielles, pour l'égalité entre les sexes, contre les structures de l'ancien parti hégémonique ou les différents gouvernements, à travers des actions collectives mixtes ou non mixtes, elles ont défié des policiers, des patrons, d'autres acteurs protestataires et - faits passés plus inaperçus - des époux et des parents``. 119.

11 نشير في هذا السياق إلى أن أغلب الدراسات العربية اعتبرت مفهوم الفضاء Spaceg Espace عاما شموليا فلغوياً الفضاء : « يعني المكان الواسع « و» الاتساع والانتهاء» وله دلالة متصلة بالخواء والفراغ ، وهو عند الفيلسوف ابن سينا يساوي الخلاء وقد ارتبط الفضاء بالعلوم الصحيحة كالرياضيات والفيزيا وعلم الفضاء وغيرها.
أما المكان فهو جزء ومكون من الفضاء ويتحدد من خلال البعد المادي والحيز الجغرافي وله صلة بالمكانة والمنزلة Statut.
وقد نحى الاستعمال العربي، في الغالب، إلى الجمع بين المصطلحين وتحميلهما نفس الدلالة. فنتحدث عن الفضاء التخيلي والفضاء الروائي والفضاء الوجداني والفضاءالمسرحي...
ونجد منذ ال80 وال90 اهتماما كبيرا في الأوساط الانتربولوجية والسوسيولوجية بالفضاء الاجتماعي والممارسات المتعلقة به فضلا عن الجغرافيين وداراسات الجندر اللواتي اهتممن بالزوج : الفضاء الخاص/الفضاء العامّ.
وقد آثرنا استعمال الأمكنة إجرائيا للدلالة على مقرات الجمعيات وأماكن النشاط وغيرها واستعمال الفضاء عندما يتعلق الأمر بالنشاطية الرقمية باعتبار أنّ الشابات يؤمنّ بأنّ الفضاء الرقمي هو امتداد للفضاء العام.

12 BOURAOUI, Soukaïna, Ordre masculin et fait féminin In : Tunisie au présent : Une modernité au-dessus de tout soupçon ? [en ligne]. Aix-enProvence : Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1987 (généré le 02 janvier 2024). Disponible sur Internet : . ISBN : 9782271081278. DOI : https://doi.org/10.4000/books.iremam.2573

13 تطرقت إلهام المرزوقي في كتابها، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، ترجمة آمال قرامي، نشر المركز الوطني للترجمة ، تونس 2010 في عدة مواضع إلى الأنشطة التي كانت تعقد في مقرات الأحزاب والمنظمات والجمعيات. تقول نبيهة بن ميلاد متحدثة عن المقاربة التي اعتمدتها المنخرطات في الاتحاد النسائي التونسي إزاء الفئات الشعبية: «اجتماعات المكتب كانت تدور في المقرات الرسمية، وكانت كل الاجتماعات القطاعية تعقد في بيوت النساء انفسهن. وكانت ميزة هذا الأمر أنّه لا يخضعهن لصرامة الهياكل الجامدة، ولا يشعرهن بالغربة، بل على العكس من ذلك يشعرهن بالراحة ويسهل اندماجهن».صص 175-174.
وأشارت آمال محفوظ، بدورها، إلى دور بعض المقرات التابعة للأحزاب والاتحاد ونادي الطاهر الحداد ثمّ الجمعيات النسوية في منح النساء القدرة على التنقل والفاعلية ...
Amel Mahfoudh, Féministes militantes en Tunisie Les chemins de la transmission ; Dans Nouvelles Questions Féministes 2022/2 (Vol. 41), pages 159 à 163.

حقوق النساء وترسيخ ثقافة المساواة الجندرية والعدالة الاجتماعية؟
تجد هذه الأسئلة ما يبرّرها بعد «الثورات العربية» والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عاشتها عدة مجتمعات وأدّت إلى تحقيق مرئية نساء وشابّات مختلفات، ولفت الانتباه إلى فاعليتهن في الفضاءات العامّة. كما أنّها كشفت عن مدى حرصهن على إعادة النظر في أدوات النضال وفي مسائل تتصل بالمواطنة والحرّيات الفردية والعدالة الاجتماعية وطرائق الفعل في الواقع[14]. ويمكن القول إنّ التضييق على تحركات المجتمع المدني بعد 25 جويلية 2021 أعاد إلى الواجهة النقاش حول علاقة النشاطية بالفضاء العامّ، والإمكانات المتاحة أمام الجمعيات النسويّة، اليوم، حتى تواجه مختلف بنى الاضطهاد المتشابكة وعلاقات الهيمنة وتواصل نضالها من أجل انتزاع مجموعة من الحقوق وتغيير الواقع.

I- تقديم الدراسة

أ-الإطار العامّ

تندرج هذه الدراسة في إطار حرص جمعيّة أصوات نساء، وهي جمعيّة نسوية غير حكومية، على تشجيع النساء والشابّات على المشاركة في الشأن العامّ وتعزيز قدراتهن القيادية ونشر ثقافة المساواة الجندرية والدفاع عن حقوق الإنسان للنساء.

وتهدف الدراسة إلى: أوّلا تحديد ملامح الأمكنة النسوية ورصد دورها في تشكيل وعي النساء والشابّات بضرورة الدفاع عن حقوقهن وتغيير الواقع، وذلك من خلال نشر ثقافة المساواة والعدالة، وثانيا: تحديد الممارسات الفضلى السائدة في الأمكنة النسوية، وثالثا: الوقوف عند العقبات والممارسات السلبية التي تحول دون حسن استغلال هذه الأمكنة والفضاءات لفائدة تطوير عمل الجمعيات النسوية والحركة النسويّة التونسية. يُضاف إلى كلّ هذه المحاور تحديد تطلعات الشابّات والنساء وتصوراتهن للأمكنة الأكثر تعبيرا عن احتياجاتهن وطموحاتهن. وهنا يلتقي المكان/الفضاء بالجندر والأفق (Space,Place,Gender&Horizon))

ونظرا إلى الحيّز الزمنيّ المحدود(من 18 نوفمبر2023 إلى31جانفي2024) فإنّه ما كان بالإمكان إنجاز دراسة تمسح كلّ الأمكنة النسويّة في البلاد التونسيّة من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، وتتجاوز النساء والشابّات لتعبّر عن تصوّرات الرجال والشبّان وأصحاب/ات الهويّات اللامعياريّة فذاك مشروع ضخم يتطلّب فرق بحث وفترة زمنيّة طويلة وميزانية كبرى. ولذا فإنّ جلّ ما نطمح إليه، من وراء هذه الدراسة، هو التفكير معا في ملامح الأمكنة/الأفضية النسويّة المختلفة وفتح النقاش حول سبل تطوير الممارسات الفضلى وتثمينها، وترسيخ تقاليد العمل معا من أجل الحدّ من الممارسات السلبية وتحسين أداء الجمعيات النسويّة لاسيما في هذا السياق الخاصّ، الذي يقتضي وحدة الصفّ ومواجهة التحديات المطروحة على التونسيات/ين.

ويجدر التنبيه، منذ البدء، إلى أنّ الآراء الواردة في الدراسة تعبّر عن توجهات المشاركات/ين ولا تعكس وجهة نظر «جمعية أصوات نساء» أو أيّة جهة أخرى بما فيها الباحثة المكلّفة بإجراء الدراسة. وقد اقتضت الموضوعية والدقّة العلمية والمصداقية إيراد هذه الآراء دون إخضاعها «للصنصرة» وذلك احتراما للتعدديّة الفكريّة وحريّة التفكير وتحقيقا للأهداف المرسومة إذ تكمن غاية هذه الدراسة في فهم كيفيّة تشكّل الفضاءات النسويّة وتمثّل المشاركات في الدراسة، لها وطرائق تفكيرهن وعملهن ورصد الممارسات الفضلى لديهن والتوقّف عند ما يعرقل تطوير نشاطيتهن.

14 Interview by Catherine Capdeville, Interview of Sophie Bessis, deputy secretary general of FIDH: "Tunisian women are fighting for full participation in the transition"; Published March 8th, 2011 on the Égalité.

ب- تعريف الأمكنة/الفضاءات

عرّف اللغويون العرب الأمكنة بأنّها موضع السكن والإقامة والاستقرار، وسائر أوجه النشاطات والعمل وبناء العلاقات الإنسانية بمختلف أبعادها وربطوا الأماكن، في الغالب، بالغزوات والفروسية والحروب والتجارة وممارسة السلطة أو الترفيه وغيرها من الأنشطة التي ينشأ عليها الرجل. ويعكس هذا التعريف المركزية الذكورية التي تجلّت في سلطة التقعيد اللغوي، وحرص المجتمع البطريكي على»هندسة الفضاءات»[15] وفق رؤية توزّع الأماكن إلى خاصّ/عامّ وتُجندرها وتعكس في الوقت ذاته، أشكال تقسيم الأدوار وتوزيع السلطة وترسيخ التراتبية بين الجنسين وفق البنية الاجتماعية والثقافة المهيمنة.

وبالرجوع إلى بعض كتب التراث ننتبه إلى أنّ النساء ارتبطن بالداخل واقترنّ بالمنزل/البيت إذ يسأل الناس الرجل عن أهل بيته ويتحدّثون عن أدوار تقوم بها «ربّات البيوت» ...ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى الثقافة الشعبية إذ شاع سؤال: «اشنوه أحوال الدار؟» وتردّدت على ألسنة الرجال عبارات من قبيل «الدار مريضة»، «الدار غُضبانة»،»داري مُش هنا»...فلم تعد الدار/المنزل/ مجرّد أمكنة مادية محدّدة جغرافيّا وثابتة ولها وظائف اجتماعية كالحماية وتوفير المُجتمعية والدلالة على الوجاهة الاجتماعية وغيرها بل أصبحت، في المتخيّل الجمعيّ، متحرّكة ومعبّرة عن المرأة. فالدار تغضب وتتألّم وتتعب وتحتوي الرجل وتُشعره بالسكينة والاستقرار...[16] واستمرّ الربط بين المرأة /المنزل/ البيت/ الدار إلى يومنا هذا، فكانت هويّة فئة من النساء موصولة إلى «الشؤون المنزلية» وكثرت إعلانات البحث عن «العاملة المنزلية» و»مديرة المنزل» و»المربيّة المنزلية»وصار الحديث عن «خادمة البيت» و»صاحبة البيت»...

وشغل موضوع «المكان « الدارسين /ات المعاصرين فنظروا في ملامح المكان وخصائصه في الرواية والنصّ الشعري وأدب الرحلة والدراما ...وأثبت عدد من علماء النفس وعلماء الاجتماع والأنتربولوجيين والفلاسفة وغيرهم أنّ الأمكنة تُحيل على فكرة الحدود والخصوصيّة الثقافية والرموز السيميائية والروابط القويّة التي تتحوّل في بعض الحالات، إلى علاقات استلاب...

واهتمّ الجغرافيون/ات في العشرية الماضية على وجه الخصوص، بعلاقة الهندسة المعمارية، وتصميم المدن بالجندر فأثبتوا أنّ الرجال يصمّمون هندسة المدينة وفق تصوّرهم، ويفرضون على النساء التكيّف مع هذا الواقع المعقّد والامتثال للضوابط والمعايير التي يفرضها المجتمع الذكوري. ولم تفت هؤلاء الإشارة إلى أنّ العلاقة بالأمكنة تخضع للسياسة والمجتمع والثقافة السائدة وهي ذات صلة بأنظمة السلطة وعلاقات القوّة القائمة على أساس الجندر أو الطبقة أو العرق أو الإثنية ....، وهي علاقات تكشف عن أبعاد أخرى من اللامساواة واللاعدالة الجندرية تجلّت بعد طرح قضايا الهجرة وإقامة الجدران العازلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك في ولاية «ترانب» Donald Trump، وبين إسرائيل وفلسطين المحتلة.
وتطرّق المهتمون بدراسة الحركات الاجتماعية، والباحثات النسويّات و»الجندريّات› بتحليل رؤية النساء، وأصحاب/ات الهويّات اللانمطية وغيرهم/نّ من المجموعات المهمّشة للأمكنة وتحليل

15 نشير في هذا السياق إلى أن أغلب الدراسات العربية اعتبرت مفهوم الفضاء Spaceg Espace عاما شموليا فلغوياً الفضاء : « يعني المكان الواسع « المحيط و» الاتساع والانتهاء» وله دلالة متصلة بالخواء والفراغ . وهو عند الفيلسوف ابن سينا يساوي الخلاء وقد ارتبط الفضاء بالعلوم الصحيحة كالرياضيات والفيزيا وعلم الفضاء وغيرها.
أما المكان فهو جزء ومكون من الفضاء ويتحدد من خلال البعد المادي والحيز الجغرافي وله صلة بالمكانة والمنزلة.Le statut
وقد نحى الاستعمال العربي، في الغالب، إلى الجمع بين المصطلحين وتحميلهما نفس الدلالة. فنتحدث عن الفضاء التخيلي والفضاء الروائي والفضاء الوجداني والفضاءالمسرحي...
ونجد منذ ال80 وال90 اهتماما كبيرا في الأوساط الانتربولوجية والسوسيولوجية بالفضاء الاجتماعي والممارسات المتعلقة به فضلا عن الجغرافيين ودارسات الجندر اللواتي اهتممن بالزوج : الفضاء الخاص/الفضاء العامّ.
وقد آثرنا استعمال الأمكنة إجرائيا للدلالة على مقرات الجمعيات وأماكن النشاط وغيرها واستعمال الفضاء عندما يتعلق الأمر بالنشاطية الرقمية باعتبار أنّ الشابات يؤمنّ بأنّ الفضاء الرقمي هو امتداد للفضاء العام.

16 لمزيد الاطلاع يرجع إلى : محمد سعيدي،»الدار - المرأة»رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية، إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية،عدد2، 1997،ص ص 14-6.

دور الهيمنة الذكورية في تشكيل الفضاءات وفق الثنائيات المتضادة(الخاصّ/العامّ، الداخل/الخارج...) وفي حركة الأفراد ونمط عيشهم وبنيتهم/نّ النفسية ووضّحوا أنّ خصوصيّة بعض الفضاءات ترتبط بشبكة العلاقات الموسّعة والممارسات الخاصّة بكلّ جنس، والأيديولوجيات وكذلك بالمسارات التي تربط الأمكنة ببعضها البعض (Massey 1994) إلى غير ذلك من المسائل.

ونظرا إلى أنّ الممارسات اللغوية في اللسان العربي، وفي الأوساط النسويّة(لبنان، مصر،الأردن...) تميل إلى المطابقة بين الفضاءات والأماكن فقد آثرنا استعمال الأمكنة إجرائيا للدلالة على مقرّات الجمعيات وأماكن النشاط وغيرها واستعمال الفضاء عندما يتعلّق الأمر بالنشاطية الرقمية باعتبار أنّ الشابّات يؤمنّ بأنّ الفضاء الرقميّ هو امتداد للفضاء العامّ.، وملنا في بعض مواضع من الدراسة، إلى المراوحة بين استعمال الأمكنة والأفضية باعتبار أنّ العلاقة بَينية وعضوية وخاضعة للتحولات ولعلاقات التأثر والتأثير.[17]

ج-تحديد المنهج المعتمد في الدراسة

اقتضى الحرص على فهم علاقة النسويات بمختلف الأمكنة/الأفضية وتحليل كيفيّة تأثيرها في نشر ثقافة المساواة والنضال من أجل حقوق النساء إجراء عدد من المقابلات وتنظيم جلسات حوار ونقاش مع مجموعة من النساء والشابّات تتراوح أعمارهن تقريبا بين22 سنة و80 سنة. وكان اختيارنا تشريك فئات عمرية متنوّعة مقصودا حتى نرصد من خلالها، ملامح ‹جغرافية الحركة النسويّة التونسية› والتطور التاريخي الحاصل على مستوى الوعي والخطاب والمواقف واللغة وغيرها من العوامل التي توضح العلاقات القائمة بين مختلف الأجيال وتعدّد السياقات وغيرها من المسائل. ولئن أجابت بعض المشاركات بكلّ تلقائية، عن السؤال المتعلّق بتحديد السنّ فإنّ أغلبهن تغاضين عن التصريح به أو رفضن الإعلان عنه أمام المجموعة أو ذكره في الدراسة، وهو أمر يُفسّر بما ترسّخ في الأذهان من تمثّلات مرتبطة بالجندر والسنّ وبالتمييز على أساس السنّ وغيرها من العوامل.[18]

وتنضوي تحت المجموعات البؤرية شابّات ونساء يعرّفن أنفسهنّ بأنّهنّ ناشطات نسويّات، ومنهنّ منخرطات(أو كنّ) في الجمعيات النسوية «كجمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية» و»جمعيّة ‹النساء الديمقراطيات›» و›جمعيّة ‹أصوات نساء» و»جمعيّة لينا بن مهني› و»جمعيّة المواطنة والتنمية والثقافات والهجرة بالضفتين» وجمعيّة ‹كلام›، وعضوات في الديناميكية النسوية التي تأسست سنة 2021 وأخريات منتميات إلى ‹مجموعة نساء ضدّ الاستفتاء» ومبادرة مّنا Initiative MENNA أو عضوات في نادي الجندر بكليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وهنّ/م من طلبة ماجستير»النوع الثقافي والثقافة والمجتمع›» ومن المنخرطين/ت في النادي من كليات أخرى أو من مؤسسات تربوية وغيرها يُضاف إلى هؤلاء عضوات من النوادي النسويّة التي بعثتها «أصوات نساء› في بعض الكليات و»نادي الصحافة لينا بن مهني› فضلا عن الناشطات النسويات المستقلات اللواتي يرفضن العمل تحت مظلّة الجمعيات ويفضّلن التحرّك فرديّا.

ولئن ضمّت المجموعات البؤرية الأولى شابّات ونساء من»الجيل الجديد» أغلبهن عضوات ينشطن في أُطر مختلفة فإنّ المجموعة البؤرية الرابعة تكوّنت من مسؤولات في جمعيّة «أصوات نساء» وجمعيّة «كلام» ومناضلات من «جمعية النساء الديمقراطيات»(درّة محفوظ وحفيظة شقير، ونبيلة حمزة) باعتبارهنّ ينتمين إلى الديناميكية النسويّة.

---

17 LYNN A. STAEHELI and PATRICIA M. MARTIN, Spaces for Feminism in Geography, The Annals of the American Academy of Political and Social Science , Sep., 2000, Vol. 571, Feminist Views of the Social Sciences (Sep., 2000), pp. 135-150.

18 يمكن الرجوع إلى: آمال قرامي، التمييز ضدّ المسنّات وتجارب المقاومة، في عدسات جندرية، العدد1،مقالات في الجندر والسنّ، نشر دار زينب، تونس ،2022، ص ص 51-13.

المجموعات البؤرية

	عدد المشاركات-ين	السن	الصفة/ النشاط	الانتماءات الجغرافية	المكان	تاريخ النقاش
المجموعة رقم 1 ا لمنخرطات-ين في " نادي الجندر" بكلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة	19	22-48	ناشطات في عدد من الجمعيات وباحثات في الجندر، منتميات إلى نادي الجندر بكلية الآداب بمنوبة	متنوعة	كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة	18 نوفمبر 2023
المجموعة رقم 2 الناشطات المستقلات أو المنخرطات في مبادرات فايسبوكية أو جمعيات متنوعة (شمل، كلام ...)	5	25-30	ناشطات في المجتمع المدني : أيلا السلامي غفران فريجي انتصار قصارة خديجة وسيرين (ترفضان ذكر اسمهما كاملا)	---------	تونس- عن بعد	28 نوفمبر 2023
المجموعة رقم 3- المنخرطات-ين في جمعية " أصوات نساء" والنودي الجامعية التي أسستها الجمعية في كلية الحقوق بتونس / معهد الصحافة 2 اللجنة المسيّرة لأصوات نساء	8 4	22--33	سارة بن سعيد، وسنية بن ميلاد وأحمد مقدم		مقر الجمعية تونس	15 ديسمبر2023
المجموعة ال4 مجموعة الناشطات في جمعيّة كلام وجمعية النساء الديمقراطيات وجمعية أصوات نساء : الديناميكية النسوية	12	تقريبا من 70-22	فريال شرف الدين. سارة بن سعيد ،أحمد مقدمي، رحمةعيدودي، نبيلة حمزة وحفيظة شقير ودرة محفوظ. ضحى اليحياوي وأسماء صبري وهيفاء حيوني وأنس كيلاني وأميمة زغلامي...		مقر جمعية كلام	17 جانفي 2024

المقابلات

	عدد المشاركات-ين	السن	الصفة/ النشاط	الانتماءات الجغرافية	المكان	تاريخ النقاش
المنتميات إلى جمعيات	هادية جراد	80	رئيسة سابقة AFTURD		المنزه	15-12-2023
	زينب الشارني	72	النساء الديمقراطيات والنساء التونسيات للبحث حول التنمية		البحيرة	18-12-2023
	منيرة البلغوثي		النساء الديمقراطيات فرع القيروان	القيروان	عن بعد	19-12-2023
	سعيدة قراش		النساء الديمقراطيات	الجنوب	تونس	2023 12- 20
	مي العبيدي		ناشطة حقوقية ونسوية وسياسية	تونس	تونس	2023 12- 21
	كوثر عباس		جمعية النساء الديمقراطيات		عن بعد	2023 12- 22
	سلوى كنو		رئيسة سابقة AFTURD	تونس	تونس	27 ديسمبر 2023
	خوخة ماكوير		ناشط حقوقي تقاطعي		المرسى	27-12-2023
	فاطمة الزهراء اللطيفي		رئيسة جمعية دمج	من الجنوب	البحيرة	29-12-2023
	أسماء ثابت		ناشطة مستقلة	تونس	تونس	01 جانفي 2024
	درة محفوظ		النساء الديمقراطيات		المنار	9-1-2024
	حياة حليمي	57 سنة	ناشطة في جمعية تيقار	القصرين	عن بعد	20 جانفي 2024
منتميات إلى مبادرات خاصة غير مهيكلة	خولة الكسيكسي		أصوات النساء التونسيات السوداوات	من الجنوب	عن بعد	11-1-2024
	مها عبد الحميد		أصوات نساء التونسيات السوداوات			8نوفمبر-2023

الناشطات المستقلات أو المنخرطات في مبادرات فايسبوكية أو جمعيات متنوعة	ليلى منكبي	25 سنة	ناشطة مستقلة ومنسقة مشروع بمنظمة ساكداف سابقا	تونس	تونس	12 ديسمبر 2023
	منال الأسود	22 سنة	ناشطة مستقلة وصاحبة بودكاست	تونس	تونس	14 ديسمبر 2023
	آمنة الميزوني	36 سنة	ناشطة مستقلة وصاحبة مبادرة Digital Citizenship	تونس	عن بعد (تقطن بالخارج)	21 ديسمبر 2023

أمّا المقابلات فقد راعينا فيها تنوّع التجارب والخبرات والمعارف المتراكمة عبر الزمن فحاورنا أوّلا: عددا من الشخصيات التي تنتمي إلى جيل التأسيس واللواتي ترأسن بعض الجمعيات النسوية أو كُلّفن بمهامّ داخل الهيئة المديرة (هادية جراد، درّة محفوظ، زينب الشارني،...) مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء لا يحضرن في الدراسة باعتبارهن مُمثلات عن الجمعيات التي انتسبن لها بقدر ما يشاركن بوصفهنّ نساء تحمّلن مسؤوليات وناضلن، كلّ من موقعها، من أجل الحركة النسوية.

وتتنزّل محاورة الجيل المؤسّس في إطار توثيق الذاكرة النسائية وذلك من خلال عملية استرجاع الأحداث والوقائع ونُتف من النقاشات وما رسخ من أقوال في ذاكرة المشاركات. وقد دعّمنا هذه المقابلات بما توفّر من مراجع تناولت تاريخ الحركة النسوية في تونس.
ولئن تعلّقت همّتنا، في البدء، بمحاورة شخصيات نسوية كثيرة ورئيسات وعضوات في بعض الجمعيات إلاّ أنّ ظروف بعض المناضلات لم تسمح بالاستجابة لطلبنا يُضاف إلى ذلك اعتذار بعضهن بسبب ظروف عائلية أو صحيّة أو السفر أو بسبب الاهتمام بأنشطة تندرج ضمن «16 يوما لمناهضة العنف على أساس النوع الاجتماعي» أو لرفض بعضهن المشاركة في الدراسة أو بسبب تلكّؤ أخريات...

واخترنا ثانيا: محاورة مُمثلات أجيال مختلفة من اللواتي كنّ عضوات فاعلات داخل أُطر متنوّعة (سعيدة قراش، منيرة بلغوثي، كوثر عبّاس، هندة الشناوي، سارّة بن سعيد، سنية بن ميلاد، مها عبد الحميد، حياة حليمي، آمال عرباوي، ريم بالرجب، خولة الكسيكسي، هيفاء ذويب، فاطمة الزهراء اللطيفي، خوخة ماكويير...) منهنّ المنتميات إلى جمعيات(أصوات نساء، النساء الديمقراطيات، كلام، دمج...) أو حركات ك»أصوات النساء السوداوات التونسيات» و»شمل» و»فلقطنا»...

ونحن إذ نميل إلى هذا التوجّه إنّما نسعى إلى رصد أهمّ الأماكن/الأفضية في تونس الكبرى وإبراز تعدّد المرجعيات والتصوّرات وتنوّع التجارب، وتبيّن التطورات الفكرية ورؤية كلّ جيل

للآخر فضلا عن اهتمامنا بتحقيق مرئية الشابّات في الإنتاج الصادر حول «الحركة» النسوية التونسية.

ولئن اجريت المقابلات في تونس الكبرى فإنّ هذا الاختيار لا يعكس اهتماما بالمركز على حساب ‹الهامش› بل هو خيار عمليّ وواقعي يتلاءم مع الحيّز الزمني المتاح لإنجاز الدراسة. وتجدر الإشارة إلى أنّ العزم كان معقودا على توسيع دائرة المشاركات لتشمل عددا من الناشطات في الجهات ولكن لم يكن بالإمكان أن ننجز المقابلات في شهرين ونيف، وهو الوقت المخصّص لإنجاز الدراسة ولذا اقتصرنا على مشاركتين من (جمعية» تيقار: مواطنة متناصفة» بالقصرين، و»جمعيّة جسور ومواطنة «بالكاف...)قبلتا الاستجابة لطلبنا بينما اعتذرت أخريات. والواقع أنّ أغلب الشابّات وبعض المناضلات تحدّثن عن واقع النساء في «جهاتهنّ» وأنماط العلاقات السائدة وأحلام الأمّهات وغيرها من المسائل التي تعكس بعض الخصوصيات.

وبالإضافة إلى مراعاة محدّدات السنّ والمستوى التعليمي، والانتماء الأيديولوجي والفكريّ اعتمدنا محدّد الطبقة وهو ما سمح لنا بإبراز التنوّع والتعدديّة.(طبقة متوسطة في الغالب، مستوى تعليمي /جامعي/عالي، أيديولوجيا اليسار/الليبرالية/الاشتراكية...)

ولم تفتنا محاورة بعض الشخصيات التي تتميّز بالحسّ النقدي أو تعكس تنوّع وجهات النظر وتباين التصوّرات والخطابات، واختلاف المسارات والتكوين والتجارب والمرجعيات والأيديولوجيا وغيرها، لاقتناعنا بأنّ ممارسة النسويات للنقد الذاتي مهمّة وأنّ عرض الأفكار المختلفة عن السائد يُقيم الدليل على رفع الوصاية على التفكير الحرّ. فلا فئة بإمكانها ادعاء امتلاك صواب الرأي واحتكار السرديّة.

وإذا نظرنا في مشاركة بعض الطلبة الذكور في المجموعات البؤرية فإنّ الأمر يرجع إلى انتمائهم إلى ‹نادي ماجستير الجندر› أو إلى «جمعيّة أصوات نساء» أو «جمعيّة كلام». بينما تُفسّر محاورة بعض المنخرطات في الحركة الكويرية بحرصنا على حقّ هؤلاء في إبداء آرائهن وتوضيح بعض المسائل التي طرحت أثناء النقاش مع المشاركات في المجموعات البؤرية أو مع بعض الناشطات فضلا عن احترامنا لتعدّد الأصوات.

والملاحظ أنّ اللقاءات عُقدت أوّلا: بطريقة مباشرة وذلك من خلال تنظيم ورشات تفكير مع مجموعات بؤرية أو لقاءات مع بعض الشخصيات اللواتي ساهمن في تأسيس بعض الجمعيات أو منخرطات في النضال في أطر متنوّعة (الأحزاب، الاتحاد، ...)ومع ناشطات مختلفات. وتراوح زمن المقابلات واللقاءات بين ساعة ونصف وساعتين. وقد امتدت من 18-11-2023 إلى 20-1-2024.

أمّا الطريقة الثانية فقد كانت «عن بعد» باعتماد تطبيقة غوغل ميتGoogle meet نظرا إلى وجود بعض الناشطات خارج الوطن أو لكثرة التزامات بعض المشاركات أو لعسر جمع كلّ المشاركات في تاريخ موحّد ومكان يناسب الجميع إلى غير ذلك من الأسباب.

وما دمنا ندرس الأمكنة/الأفضية فإنّ الإشارة إلى الأماكن التي نُظّمت فيها اللقاءات مفيدة. فقد مثّل الفضاء الجامعي(نادي الجندر بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة) مكانا آمنا حيث ناقشت المشاركات/ون في المجموعة البؤرية عدّة مواضيع وعبّرن عن آرائهن بكلّ حرية ذلك أنّ الطريقة المعتمدة في النادي تفرض التسيير الذاتي للعضوات[19] دون تدخل مباشر من

---

19 قلّما تذكر الباحثات/ون فريق البحث المساعد على إنجار الدراسات ولكنّنا ارتأينا أن نشير إلى أنّنا عقدنا جلسة أولى بتاريخ 10 نوفمبر وأخرى بتاريخ 15 نوفمبر 2023مع باحثات (مريم أولاد شايب وخديجة السويسي بينما آثرت الثالثة عدم ذكر اسمها)يتميزن بكفاءتهن وهنّ متحصلات على ماجستير النوع الاجتماعي ولهنّ خبرة في التعامل مع جمعيات متعددة من المجتمع المدنين وشاركن في أنشطة وبحوث انجزت تحت إشرافنا. وكان الهدف من وراء ذلك، وضع دليل خاصّ بالمجموعة البؤرية وآخر بالمقابلات، وقد خضعت كلّها للتعديل، واتفقت الباحثات على توزيع الأدوار وشاركن في تسيير النقاش ونسخ المحتوى وإبداء ملاحظتهن على النتائج

الأساتذة أو بروز ممارسات تسلطية أو رقابية من أي جهة.
ولم يختلف الأمر بالنسبة إلى مقرّ»جمعية أصوات نساء»حيث كان اللقاء مع مجموعة من الطالبات والطلبة المتطوعات/ين في الجمعية والناشطات/ين في النوادي النسوية لأصوات نساء (كلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس والمعهد العالي للعلوم الانسانية بتونس وكلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بتونس ، ومعهد الصحافة وعلوم الإخبار...) وكان مقرّ جمعيّة ‹كلام› فضاء ملائما لتبادل وجهات النظر والنقاش بين المسؤولات في «جمعيّة أصوات نساء «و»جمعيّة كلام»، وبعض المنتميات إلى «جمعيّة النساء الديمقراطيات»، يُضاف إلى هذه الأمكنة اختيار بعض المناضلات والناشطات أماكن أخرى للمقابلة (المنزل، مقرّ العمل، المقهى، الفندق...).

ومهما اختلفت الأماكن (رسميّة، خاصّة، عامّة...) فإنّ تأثيرها في ظروف إجراء الدراسة يُؤخذ بعين الاعتبار، والأثر الذي تركته في ذاكرتنا لا يُستهان به. فبَين حميمية اللقاء في البيوت و›حيادية› أماكن المقابلات نشأت الثقة وتحقّقت الاستضافة فحدث التفاعل ‹الحارّ› واسترجعت الذكريات وتدفّقت مشاعر الفخر والاعتزاز والغبطة وتجاورت مع الإحساس بالإحباط والغضب والاستياء...وبين بريق الأمل الذي لمسناه في عيون البعض وترقرق دموع الأخريات ما يُحفّزنا على مزيد البحث في تاريخ الحركة النسويّة التونسية على اختلاف مشاربها وتعدّد تياراتها وكثرة الفاعلات فيها.

ولا يمكن عند الحديث عن سياق إجراء الدراسة، التغافل عن حدث أثّر في جدول إجراء المقابلات، وكان له وقع في النفوس، إذ تزامن إنجاز الدراسة مع حرب الإبادة التي لازالت تُشنّ على غزّة والقطاع وما نجم عن ذلك من شعور بالقهر والخذلان والغضب والألم، وانشغال بعض الناشطات بمناصرة الفلسطينيين/ات. ولذا حرصنا على تطعيم الدراسة بما ورد من شهادات أو مواقف أو آراء في عدد من المقالات والمؤلفات تساعدنا على مزيد التعمّق في التحليل. وكان الاستئناس ببعض المقالات التي كتبتها مناضلات ينتمين إلى ‹النسوية الأكاديمية› (ليليا العبيدي، سناء بن عاشور، حفيظة شقير، درّة محفوظ، منيرة شرّاد، خديجة العرفاوي، ...) ضروريا لاسيما بعد تعذّر محاورة أغلبهن.

ومثّل التفاعل المباشر والمحاورة الموجّهة، وأحيانا نصف الموجّهة)Berthier,2010)78 : عماد المقابلات الخاصّة التي اجريت مع بعض المناضلات والناشطات، والمادّة الأساسية للتحليل. وتضمّنت المقابلات مع المناضلات/الناشطات ومع المجموعات البؤرية الأسئلة التي ضبطت في الدليل والتي خضعت للتعديل كلّما اقتضت الحاجة، .(723 : Grawitz,1974)وقد توّزعت الأسئلة على محاور تشمل تعريف النسوية والتموقع، والنشاطية والأمكنة النسويّة، وتحديد وظائفها ودورها في نشر الثقافة الحقوقية والنسويّة والنضال من أجل المساواة والعدالة ...يُضاف إلى ذلك ذكر الممارسات الفضلى الشائعة في هذه الأمكنة والعقبات التي تحول دون تحقيق أهداف العمل النسوي. وختمنا هذه المحاور بسؤال يتعلّق بتصوّر الناشطات للأمكنة المنشودة .
وتسنّى لنا جمع المعلومات وفهم المواقف والتصورات من خلال السرد الذي قامت به المشاركات، وكذلك من خلال المحاورة[20] والتفاعل الفوريّ. كما كانت ملاحظة طرائق إبداء الرأي وكيفيّة تحليل المواقف والإجابة عن الأسئلة أثناء الحوار والنقاش الذي ساهمت فيه المشاركات في المجموعات البؤرية، مُساعدة على تبيّن طرائق الاستدلال والاحتجاج واللغة

المستخلصة. ونحن إذ نشير إلى هذه التفاصيل نثمّن الجهد المبذول ولذلك وجب إسداء الشكر لهنّ جميعا إذ كانت تجربة ساعدتنا على كسر نظام التراتبيات وما تفرضه سلطة المعرفة من ممارسات ذات صلة بالهيمنة، حتى وإن حاول المرء ضبط النفس وممارسة الرقابة الذاتية.

20 «يكشف المنظور النسوي في المقابلات المعمقة أن المقابلة هي أقرب إلى حوار بين طرفين مشاركين فيها لا محض جلسة تقوم على الأسئلة والأجوبة. فالمعلومات تتوارد بين طرفي المقابلة، مع أهمية تأكيد دور الباحثة في تلك العملية، فوظيفة الباحثة الأساسية هي الإنصات بانتباه والتركيز على تعليقات المبحوثة.» شارلين ناجي هيس ي - بايبر، مقاربات نسوية إلى المنهجيات ومناهج البحث، في شارلين ناجي هيس ي - بايير- وباتريشا لينا ليفي وآخرون، مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقًا، ترجمة: هالة كمال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص8.

المستعملة(المتلفّظ بها) وحركات الجسد ومدى شعور المتحدّثة بالراحة النفسية أو اعتمادها على اليقظة أو إصرارها على ممارسة الرقابة الشخصية لأسباب معلومة.

أمّا توظيف المنظور النسوي القائم على نفي التعارض بين العاطفة والذاتية الإنسانية والتجارب المعيشة الشخصية مع شروط البحث العلمي، فقد كان مفيدا إذ أتاح لنا إدراك دور المشاعر والأحاسيس في توجيه النقاش نحو المطلوب أو تحويل وجهته وكذلك في الإفصاح عن خيبة الأمل أو الغضب أو الفرح ...وساعدنا هذا المنظور أيضا على فهم أسباب تخفّي بعض المشاركات واختيارهن التفاعل ‹من وراء الستار› وبدون فتح الكاميرا...

ووفّرت لنا كلّ هذه الساعات من المحاورة والإصغاء مادة ثريّة للتحليل وفق المنهج النسوي[21] ،الذي يعتمد على وجهة نظر النساء كقاعدة للبحث، وينطلق من موقف يولي اهتماما لتجاربهن واحتياجاتهن وأفكارهن وتصوّراتهن حول المجتمع والحياة بهدف اكتساب رؤى أقل تحيزا للرجل أو معارف جديدة. والملاحظ أنّ البحث النسوي لا يكتفي بتحليل بنى الاضطهاد وانتقاد النظام البطريكي والهيمنة الذكورية فقط وإنّما يعمل على ممارسة النقد الذاتي فيسعى إلى تصحيح بعض المسارات وتعديل بعض المواقف والتصوّرات في ضوء ما تراكم من خبرات ومعارف وتجارب نسوية، وبعيدا عن المركزية الذكورية التي حوّلت آراء الرجال وتصوراتهم وقيمهم إلى معيار ثابت.

وبالإضافة إلى ما سبق يطمح النقد النسوي إلى تقديم معرفة بعيون النساء، همّها الأساسي تغيير المجتمع ليغدو متلائما مع تصوّر مساواتي وتشاركي وديمقراطي وإدماجي ومحقّقا للعدالة الاجتماعية على حدّ عبارة «فرازير».(Fraser2009) وتتسع مجالات التغيير لتشمل أيضا تجديد أدوات البحث النسويّ ومقارباته ومناهجه. وانطلاقا من هذا التصوّر اخترنا مقاربة تقوم على تخصيص مساحة كبرى للمشاركات في الدراسة حتى يصُغن أفكارهنّ وسردياتهنّ التي تعكس طرائق فهمهن وتجاربهن وتصوّراتهن ومشاعرهن...فلطالما اختزلت البحوث والمقابلات التقليدية أقوال النساء والشابّات، وخاصّة المهمّشات[22] وطمست أسماءهن واكتفت بوسمهم ب»»المبحوثات»»وأقامت تراتبية بين النساء ‹المثقفات» والنساء»»العاديات»». ولذلك ارتأينا ذكر أسماء المشاركات(ماعدا اللواتي آثرن حجب الإسم واستبداله بآخر من اختيارهن)بدل تحويلهن إلى مجرّد أرقام تؤثث الإحصائيات والجداول، وهو اختيار يعكس احترام جميع المشاركات على اختلاف انتماءاتهن وأعمارهن وتجاربهن، واقتناعا بحقّهن في أن يكنّ مرئيات وذواتا حاضرة في البحوث والدراسات ولا مجرد مواضيع للتحليل. وبما أنّنا على وعي بعلاقة اللغة بالسلطة والجندر فقد حرصنا على تخصيص مساحة للمشاركات حتى يعبّرن عن آرائهن بلغتهن فضمننا أقوالهن كما وردت، أي باللهجة التونسية واخترنا في بعض المواطن، إيراد الشواهد بلغة عربية مبسطة. وكانت غايتنا من وراء المزاوجة بين العامية والفصحى تنزيل الدراسة في سياق محليّ وفي فضاء المجتمعات الناطقة باللغة العربية التي هي اليوم، بحاجة ماسة إلى إنتاج معرفة محليّة بديلة توجّه للجمهور الواسع.

ولابأس أن نذكّر، في هذا السياق، بأنّ المعايير البحثية ‹العلمية›(التي وضعها الرجال) لا تسمح بأن تكون تجارب النساء المعيشة مرئية كما أنّها لا تعدّ خطاباتهن مدخلا للبحث والدراسة ومنطلقا للتوصّل إلى بناء معرفة جديدة. وبناء على هذا التصوّر لم تكترث الأكاديميا بانعكاس

21 Mies, Maria.(1983). Towards a methodology for feminist research, In G. Bowles and R. Kilen (Eds.), Theories of Women Studies, Boston: Routledge and Kegan Paul.
Ralph, D. (1988). «Researching from the Bottom: Lesson of Participatory Research for Feminists», in From the Margins to the Centre: Selected Essays in Women›s Studies Research, edited by Dawn Currie, 134-141. Saskatchewan: The Women›s Studies Research Unit, University of Saskatchewan.

22 Britta Wigginton& Michelle N Lafrance, Learning critical feminist research: A brief introduction to feminist epistemologies and methodologies, Feminism & Psychology 0(0) 2019, 1-17., Sharlene Nagy Hesse-Biber,(2011) Handbook of Feminist Research Theory and Praxis SECOND EDITION, Boston College, USA

هذه المعايير الصلبة على الواقع المعيشي للنساء، ولم تهتم بموقف «المبحوثات» من عدم ذكر أسمائهن وعدم تضمين آرائهن ومواقفهن وتصوراتهن بلغتهن . (Hare-Mustin & Marecek, 1988, 1990; Oakley, 1998; Smith, 1987, 1991; Tavris, 1993). وبناء على ذلك كثر انتقاد «المبحوثات» لطريقة التعامل معهن التي تعكس التراتبية والتمركز على الذات إذ تُمنح صاحبة المعرفة(الباحثة) سلطة ‹الشطب› و‹المحو› و‹الحذف› ومنح الصوت للمثقفات على حساب‹المبحوثات› كلّ ذلك بدعوى الالتزام بمقتضيات البحث ‹العلمي› ودواعيه وشروطه. وهنا تطرح إشكالية مدى تحرّر الباحثات النسويات أو الدارسين اللذين لهم» حساسية جندرية» من المعايير التي فرضتها «الدوكسا› Doxaالأكاديمية التي أسّسها الرجال وانطلاقهن/م في إنجاز البحوث بطريقة مختلفة وبناء المعرفة من منظور مغاير؟

ولا يمكن، في هذا السياق تجّنب الحديث عن صعوبة واجهتنا أثناء إنجاز هذه الدراسة (إلى جانب قصر الحيّز الزمني، واعتذار عدد من الناشطات أو رفضهن الاستجابة لمطلب المقابلة أو تلكؤ البعض منهنّ ...) وتتمثّل في مواقف التراجع. فقد جرت العادة أن يتحصّل الباحث/ة إمّا على وثيقة تُقدّم مسبقا للمشارك/ة ليطلّع على بنودها ويختار ما يلاؤمه/ها ويمضيها أو يعلن عن موافقته/ها من خلال التسجيل السمعي بذكر الإسم واللقب والترخيص في استعمال الشواهد في الدراسة أو الإشارة إلى الرفض الجزئي باستعمال (on /off) أو اختيار اسم بديل أو ذكر بعض الحروف إلى غير ذلك من التفاصيل التي تضمن حقوق الطرفين وتكرّس إيتيقا التعامل البحثي. ولمّا كان الحيّز الزمني المخصص للدراسة سيفا مسلّطا علينا فقد آثرنا استعمال التسجيل الصوتي فوافقت أغلب المشاركات/ين على ذكر أسمائهن وتضمين بعض أقوالهن في محتوى الدراسة من خلال تسجيل صوتي يتضمّن ذكر الإسم واللقب وعبارة أوافق على ذكر إسمي في الدراسة وتضمين بعض الشواهد فيها بينما امتنعت بعض المشاركات عن ذكر أسمائهن والاكتفاء باستعمال اسم آخر من اختيارهن أو حرفين، وقد صرحن بذلك في التسجيل الصوتي. وطالبت مُشاركتين بمدّهما بالنصّ المكتوب(transcription) فراجعتا مواقفهما وقرّرتا حذف بعض الأفكار وعدم إدراجها في الدراسة تجنّبا لردود الأفعال السلبية، وهو كما نعلم أمر معمول به.

ولكن ما هو غير مألوف أن تتراجع المُشاركة في نهاية المقابلة. فقد فوجئنا بأنّ مشاركة أسهبت في الحديث عن تجربتها في تسيير إحدى الجمعيات النسويّة ولكنّها قرّرت في آخر المقابلة، التراجع شاكرة تمكينها من فرصة «للبوح والتفريج عن النفس» وصمّمت، في النهاية، على أن لا نعتمد إلاّ النزر من أقوالها. وإزاء هذا الوضع حُقّ لنا التطرّق إلى الجانب المسكوت عنه في أغلب الدراسات والبحوث التي تعتمد المقابلات ركيزة للتحليل، ونعني بذلك المواقف التي تعترض سبيل الباحثين/ات كعدم احترام المشاركين للمواعيد، والتلكؤ، وأحيانا المقايضة فضلا عن التراجع عن الموافقة وغيرها من الممارسات. ونذهب إلى أنّ فتح النقاش حول هذا الموضوع مهمّ، وفي علاقة وطيدة بتجديد المقاربات وتطويرها وبضبط معايير البحث العلميّ التي تعكس وجهة النظر النسويّة.

وبما أنّنا أفدنا من هذه التجربة فقد ارتأينا تقديم مقترح أنموذج (الملحق1)تعتمده الدارسات المقتنعات بتجديد تقنيات البحث وطرائقه وأدواته في بحوثهنّ المستقبلية، حتّى تعكس وجهات نظرهن وخبراتهن الميدانية.

وبعيدا عن التفكّر في حيثيات البحث وصعوباته وما آثاره من إشكاليات تخصّ البحث النسويّ فإنّنا نقدّر الأثر النفسي المترتّب عن استرجاع بعض الذكريات، ونتفهّم أسباب التراجع والحذر والخوف من تبعات التعبير عن المواقف ونعتبر، في نهاية الأمر، أنّ المادّة التي أمكننا جمعها تفي بالغرض المطلوب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المنتميات إلى جيل التأسيس قدّمنّ أنفسهن على أنّهنّ «مناضلات»

بينما استعملت أغلب الشابّات، عبارة «ناشطات» باستثناء شابّتين راوحتا بين ‹ناشطات ومناضلات». وقد حافظنا على هذا التعريف إجرائيا. أمّا تواتر استعمال «مشاركات» بدل محاورات أو مبحوثات فهو اختيار يعكس التزامنا بايتيقا البحث النسوي إذ لولا استجابة أغلب من اتصلنا بهنّ لطلب مقابلة أو عقد حوار جماعي لما أمكننا إجراء هذه الدراسة وتحليل المادة المتوفّرة، ولولا التفاعل والسخاء والجرأة في التعبير والنقاش لما استطعنا تبيّن الخلفيات الثاوية وراء المواقف والقرارات والممارسات. فلهنّ/هم كلّ الشكر والامتنان لأنّهن شاركن في هذه الدراسة وكنّ أيضا شريكات في إنتاجها.

II- نتائج الدراسة والتحليل

1- مدخـــــــــــل

أ/في التموقع

قد يبدو طرح التساؤل حول التموقع Location &positionality[23] مستغربا ولكنّنا نعتقد أنّه من المهمّ أن نفهم الموقع الذي تتكلّم منه كلّ مشاركة، والتوقّف عند طريقة تعريفها لنفسها وتحديدها لموقعها الاجتماعي والفكري... ف›زينب الشارني›[24] لا تتردّد في تحديد تموقعها. فهي «مثقّفة يسارية -ديمقراطية ومناضلة نسوية» ساهمت مع رفيقاتها، في تأسيس «جمعيّة النساء الديمقراطيات» و»جمعيّة النساء التونسيّات للبحث حول التنمية». أمّا ‹هادية جراد›[25] فإنّها تؤكد على أنّ تموقعها هو مُحصّلة مسار طويل انطلق بالانخراط في الحزب الشيوعي التونسي، وهي تجربة أكسبتها وعيا سياسيا وتكوينا ‹›ومعرفة بالواقع وما تعانيه الطبقة الضعيفة من مشاكل ولكنّها سرعان ما انتبهت إلى التراتبية المركزية وضيق الأفق داخل الحزب، ومحدودية تحليل الأوضاع فقرّرت الانخراط في العمل النقابي وفي صلب نقابة التعليم الثانوي تحديدا. وقد تميّزت تلك المرحلة بمعاينة المشاكل التي تعترض سبيل المدرسة وقطاع الصحّة ورصد مظاهر التمييز لاسيما وأنّ›جراد› كانت تتحرّك من موقع المسؤولية

23 There's no enunciation without positionality. You have to position yourself somewhere in order to say anything at" all", Hall, S. (1990). Cultural, identity and Diaspora. In J. Rutherford (Ed.), Identity: Community, Culture, Difference (pp., 2-27). .London, England: Lawrence & Wishart., p18

24 عقد اللقاء المباشر مع المناضلة النسوية بتاريخ 2023-12-8

25 عقد اللقاء المباشر مع المناضلة النسوية بتاريخ2023-12-15

وإصدار القرارات ولذلك فإنّ وعيها تطوّر من خلال هياكل الحزب الشيوعي ثمّ داخل الاتحاد العام التونسي للشغل فأدركت أنّ النساء يمثّلن أقلية، وتُمارس ضدّهن أشكال من التمييز، وهو ما حثّ، حسب رأيها، مجموعة من المناضلات كعزّة غانمي وإلهام المرزوقي على التفكير في إنشاء فضاء نسائي خاصّ.

وقد ترتّب عن هذا الوعي تأسيس نادي الطاهر الحداد (1978) وتكوين لجنة المرأة العاملة في الاتحاد(1983) رغم احتراز عدد من النقابيين على هذه الفكرة. ولكنّ النساء المؤمنات بضرورة تمكين النساء من فضاء خاصّ دافعن حسب ‹هادية جراد›، عن مشروعهن بحكم أنّ الخصوصية النسائية غير محترمة في الفضاءات العامة، وأنّ من حقّ النساء دراسة أوضاعهن في مكان خاصّ بهنّ. ولعلّ ما يسترعي الانتباه في موقف النسويات آنذاك هو أوّلا: تولّد حاجة جديدة لديهنّ إذ لم تعد الواحدة تكتفي بأن تعرّف نفسها بأنّها شيوعيّة أو اشتراكيّة أو يساريّة أو نقابيّة ... بل صارت النسويّة هويّة تُضفى معنى على تجارب النساء في الحياة، وثانيا: إصرار المناضلات على أن يتمّ القطع مع التصوّر الذكوري القديم الذي كان يُلزم النساء بالخوض في مشاغلهن في الفضاء الخاصّ المنزليّ، وهي مشاغل تُعدّ في نظر المجتمع، مجرّد «ثرثرة نسائية» لا قيمة لها وكأنّ المناضلات يُثبتن، من خلال هذا الإصرار على التنظّم، أنّهن منتجات للأفكار والتصوّرات والخطابات وقادرات على التعبير عن وجهات نظرهنّ في سبل تغيير المجتمع من جهة، وتغييرعلاقتهن بالدولة وغيرها من المؤسسات، من جهة أخرى.

ويمكن القول إنّ مرحلة الانتقال من النشاط العامّ والمختلط إلى النشاط داخل إطار منظّم خاصّ بالنساء ترمز إلى وعي المُؤسِسات بضرورة توفّر مكان خاصّ بهنّ يسمح لهنّ بفهم استراتيجيات الهيمنة الذكورية وتحليل مختلف علاقات القوّة وبنى الهيمنة المنتجة للتمييز والنقاش الحرّ بعيدا عن الرقابة وآليات فرض الوصاية عليهنّ، والتحديق الذكوريّ.

وفي مقابل المناضلات اللواتي ربطن التموقع بالأحزاب والنقابة والأيديولوجيات السائدة آنذاك تُنزّل ‹درّة محفوظ› تموقعها في إطار معرفيّ. فهي ‹ناشطة مثقّفة›activiste intellectuelle› وكذلك ‹نسوية جامعية› [26] في إشارة واضحة إلى أنّ البحث والنقاش والتكوين والعمل و»›توظيف المعارف في الجامعة وفي المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية›» لا يقلّ أهميّة عن ممارسة النشاطية في الفضاء العامّ، وهو توظيف يهدف إلى» تغيير المجتمع وتحقيق الاستقرار المجتمعي››. ولا يسع المتأمّل في هذا التعريف إلاّ الإقرار بأنّ هذا التحديد يأتي بعديّا إذ لا نحسب أنّ ‹درّة محفوظ› اختارت تموقعها منذ التحاقها بالحركة النسويّة بل إنّ تمكنّها على امتداد السنوات، من مراكمة المعرفة والخبرة وتنمية شبكة العلاقات من خلال العمل مع مختلف المنظمات والمؤسسات والجمعيات واحتكاكها بنسويات أخريات، هو الذي جعلها تلحّ على البعد المعرفي-الثقافي فتكون ‹»نسويّة جامعيّة مثقفة››، وهو تموقع يرمز إلى امتلاك السلطة فكلّ معرفة هي سلطة.

وأتاح لنا السؤال التمهيدي عن التموقع أن ننتبه إلى تفرّد النسويات المناضلات فلكلّ واحدة خطاب خاصّ وطريقة في التعبير تُحيل على المرجعيّة التي تنهل منها وعلى خبرتها في الحياة. ومن هذا المنطلق لمسنا أثر التوجه الفلسفي الحقوقي بكلّ وضوح، في ردّ ‹سعيدة قراش› [27] التي كانت أميل الى تعريف نفسها بأنّها امرأة تحاول أن تكون «إنسانة جديرة بهذه الصفة... وتدخل تحت هذا، بقية المبادئ من حيث مقولة المساواة واحترام الاختلاف وحقّ الجميع في أن يعيش في عالم متوازن يعترف به ويعترف بقدراته وبحقوقه››. ولاشكّ في أنّ هذا التموقع لا يقترن بتجربة «قرّاش› الشخصية في كلية الحقوق بقدر ما يعكس التطوّر التاريخي الحاصل على مستوى المرجعيات. فهي من الجيل الذي تشبّع بالثقافة الحقوقية وصار خطابه معبّرا عن هذا التوجّه من حيث المصطلحات والمفاهيم والاستدلال وغيرها.

---

26 مقابلة مباشرة بتاريخ 2024-1-9.
27 عقد اللقاء المباشر بتاريخ2023-12-20

ونتبيّن هذا التطوّر التاريخي في تعريف ‹خوخة ماكوير›لنفسها. تقول: «أنا مناضلة وفنّانة militante artiste ولي ساق في الحراك النسوي وفي بعض المسارات اليساريّة والكويريّة... وأعتبر المدرسة الفكريّة المؤسِسة والأمّ هي النسويّة فهي التي تجذبني. وتشغلني الصراعات الفكرية النسويّة أكثر من الصراع النسويّ الكويريّ». [28]

وليس من المعهود في الخطاب النسويّ التأسيسيّ ربط النسويّة والنشاطية والنضال الحقوقي بالالتزام الفنيّ والتعبيرات الفنية الجمالية والإبداع. يكفي أن نعود إلى عمليّة تأريخ الحركات الاجتماعية لنتبيّن أشكال استبعاد هذه الفئة التي انخرطت في الحراك الاجتماعي وحلمت بتغيير المجتمع ولكنّ المناخ العام السائد آنذاك(بداية القرن العشرين وبعدها) أدان الفنانات أو همّش فعلهن في الواقع ولم يُدرجهن ضمن الفاعلات في الحركة النسويّة. وفي مقابل طمس تجارب النسويات المبدعات المنشغلات بتغيير الصور النمطية وإرباك التمثلات الاجتماعية والدينيّة والرمزيّة ومناهضة العنف واللاعدالة ...تسعى الأجيال النسوية الجديدة إلى انتزاع الاعتراف والتموقع والدفاع عن الحقّ في الاحترام والاستمتاع بالحريّات وتناضل من أجل قبول الغيرية.
لقد بدا تموقع المشاركات مُحصّلة تجارب متنوّعة أثّرت في رؤيتهن للحياة والنشاطية وفي أشكال التواصل مع الآخرين والتفاعل مع الأفكار والتصوّرات. وشكّل هذا التموقع لدى فئة من المشاركات، مسارا طويلا ومعقّدا وثريّا ساهم في صقل أذهانهن وخطاباتهن ورؤيتهن للحركة النسويّة. ف›هادية جراد› انتقلت من الحزب إلى النقابة ثمّ إلى النضال النسوي، و›سعيدة قرّاش› انطلقت من النشاطية في «جمعيّة النساء الديمقراطيات» لتخوض بعد ذلك تجربة سياسية من خلال حزب نداء تونس جعلتها في موقع صنع القرار[29]، و›هيفاء ذويب›[30] انتمت إلى «جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية «ثمّ قرّرت الخروج من الأطر المنظمة لتنشط ضمن مجموعات مستقلة، و›حياة حليمي›[31] هي اليوم، من مؤسسات جمعيّة «تيقار» وعضوة في الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان وعضوة في اللجنة المركزية للاتحاد الوطني للمرأة. ولا تختلف تجربة ‹خوخة ماكوير› عن البقية إذ انخرطت في ‹جمعيّة موجودين› في سنة 2013 ثمّ إلى› الحراك الكووري›2021 وخاضت تجربة كويرية جندرية ومواجهات ‹»على أساس الأنوثة»›. وقد نفسّر تعدّد تجارب فئة من المشاركات بالرغبة في مراكمة الخبرات وبناء المعرفة أو بعدم الرضا عن الأداء أو المعاملات والممارسات أو بتوفّر مناخ يشجّع على خوض تجارب مختلفة والدخول في معارك جديدة، وهو ما تبيّناه من خلال المشاركات في المجموعات البؤرية فأغلب الطالبات/ة يمارسون نشاطية متنوّعة (في الهلال الأحمر، النوادي الثقافية والمنظمات غير الحكومية...).

وبالرجوع إلى أهمّ إجابات المشاركات نستنتج أنّ التموقع يبدو ثابتا لدى بعضهن، وديناميكيا لدى أخريات، وقابلا للمراجعة والتعديل وفق سياقات مختلفة وبنية العلاقات، ونوعية المواقف المتخذة من قضيّة أو حدث ما أو بعد حضور الندوات بالخارج والمشاركة في بعض الشبكات البحثية الأفريقية(في السينغال أو جنوب أفريقيا وغيرها من البلدان) أو الانضمام إلى مراكز البحث. ولذا نجد من المشاركات فئة هي اليوم، بصدد مراجعة تموقعها. ف›منيرة البلغوثي›[32] كانت تعرّف نفسها بأنّها عضوة ناشطة في»جمعيّة النساء الديمقراطيات» ولكنّها لم تعد، اليوم، مقتنعة بهذا التعريف، ذلك أنّها أدركت أنّ تموقعها خارج الجمعيّة يمنحها «حريّة

---

28 عقد اللقاء المباشر بتاريخ 27-12-2024
29 ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى بشرى بلحاج حميدة التي راكمت تجربة سياسية نضالية في اطر متنوّعة
Olfa BELHASSINE, Entretien avec… Bochra Belhadj Hamida : «Les Tunisiens m'écouteraient mieux lorsque je serai indépendante» 01/07/2019
https://lapresse.tn/14780/entretien-avec-bochra-belhadj-hamida-les-tunisiens-mecouteraient-mieux-lorsque-je-serai-independante/
30 عقد اللقاء بتاريخ2023-12-8
31 عقد اللقاء عن بعد بتاريخ2024-1-20
32 عقد اللقاء عن بعد بتاريخ 2023-12-19

أكبر لممارسة النقد، وإبداء الرأي بشأن صياغة السياسات والبيانات والمواقف والقراءات المنجزة وغيرها من القضايا.» ويبرهن هذا الرأي على أنّ التموقع مرتبط بمسار تطور الوعي الذاتي وبالسياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تؤثّر في تجربة الناشطة وبقراءاتها وتفاعلها مع مختلف النسويات في تونس والخارج. وبناء على ذلك فإنّ كلّ تموقع هو قابل للمراجعة متى تغيرت السياقات.

وقد يخضع التموقع حسب فئة من المشاركات للمساءلة الذاتية وفق التطور المعرفي كالاطلاع على تيارات فكرية ونسويّة شقّت طريقها وفرضت نفسها على الساحة العالمية كنسوية الجنوب أو الديكولونيالية أو نظريات ما بعد الاستعمار.. وهذا يعني أنّ التموقع يتغيّر أيضا وفق مسار بناء المعرفة. وتوضّح›خولة الكسيكسي›[33] هذا الرأي فتقول:›› إنّني، اليوم لا أريد أن أعرّف نفسي بأنّني ‹ناشطة› لارتباط هذه الصفة بالاستعمار والمنظمات التي أطّرت طريقتنا في العمل وخطابنا... ولذا فإنّني بصدد التفكير في الصفة التي تكون أكثر انسجاما مع التفكير الديكولونيالي (la pensée décoloniale) وأكثر تعبيرا عن هوّيتنا التي طالما احتقرناها وآن أوان تثمينها».[34] وندرك من خلال هذا الموقف، كيف أثّر سياق الحرب على غزّة في مجموعة من المشاركات فجعلهن يطرحن أسئلة جوهرية لعلّ أهمّها: من نحن؟
ويدفعنا هذا الموقف إلى الانتباه إلى المعطى الجيو-سياسيّ الإقليمي أو العالمي وتأثيره في مواقف الناشطات. فقد استحضرت الشابّات، على وجه الخصوص، حرب الإبادة على غزّة وجعلنه قادحا لإعادة النظر في مجموعة من المصطلحات والمفاهيم والنظريات. بل إنّ تعريف الواحدة نفسها بأنّها»ناشطة حقوقية أو نسوية» لم يعد مُعبّرا عن تصوّر مشترك لمفهوم الحقوق والفكر النسويّ حسب ‹خولة الكسيكسي›. وعلى هذا الأساس حُقّ التساؤل عن مفهوم النسويّة وعن التعريف الذي تتبنّاه المشاركات.

ب-التعريف بالنسويّة

قلّما تتطرّق الكاتبات أو الباحثات إلى التعريف السائد للنسويّة في تونس ونادرا ما يُفتح النقاش في الجمعيّات النسائية حول ما معنى أن تكون العضوة نسويّة؟ ولمّا كانت المشاركات يُعرّفن أنفسهن بأنّهنّ مناضلات/ناشطات››نسويّات›› فقد كان من المُغري رصد طرائق تعريفهن للنسويّة لاسيما وأنّ لهذا السؤال صلة متينة ‹بالأمكنة النسويّة›.

ومن التعريفات المتداولة حول النسوية أنّها حركة اجتماعية وسياسية في جوهرها، عملت ولا زالت تعمل على مناهضة البطريكية والهيمنة الذكورية والتمييز والإقصاء والاستبعاد والعنف والاضطهاد المُمارس على النساء، وتسعى إلى الفعل في الواقع من أجل انتزاع حقوق جميع النساء وإقامة مجتمع ديمقراطي وعادل ومساواتي.

ولكن للنسويّة تيارات متعدّدة أضفت على المفهوم أبعادا كثيرة وساهمت في إثراء النقاش وقد تجلّى هذا البعد في خطاب بعض المناضلات. ف›زينب الشارني› مثلا ترى أنّ»النسوية نضال سياسي من أجل الاشتراكية والديمقراطية فيكون العدل والإنصاف وكذلك المساواة بين الجنسين من جوهر النضال. كما أنّ الآخر المهمّش والمنسيّ معرفيا وواقعه التاريخ يحتلّ موقعا في تصوري للنسوية› وتضيف:»إنّ النسوية نضال ومعرفة بالآخر اللامفكر فيه والمضطهد لمدة عقود متتالية. ولا شكّ أنّ الفكر النسوي يظهر في مستوى الممارسة التي تشكّلت على أرضية اجتماعية ثابته منذ فترة الاستعمار». ونتبيّن، من خلال هذا التعريف المرجعية الفلسفية والاجتماعية وتأثّر نسويّات ال60 وال70 برؤية «ماركس»Marx الذي كان يولي براديغم الطبقة أهميّة في التحليل ويدعو» ليس فقط لفهم العالم ولكن تغييره›› و›إنجلز Engles الذي كان يعقد صلة بين الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.يُضاف إلى ذلك الوعي بارتباط النسويّة بالسياسة ونظام الحكم المنشود ومشاريع التحديث وبناء الدولة على

33 عقد اللقاء عن بعد بتاريخ 2024-1-11
34 لقاء عن بعد عبر تطبيقة Google meet بتاريخ 2024-1-11 مدته ساعة ونصف.

أسس تحقّق العيش الكريم للجميع. فليس غريبا أن تتعرّض المناضلات للملاحقات وتسجن فئة منهنّ بسبب مواجهتهن للنظام ورفضهن الاستبداد بالرأي والتضييق على الحريات وتبنّي سياسات تمعن في تهميش الناس وتحول دون اكتسابهم/ن صفة المواطنة الكاملة.
ولعلّه من المفيد، في هذا الصدد، التأريخ لدواعي تأثّر بعض المناضلات التونسيات بالشيوعية والماركسية وميلهنّ إلى تبنّي النسويّة الاشتراكية[35]. فهذا رصد وأرشفة وتوثيق للذاكرة النسويّة وتاريخ لم يدوّن بعد.

وفي سياق مماثل تلحّ ‹هادية جراد› على أنّ النسوية لابدّ أن تجمع بين السياسي والنقابي وتفسّر هذا الرأي بقولها: «كان التشابك بين النسوية والسياسة والشأن النقابي حاضرا في وعي الجيل المؤسس للنسوية حتى قبل ظهور مصطلح التقاطعية الذي تستعمله الناشطات اليوم « وهو رأي يحفّزنا على البحث عن إرهاصات تشكّل وعي نسويّ محليّ يرى الأمور في بعدها الشمولي والتشابكيّ. صحيح أنّ التنظير للتقاطعية انطلق من الولايات المتحدة الأمريكية وتبلور داخل ‹‹النسويّة السوداء›› ولكنّ تجارب ‹‹النسوية الأفريقية›› ونسويّة بلدان الجنوب تقيم الدليل على وعي النساء بالتداخل بين بنى الاضطهاد وبأنّه لا مفرّ من مواجهتها على كلّ الصُعد.
ونعثر في تجارب «جراد» على أرض الميدان ما يوحي بأنّها لم تكن متقوقعة على ذاتها وهو ما سمح لها ولغيرها من النسويات بأن يتفطّنّ إلى ركيزة هامّة في الفكر النسويّ وهي المساندة والمؤازرة ولذا اعتبرت ‹‹جراد›› أنّ النسوية هي أيضا « تضامنية تجمع البعد المحلي بالبعد العالمي» ولذا فإنّها لم تتوان، وهي الطالبة في باريس(في أواخر الستينات) عن التعبير عن مساندتها للمعتقلات في تونس وأن تناصر القضية الفلسطينية.
وعلى عكس هذه الرغبة في التوسّع في بيان مفهوم النسويّة وجدنا لدى مشاركات أخريات ميلا إلى الإيجاز الشديد. ف›سلوى كنّو›[36] تكتفي بالقول إنّ»النسوية هي الدفاع عن الحقوق الإنسانية لمجموعة من النساء اللاتي لا يتمتعن بحقوقهن مثل الرجال.» والواقع أنّ هذا التعريف شائع في أوساط كثيرة إذ نرى في تصريحات بعض الناشطات من جمعيات متنوّعة في وسائل الإعلام، ما يثبت عدم الاطلاع على الخلفيات المعرفية التي يمكن أن توضّح مسار النضال وأدواته وأشكاله وتطوره...

وطالما أنّ البحوث غير متوفّرة حول فهم مختلف مكونات المجتمع المدني التونسي للنسويّة فإنّنا لا نجازف بالإجابة عن السؤال بربطه بالمجال الجغرافيّ أو بمحددات أخرى كالطبقة والجندر والمستوى التعليمي وغيرها.

وفي إطار مختلف لاحظنا أنّ أغلب المشاركات لا يشرن إلى تيار نسويّ محدّد وإنّما تحاول أغلبهن نحت تعريف مستقى من تجارب النساء في الحياة وكأنّنا إزاء تأصيل للنسويّة في البيئة التونسية وفي الثقافة الشعبية المحتفية بحكمة النساء وبالحسّ النسائي. فلا غرابة أن تُنزّل ‹سعيدة قرّاش› و›فاطمة الزهراء اللطيفي› النسويّة في إطار الواقع النسائي المعيش فهي «فكر نحمله في حياتنا اليومية من خلال وعينا بضروره امتلاك مساحة››[37]، وتُستمد من معاينة الواقع اليومي للنساء ومن البيئة الأولى حيث يتشكّل الوعي بعلاقات القوة داخل الأسرة ويظهر الشعور بالقهر الذي تعاني منه أغلب النساء. فيكون التمرّد على القيود الاجتماعية وعلى الرقابة والتمييز والاضطهاد، وهو تمرّد يضع صاحبته في خانة النساء المخترقات للحدود. ولذا كانت والدة ‹فاطمة الزهراء› تقول لها: «انت هاربه بيك الفرده شاقه الخلاء». ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى ‹رحمة عيدودي›[38] إذ أنّها تلحّ على أنّ «النسوية تتعاش» من خلال معاينة التمييز

35 لمزيد الاطلاع على التيارات النسوية يُرجع إلى موسوعة ستانفورد للفلسفة ، مقال الفلسفة السياسية النسوية،ترجمة هاشم الهلال،موقع الحكمة
الفلسفة السياسية النسوية - مدخل شامل من (موسوعة ستانفورد للفلسفة) • مجلة حكمة (hekmah.org)
36 عقد اللقاء المباشر بتاريخ27 ديسمبر 2023
37 عقد اللقاء بتاريخ 2023-12-29. تقول «ملي انا صغيره شفت برشه ظلم داير ساير بي. شفت برشا خزره دونيه للنساء. شفت برشا... نفس الحلمه تتثمن للرجال وللنساء لا... علاش ؟»
38 المجموعة البؤرية الثالثة مع أصوات نساء عقد اللقاء بمقر الجمعية تاريخ2023-12-15

والاضطهاد ذلك أنّ حقّ الاختيار غير مكفول لشرائح كثيرة من النساء، وهو بمثابة»رفاهية وأمر غير متاح لأنو ممنوع عليك تفكّر». ونظفر في إجابة» ليلى منكبي»[39] على انشغال بالبعد القيمي ذلك أنّ النسويّة ممارسة والتزام بالمبادئ يتجلّى في «قرارتنا وأعمالنا ونشاطاتنا». ويتجلّى أنّ ربط النسويّة بالممارسة يحتلّ منزلة الصدارة، ويأتي أحيانا على حساب التأكيد على ضرورة الالتزام بالقيم النسويّة والإيتيقا النسويّة وثوابت العمل النسويّ. وهو أمر يدعو إلى التفكّر في أسباب غياب هذا البعد أو خفوته في خطاب أغلب المشاركات.

ويدفعنا إلحاح فئة من الناشطات (ك»ريتا» [40]و»ص ب»[41]و»منار منصّر»[42])على الجانب العملي/الممارساتي للنسويّة وعلى ضرورة ردّ الفعل على الحيف والتمييز والغبن والقهر.. إلى التساؤل: هل نحن إزاء انبثاق مسار مختلف مُعبّر عن تغيّر في أنماط التفكير بين الناشطات من جيل إلى آخر وفي طرائق اكتسابهن للمعرفة؟

فبينما اهتمّت المناضلات بالفكر النسويّ وتحصيل المعرفة من خلال الأمكنة المتاحة للتفكير والنقاش والجدل (الجامعة،الأحزاب، ...)أبدت الأجيال الجديدة، على ما يبدو، تمسّكا بالجانب الواقعي والتخفيف من ثقل الحمولة المعرفية. وقد يكون السبب وراء قلب ترتيب الزوج: تنظير/ تطبيق، تعقّدات الواقع والأزمات التي عاشتها البلدان التي عرفت تحولات سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية في العقد الأخير. وقد يرجع الأمر إلى رغبة الناشطات في تجاوز النقد الذي وُجّه إلى الأجيال السابقة باعتبار أنّها «أولت النقاشات الفكرية أهميّة على حساب الاهتمام بالنساء المنسيات والمهمشات و...»

ويحفّزنا تركيز مجموعة من المشاركات على المحيط العائلي والبيئة الأولى التي تترعرع فيها الفتاة وإشاراتهن المتعدّدة إلى «الواقع اليومي» و»الممارسة اليومية « و»الواقع المعيش» و»النضال اليومي» إلى التساؤل: هل أنّ الناشطات مُطّلعات على «نسويّة اليوميّ» Le féminisme du quotidien فيصدرن عن هذه المرجعيّة لاسيما وأنّ أغلبهنّ متحصلات على» شهادات علمية» ويتابعن الجدل النسويّ في بعض دول العالم أم أنّ المعاينة وتوظيف الذاكرة والاشتغال على التجربة الشخصية هو الذي يحفّز صاحبته على التفكير واختيار تعريف خاصّ للنسويّة ينبع من الذات لا من النظريات؟ وهنا حُقّ مراجعة فكرة تبعيّة النسويات التونسيات للمعرفة التي تنتجها النسوية البيضاء/الفرنكفونية...

ثمّ إنّ ما يسترعي الانتباه في إجابات المشاركات اللواتي توقّفن كثيرا عند دور الواقع الاجتماعي في تشكيل الوعي النسويّ بروز صورة الأمّ إلى جانب شخصيات أخرى ساهمت في التأثير في حيوات الشابّات. فالأمّ هي القادح والمحفّز تحثّ ابنتها على بذل الجهد والتفوّق في الدراسة حتى تستطيع فرض ذاتها ومواجهة عالم تتعاضد فيه بنى الاضطهاد. تقول «سعيدة قرّاش» إنّ والدتها كانت تعتبر أنّ الدراسة هي»السلاح وتوفّر الاستقلالية وحرّية الاختيار» ولذلك فإنّها كانت لا تنفكّ عن تكرار عبارة» حُطي الملح في عينيك واقري» وكان الجدّ، في بيئة لا تُولي أهميّة لتعليم الفتيات، يقول لها باستمرار:» انبيع عليك طبه واقري».

ولئن كان مدار الدراسة على تونس الكبرى فإنّ قصص المشاركات المنتميات إلى بيئات متنوّعة كالقرى والأرياف النائية و»الجهات المهمّشة» تكشف عن واقع قد يصدم السامعين. فقد كان تعليم الفتيات رهانا وحلما وتحديا كبيرا وهو ليس وسيلة للارتقاء الاجتماعي فحسب بل إنّه سلاح الشابّات الذي سيمكّنهن من تغيير واقعهن وبثّ الأمل في الأجيال القادمة. إنّ النسويّة بهذا المعنى، تجربة تبرز كيفيّة تخطّي المصاعب وهي أيضا رحلة شاقّة من أجل صياغة سردية مختلفة تحلم بها الجدّات والأمّهات قبل الشابّات.

---

39 عقد اللقاء بتاريخ 2023-12-12

40 ريتا اسم اختارته مشاركة رفضت أن يُكشف عن اسمها في الدراسة، اجريت معها مقابلة مباشرة بتاريخ2023-12-5

41 المجموعة البؤرية الثالثة مع أصوات نساء عقد اللقاء بمقر الجمعية تاريخ2023-12-15

42 المجموعة البؤرية الثالثة مع أصوات نساء عقد اللقاء بمقر الجمعية تاريخ2023-12-15

وعلى غرار «قرّاش» لا تتوانى ‹مها عبد الحميد›[43] عن التنويه بالدور الذي لعبته الأمّهات والجدّات في الجنوب في سبيل تحفيز الفتيات على النجاح في الدراسة حتى يُغيّرن واقعهن. وهي تعتقد أنّ النسوية موجودة فينا بالقوّة و»تتعدى بالوراثة» (Le feminisme est inné) من خلال مقاومة النساء والتضامن القائم بينهن، وهي تُكتشف أوّلا في البيئة المحلية من خلال تجارب النساء والمعاناة اليومية إذ كلّما قاومت المرأة قيل لها «ذلّي يا ولية تعيشي» فكان على «مها› أن تعلن عن قرار الانتماء للنسوية باعتباره قرارا مندرجا ضمن أفعال المقاومة.» ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى ابنة ريف من أرياف الجنوب ‹فاطمة الزهراء التي عاينت واقع إذلال النساء وشهدت ممارسات تؤكّد إعادة إنتاج النساء للهيمنة الذكورية والتمثلات السلبية والنظرة الدونية والتربية التمييزية › ...

ولا تكتسب النسوية من خلال الواقع اليومي والمعيشي للنساء ولا من خلال الأمّ ومساندة الجدّة والأب والجدّ فحسب بل يتعيّن الإقرار بالدور الذي نهض به بعض الأساتذة من ذوي التكوين النسويّ اليساري أو النقابي، وهو دور لا يستهان به في مستوى إثارة الأسئلة التي تستدعي النقاش والتفكّر حول المنزلة النسائية. فقد كانت أستاذة العربية تشجّع ‹سعيدة قرّاش› على الاطلاع على أعمال نوال السعداوي وقد ساعدها ذلك على فهم علاقتها بجسدها في ظلّ تنشئة صارمة لا تدفع باتجاه بناء علاقه سوية بالجسد.

ويتخلّل حديث بعض المشاركات عن الأساتذة المؤثرين/ات في تبنّي النسوية منهجا في الحياة والتفكير والعمل إشارة إلى رائدة الفكر النسويّ والمثيرة للجدل «نوال السعداوي›، والواقع أنّ تأثيرها في مختلف الأجيال ملفت للنظر، إذ تذكر المشاركات كتاباتها باعتبارها محفّزا على الوعي بقضايا النساء وفهم أشكال الاضطهاد والاستغلال والعنف. تقول ‹ريم بن رجب›:» أوّل مرّة كان عمري 12 سنة قريت «مذكرات طبيبة «لنوال السعدواي ووقتها صارتلي صدمة حادة» .[44] وتعترف ‹مريم المطيراوي›[45] بأنّ وعيها النسوي تطوّر عن طريق القراءة(نوال السعدواي...) ثمّ الكتابة .أمّا »›أسماء ثابت›[46] فتذكر أنّها كانت تطّلع وتقرأ وقد ساعدها ذلك على أن تتبنّى تيارا محدّدا صارت تعرّف نفسها من خلاله. تقول: »أنا ‹انارشية نسوية «متطرفة«(Anarchist feminist)[47]... من الجيّد اكتساب المعرفة لكن الأهمّ النشاط الفعلي من خلال المساندة والنشاط داخل الجمعيات». والمثير للانتباه أنّها المرّة الأولى التي تشير فيها مشاركة إلى أهميّة الانتماء إلى الجمعيات باعتباره وسيلة لاختبار مدى الالتزام بالأسس التي انبنت عليها النسويّة.

لقد تعمّدنا عرض كلّ هذه الآراء حتّى نبيّن تعدّد منطلقات التفكير في تعريف النسويّة وتفاوت الحمولة المرجعية من مشاركة إلى أخرى وتأثير الوسط العائلي وبعض الشخصيات في مسار رحلة اكتساب الوعي النسويّ. ولئن اتّسمت تعريفات المناضلات بالوضوح، ربّما لانتمائهن إلى جيل عشق القراءة وشُغف بمتابعة الجدل النسويّ على الأقلّ في فرنسا فإنّ طابع التجزئة والاختزال وتغييب المضامين السياسية للنسويّة في الخطاب بدا جليّا لدى أغلب الناشطات حتى وإن انتمت هؤلاء إلى نفس الجيل.

وبالإضافة إلى ما سبق نلحظ في إجابات المشاركات اختلافا على مستوى السياقات المؤثرة في بلورة الوعي النسويّ فليست معاينة أشكال مختلفة من التمييز والاضطهاد في العائلة

---

43 مقابلة عن بعد بتاريخ -9-12-2023
44 مقابلة مباشرة بتاريخ: 14/12/2023.
45 شاركت في المجموعة البؤرية الأولى بنادي الجندر، كلية الآداب بمنوبة بتاريخ 18 نوفمبر 2023.
46 لقاء تم في 1 جانفي 2024
47 Donna Farmer. 1993. « Emma Goldman. A voice for women ? ». The Raven (n°3) : 257-284., Gabriella Fiore. 2014. « L'anarcha-féminisme ». Possibles 38 : 71-78. Miguel Chueca. 2007. « Les Mujeres Libres (1936-1939) : la parole et l'action de femmes libres espagnoles ». Aden 1 (n°1) : 161-184.

هي ما يسرّع باكتساب ‹الحساسية النسوية› على حدّ قول ‹نورهان قنوني›[48] فحسب بل ثمّة عوامل أخرى تساهم في اتخاذ قرار نحت هويّة أساسها النضال ضدّ مختلف أشكال الاضطهاد التي تفضي إلى حرمان النساء من تقرير مصيرهن. فقد عاشت بعض المشاركات/ين في أسر ‹مساواتية› منحتهنّ مساحة من الحريّة ولكنّ ذلك لم يمنعهن من الإحساس بمعاناة النساء المستغلات في العمل والمتعرّضات لشتّى أنواع العنف فقرّرن الانخراط في النشاطية والدفاع عن حقوق النساء. وليست النسويّة في مثل هذه الحالة، إلاّ مشاركة الأخريات معاناتهن والالتزام بالقضايا العادلة والعمل على تغيير واقع غير منصف.

بيد أنّنا لاحظنا أنّ هذا الحسّ الإنساني يكون عند بعض المشاركات، معضودا بالالتزام السياسي. تقول› ريم بن رجب›: «نسويتي جاية من السياسي معناها، ماجاتشي من الشخصي بقدر ما جت من السياسي، ماهوش انطلاقا من حاجات نا عشتهم ولكن من حاجات عاشتهم نساء أخريات كنت نعرفهم». ويتّخذ هذا البعد عمقا أكبر عندما يقترن بكافة بنى الاضطهاد ذلك أنّ المسألة لا تقتصر على الدفاع عن حقوق النساء ومواجهة سياسات الدولة التي تُحمّل النساء أعباء إضافية وتزيد من هشاشتهن فقط بل تشمل مؤازرة سائر المضطهدين/ات وضحايا الاستغلال والاستبداد(السياسي والديني...) وضحايا الأنظمة الاستعمارية والامبريالية والرأسمالية وغيرها. تقول «هيفاء ذويب»: «أنا بالنسبة ليّا النسويّة براديغم كامل لازم عندك تصوّر شامل. لبرّا فما عركات مخصوصة أكيدة لكن هو يقدّم رؤية شاملة للقضايا العادلة الكلّ ...il se positionne par rapport à tout.. ما تنجمش تقلي نسويّة وماعنديش موقف من القضيّة أذيكا... ما تنجمش تعمل روحك blind على نساء قاعدين يموتوا في حرب.....»

ويثير ما تطرحه ‹هيفاء ذويب› من آراء مجموعة من الإشكاليات تتعلّق بسوء فهم النسويّة miss understanding and miss conception والتغاضي عن صياغتها بشكل يعكس جوهرها ويتجلّى ذلك في تصريح بعض العضوات: «أحنا جمعيات ما نحبوش نعملو السياسة» وتهميش بعض الناشطات البعد السياسيّ للنسويّة، واكتفاء البعض الآخر بالعمل على قضيّة واحدة ورفض المناصرة وممارسة التضامن على الصعيدين المحليّ والعالمي، وهو ما يُوقع مجموعة من الناشطات في فخّ التناقض بين الشعارات والخطابات والممارسات.

وإذا سلّمنا بأنّ النسويّة تشمل الوعي والممارسة والمعرفة والفكر فإنّها حسب ‹منيرة البلغوثي›، متطوّرة عبر الزمن ولها مسار تراكمي ينمو من خلال المراجعات. تقول: « صار عندي تفكير نقدي مفتوح على الواقع وعلى هذا الأساس بات التساؤل: أيّة نسوية سأتبناها؟»، بل إنّ إعادة نظرها في مفهوم النسويّة وفي مسائل أخرى تتصل بالنضال النسويّ وفق العدّة المنهجية التي وفّرتها لها الفلسفة النسويّة جعلتها تعلن: « بكلّ تواضع لا ادعي أنّني نسويّة ما زلت أقرأ واطلع وانجز قراءة ما بعد استعماريّة.» ولا شكّ في أنّ هذا السؤال كان قد طرح على المناضلات منذ تأسيس نادي الطاهر الحدّاد، واعيد طرحه في محطات تاريخية مختلفة ولازال يُثار. وقد ناقشته أيضا نسويات مغاربيات وعربيات، وفرنسيات ومكسيكيات وغيرهنّ، وهو أمر دالّ أوّلا: على وعي النسويات بضرورة تنزيل التعريف في السياقات المختلفة: التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والمعرفية وكذلك العالمية، وثانيّا: انتباههنّ إلى قدرة كلّ جيل على ابتكار التعريف الذي يتطابق مع الوعي السائد والمعارف المُحيّنة والاحتياجات...وثالثا: إدراك بعض الناشطات أنّ مفهوم النسويّة يُعاد ابتكاره باستمرار. (réinventer le féminisme)

وأمام اختلاف التعريفات وعدم وضوح مفهوم النسويّة المتداول في الأمكنة النسويّة تزداد حيرة الناشطات الجدد. تقول›سحر دحمان› في هذا السياق[49] : إنّ النسويات يُعرّفن أنفسهن مرّة بأنّهن ينتمين إلى النسوية الليبرالية، ومرّة أخرى إلى النسوية الاشتراكية، وفي حالات أخرى

48 عقد اللقاء بتاريخ 2023-12-15
49 المجموعة البؤرية بنادي الجندر بتاريخ 2023-12-18.

يعلنّ انتماءهن إلى النسوية التقاطعية»، الأمر الذي يُحدث حسب رأيها، «تشويشا في ذهن المنتميات الجدد» إلى النشاطية. والمسألة في تقديرنا، لا ترتبط بتقلّب أو تردّد أو «سياحة» من تيّار نسوي إلى آخر بقدر ما تتصل بإشكالية من بين إشكاليات الخطاب النسويّ التونسيّ الذي لم يخضع للنقد والمراجعة والتجديد بالقدر الكافي إن كان على مستوى اللغة والأطر المعرفية وغيرها.

ونتبيّن من خلال حديث المشاركات عن النسويّة، أنّ الانتماء إلى الحركة/النشاطية النسوية يُحدّ زمنيا إمّا بمرحلة بناء الدولة الوطنية أو الثمانينات والتسعينات، أو ما قبل الثورة أو بعدها بقليل أو بالسنوات الأخيرة، وهذا يعني وعي المشاركات بأهميّة السياق التاريخي في تشكيل التجارب وتحديد المواقف. ويتضّح هذا الأمر في كثرة انتماء الشابّات، في العشرية الأخيرة، إلى الجمعيات النسويّة أو انخراطهنّ في النشاطية النسويّة، ونرجّح أنّ السبب لا يفهم إلاّ في ضوء المشاركة النوعيّة للتونسيات في مسار الانتقال الديمقراطي، التي مثّلت حافزا لدى الشابّات والنساء فاتّخذن قرار الانخراط في العمل النسوي في سياق انتفت فيه الضغوط الممارسة على المجتمع المدنيّ وخفتت فيه النظرة السلبية للنسويّة. إذ كانت النسويّة تتماهى في نظر أغلبهم، مع الانحلال الأخلاقي ومعاداة الدين والتقاليد والأعراف، وكان ‹›بوليس بن عليّ›› يُخضع الناشطات للمراقبة ولا يتوانى عن شتمهن وتعييرهن ولعنهن ووصمهنّ.

ونعثر في حديث ‹حياة حليمي› ما يدعم هذا التفسير. تقول موضّحة أسباب انخراطها في العمل النسويّ: «بعد الثورة راودتنا، أنا ومجموعة من المناضلات الحقوقيات فكرة تشكيل جمعية نسائية تُعنى بحقوق النساء لأنّنا رأينا أنّ الوقت مناسب للاهتمام بحقوق النساء إلى جانب باقي القضايا الوطنية. فنحن نعتقد أنّ بوصلة المجتمع هو مدى تمتع المرأة بحقوقها.» وتُبدي ‹ريتا› هي أيضا، إعجابا بفاعلية التونسيات في مرحلة ما بعد الثورة 2011 فتقول:››تصوّري للنساء ولروحي في تونس كان هذاك، والاطار الوحيد اللي يضمن لي افكاري وتصاور نحلم بهم موجوده في الاطار النسوي هذاك. وقتها وين وليت نحط تيكييه ونقول هذا فعل نسوي››، وهو ما دفعها إلى تأسيس جمعيّة.

وتطرح هذه الآراء مجموعة من الأسئلة: هل أنّ تأسيس جمعيّة للدفاع عن حقوق النساء يُتيح لصاحبته أن تتموقع باعتبارها نسويةّ؟ ألا ينمّ ذلك الاختزال والتبسيط عن ‹نسوية شكلانية› أو خلط بين النسائية والنسوية؟ ثمّ ما هي المعايير التي تجعل الفاعلة في المجتمع المدني تُعرّف نفسها بأنّها بالفعل نسويّة؟ ألا تفضح الخطابات والممارسات أحيانا صاحباتها وتُبيّن المواقف عدم إلمام بالفكر النسويّ؟ ألا نجد نسويات لا ينتمين إلى الجمعيات النسويّة ومع ذلك فإنّ ممارساتهن أكثر تعبيرا عن المبادئ النسويّة؟ وقد خبرنا ذلك في تجربة نساء انخرطن في مقاومة الاستعمار ونساء الحوض المنجميّ، ونساء منزل بوزيّان، ونساء كنّ حاضرات بقوّة في القصبة 1و2 ، وفي اعتصام الرحيل وفي 13 أوت عندما طرحت مسألة التكامل أو في المسيرة الداعمة للمساواة في الميراث في باردو وغيرهنّ من الفاعلات من أجل تغيير الواقع. وفي سياق مختلف ترى بعض المشاركات أنّ موقف الاعتزاز بفاعلية النسويّات لا يحظى دائما، بالتأييد ويتغيّر بدخول ‹لاعبين جدد››، أي القوى المحافظة أو المتشدّدة ومن ثمّة فلا ضرورة تستدعي التصريح بالهويّة النسويّة. ولذا تقترح ‹آمنة ميزوني›[50]في غضون إجابتها عن سؤال: ما معنى أن تكوني نسوية؟ «أن يتم تغيير الإسم فلا نتحدّث عن نسويّة وذلك تفاديا للهجوم والأصوات المنادية بحقوق الرجل والعنف وخطاب الكراهية...ومن المستحسن أيضا عدم استعمال كلمة» فمنيست» لكسب حلفاء.» وقد لا يعبّر هذا الموقف، عن تراجع أو قطع مع الفكر النسويّ بل إنّه يعكس السياق الخاصّ الذي تمرّ به التونسيات في السنوات الأخيرة، لاسيما بعد تفشّي العنف الرقمي الذي يستهدف الناشطات في كلّ الفضاءات.

والمتابع للجدل المحتدم بين الناشطات في الفضاء الرقمي يدرك مدى رغبة هؤلاء في إعادة

50 عقد اللقاء بتاريخ 2023-12-21

النظر في المعجم النسويّ، وفي العبارات والنعوت والاستعارات المتداولة في الخطاب النسويّ التونسيّ. وغنيّ عن البيان أنّ هذا النقاش كان قد طرح أيضا في عدّة دول وشمل أيضا المعجم الجندري، وهو أمر مفهوم بعد الهجوم على النسويّات ودارسات الجندر الذي تزامن مع صعود اليمين المتطرّف في عدّة دول في العالم، وبروز حركات مناهضة للنسويّة وللجندر.(Anti féminism, Anti gender movements)

ولئن بدا الجانب البرغماتي،(أي الوصول إلى أكبر عدد من النساء) حاضرا في موقف بعض المشاركات اللواتي يدافعن عن ضرورة ابتكار لغة «نسوية» بديلة وأصيلة مستمدّة من عبارت الجدّات والأمّهات فإنّ للأمر صلة أيضا بموقف من «النسويات الفرنكوفونيات»، ومن طريقة تواصلهن مع النساء وقد بدا أكثر بروزا بعد الثورة، كما أنّ لهذا التوجّه صلة بالبحث عن توطين النسوية محليّا.

وفي مقابل موقف عدد من الناشطات الداعي إلى استبدال «النسويّة» بكلمة أخرى «محلية» لا تتوانى أغلب المشاركات عن التعبير بملء الفمّ، عن نسويتهن، وهو أمر يعكس السياق الذي قرّرت فيه هؤلاء الانضمام إلى النشاطية في مرحلة تاريخية محدّدة(سنة 2013)اتّسمت بالتضييق على الحريات، والهجوم على تحركات النساء وتهديدهن بتغيير حقوقهن وانتزاع مكاسبهن. فقد دفعت المخاوف الشابّات والنساء إلى التموقع نسويّا وتعريف أنفسهنّ بأنّهنّ «ناشطات نسويات» حتى أنّ منهنّ من أصبحن يتباهين بأنّهن نسويات.،»نسوية وأفتخر» في مقابل «سلفية وأفتخر» و»إرهابية وأفتخر»...

تقول ‹آمنة ميزوني› في هذا السياق: « أنا نسويّة وفخورة بذلك. وأخذت الوقت اللازم حتى أفهم معنى النسويّة وأتفهّم الأشخاص الذين يقلن: « لا أستطيع ان أطلق على نفسي صفة النسويّة لأنّي لم أصل بعد إلى ما هو مطلوب.» ولكن الذي أفكّر به وأتحدى نفسي بخصوصه هو إنّي لا أريد labelle النسويّة فقط لأنّ النسوية كفكر هو أمر جيّد، لكن يلزمه تحديث، خاصّة مع ما يجري في العالم. تمكين النساء لوحده ليس نسويّة.»

يقيم هذا الرأي الدليل على ارتباط تعريف النسويّة بمخاض فكريّ وفرديّ تُقدم عليه فئة من الناشطات اللواتي امتلكن الوقت والاستعداد والقدرة على مواكبة النقاشات النسويّة في العالم وتحيين معارفهنّ، وهو أمر قد لا يكون مُتاحا لمن طحنتهنّ الحياة فصرن يلهثن حتى يُحققن بعض احتياجاتهن أو من كنّ مكدودات يلهثن وراء لقمة العيش. وهنا نتبيّن تأثير الطبقة والعامل الاقتصادي على مسار المعرفة.

ويجرّنا موقف التأمّل في التعريفات الخاصّة بالنسويّة في صيغة الجمع(les féminismes) إلى التساؤل حول مدى إلمام المشاركات بالتيارات النسويّة؟ فقد لاح التفاوت بين المشاركات بكلّ وضوح. فوجدنا في حديث المُؤسسات إشارة إلى النسويّة الاشتراكية أو النسوية الليبرالية أو النسوية الأكاديمية، وعثرنا في خطاب بقيّة الأجيال، وخاصّة الأجيال التي ولدت في عصر الثورة التكنولوجية(GenZ et Gen Alpha[51]) على اهتمام بالنسويّة العابرة للقوميات أو النسويّة التقاطعية وبدرجة أقلّ بالنسويّة السوداء أو النسوية الشعبيّة ولكن دون خوض في التفاصيل الدقيقة أو إشارة إلى وجه الاختلاف بين تيار نسويّ وآخر. ويبدو أنّ اكتشاف عدد من المشاركات للحركات الاجتماعية العابرة للقارات، وللنسويّة الأفريقية جعلهن ينتبهن إلى أهميّة المقارنة بين هويّة كلّ حركة، والنظر في أشكال التضامن والأخوتية (sisterhood)وغيرها من المسائل. ثمّ إنّ ما يسترعي الانتباه في إجابات المشاركات أنّ النسوية التقاطعية تستهوي الكثير من المشاركات، وخاصّة الشابّات منهن إذ يتم التأكيد على تشابك النضالات وتعالق القضايا التي تدافع عنها الجمعيات المناهضة للامساواة واللاعدالة والتضييق على الحريات الفردية دون إفصاح عن فهمهن الدقيق لها. ولئن كنّا واعين بأنّ تعريف الناشطات النسويات التونسيات

51 Gen Z | Years, Age Range, Meaning, & Characteristics | Britannica

للتقاطعية وطريقة تبيئتها لا يندرجان ضمن أهداف هذه الدراسة، فإنّنا اعتبرنا طرح مجموعة من الأسئلة بشأن هذا الموضوع قد يُحفّز على مزيد التفكير: فهل يمكن القول إنّ التقاطعية صارت «تقليعة» في تونس أو كلمة تحدث البوز un mot -buzz؟ وإلى أي مدى تُلمّ المشاركات بالأسس النظرية التاريخية التي قامت عليها النسوية التقاطعية؟ ثمّ متّى اكتشفت النسويات التونسيات التقاطعية؟ وكيف استعملن المقاربة/النظريّة وهل تمّ صياغة تعريف تونسيّ لها؟ وهل يمكن الحديث عن انبثاق نسويّة تقاطعيّة تونسيّة؟وهل تتابع النسويّات النقد الموجّه لهذه النظرية في السنوات الأخيرة(Fraser 2005)[52]؟ وتبقى هذه الأسئلة محلّ تدبّر في انتظار بحوث مستقبلية.

أمّا غياب ضبط تعريف دقيق للنسويّة وعدم اعتماد تعريف متواضع عليه (une definition conventionnelle)فنرجّح أنّه مرتبط بسياق طرح الأسئلة الذي يجعل تعريف النسويّة عفويّا وطبيعيّا(une definition naturelle). وقد يفسّر عدم اكتراث المشاركات بالإشارة إلى تيارات نسويّة متعدّدة إلى رفضهن عرض المعرفة ‹العالمة› (exhibition du savoir savant)واختيارهن التركيز على البعد العمليّ للنسويّة والانطلاق من الواقع المعيش وحيوات النساء، ممّا يجعل تعريف النسويّة يشمل في الوقت ذاته، الوعي والعمل على أرض الميدان. تقول ‹سارّة بن سعيد›[53] في هذا السياق: « بالنسبة لي النسويّة ممارسة»، وهو أمر مفهوم، إذ لا حياد أمام الغبن الذي تعيشه فئات من النساء(قتل النساء، استغلالهن في العمل الهشّ واللامهيكل، والتحرّش بهنّ في مواطن العمل، وفي وسائل النقل وفي الفضاء العمومي /الخاصّ...) ولا تكيّف مع ما يمليه المجتمع البطريكي من ضوابط تفرض قبول النساء بالعلاقات المبنية على التسلّط والهيمنة والاستغلال.» وهنا يغيب الجانب المعرفي أو يخفت أثره لحساب وصف مدى معاناة النساء.

ولكن ألا يعكس هذا الموقف إن كان واعيا ومقصودا، تموقعا مغايرا تماما للتموقع الابستمي (positionnement épistémique) الذي تتبناه بعض النسويات (كزينب الشارني، ودرّة محفوظ...)؟ وبالنظر في المرجعية الفكرية التي تصدر عنها المشاركات نلاحظ إحالة المناضلات إلى Simone de Beauvoir›سيمون دي بوفوار›، Virginia Woolfو›فرجينيا وولف› وحضورا مميّزا لنوال السعداوي التي لا تحتل موقعا هامّا لدى جيل الثمانينات والتسعينات فحسب بل ولدى فئة من الشابّات اللواتي انطلقن في النشاطية بعد الثورة، وكأنّ مرحلة انبثاق الوعي النسوي لازالت تتشكّل في تونس، من خلال كتابات السعداوي.

وعلى الرغم من أنّ النسوية العربيّة وفّرت أسماء كثيرة وكتابات متنوّعة وغزيرة وتنظيرا مهمّا فإنّه لا حضور لأسماء المنتجات العربيات للمعرفة النسويّة في أذهان المشاركات، وهو أمر يستدعي وقفة تأمّل، خاصّة عندما يكثر حديث البعض عن ‹«الديكولونيالية» (la décolonialité) التي نعرّبها ب» فكّ الارتهان بالفكر الاستعماريّ».

وإذا استثنينا بعض المشاركات ك›خولة الكسيكسي› و›مها عبد الحميد› و›خوخة ماكوير› لا تتم الإشارة إلى النسوية السوداء والنقاشات التي دارت بين المنضويات تحتها كانجيلا دايفس Angela Davisوبيل هوكسBell Hooks، إلاّ لماما، وكذا الأمر بالنسبة إلى النسوية الأفريقية(ما عدا فريال شرف الدين وخولة الكسيكسي). ولا نعثر كذلك على استحضار كتابات فكرية لشخصيات مؤثرة من النسوية ما بعد الاستعمارية أو الديكولونيالية أو النسويّة الجنوبية. فباستثناء ‹منيرة البلغوثي› و›كوثر عبّاس› و›خولة الكسيكسي› لا تتم الإحالة إلى شخصيات كان لها تأثير في بناء المعرفة النسويّة.

52 Mitchell ,Eve, Unity & Struggle A Marxist-feminist critique of intersectionality theory, Sept. 12, 2013.
(A Marxist-feminist critique of intersectionality theory | The Charnel-House (thecharnelhouse.org
LES AVANCÉES FÉMINISTES AU MAGHREB : UN BILAN EN DEMI-TEINTE ENTRETIEN DE SOPHIE BESSIS AVEC NICOLE G. ALBERT ; Diogène n° 267-268, juillet-décembre 2019,p315-316.

53 لقاء مباشر ضمن المجموعة البؤرية لعضوات ‹أصوات نساء› بتاريخ-12-15 2023.

ولئن لم يكن من المطلوب من المشاركات تفصيل القول في المرجعيات المؤثرة في بلورة تعريف للنسويّة فإنّ تكرار اسم نوال السعداوي هو الذي دفعنا إلى التوقّف عند هذا البعد الذي نُقدّر أنّ له صلة بالتموقع وبصياغة المفاهيم واختيار التعريفات ذلك أنّ نوعيّة القراءات وكيفيّة اختيار المرجعيات النسويّة مهمّة وفق قاعدة «قل لي ماذا تقرأ أقل لك من أنت؟» وهذا يجرّنا إلى طرح سؤال يتعلّق بمدى حضور كتابات ‹النسويات الأكاديميات› أو‹ النسويات المثقفات› في تونس، على حدّ قول ‹زينب الشارني› و‹درّة محفوظ› في المرجعية التي تنهل منها المشاركات؟

فلئن أكدّت بعض الشابّات على ضرورة إنتاج معرفة محلية تونسية فإنّ كتابات التونسيات والمساهمات من مواقعهن الأكاديمية في تطوير البحث النسوي التونسي[54] باللغة العربية، على وجه الخصوص، غير مستحضرة في أجوبة المشاركات. فهل نحن إزاء عدم متابعة للإنتاج النسويّ التونسي أم تجاهل له أم استنقاص لقيمته؟ ثمّ ألا تقتضي ‹الديكولونيالية› ومناهضة المركزيّة الأوروبية/الغربية التي كثر الحديث عنها بعد حرب الإبادة على غزّة، المعرفة الدقيقة والمعمّقة بتاريخ النسوية التونسيّة، والنسويّة المغاربية، والنسوية العربية، والنسوية الأفريقية؟ وهنا حُقّ لنا أن نستحضر مقولة فرانس فانونFranz Fanon: «طالما أنّ الآخر متردّد في الاعتراف بي، لم يبق لي سوى حلّ واحد: أن أعرّف بنفسي».
ولمّا كانت المشاركات يتموقعن باعتبارهن نسويّات نما وعيهن في اطر وأماكن متنوّعة فقد بدا رصد الأمكنة النسويّة ضروريّا.

-2تعدّد الأمكنة النسويّة وتنوّعها

*تمهيد
ليس بوسعنا تجاهل الكتابات النسويّة التي كان لها الفضل في تنبيهنا إلى أنّ للنساء تعريفات خاصّة للأماكن تستدعي التوقّف عندها والتساؤل: ما النقاشات التي ساهمت الدراسات النسويات في إثارتها حول الفضاء العامّ وأشكال توظيفه واستغلاله لفائدة العمل النسوي والدفاع عن حقوق النساء؟ وهل بإمكان الباحثات النسويّات أن يقدّمن إضافات ذات قيمة، بخصوص تحليل طرائق توظيف النساء لهذه الأمكنة حتى تكون نسويّة؟
تتفق الدراسات مثل «ولوف› (Woolf, 2010)على أنّ الفضاء/المكان النسويّ يُبنى ماديا واجتماعيا مثله مثل الجندر، من خلال التجارب وديناميكية العلاقات والأنشطة والممارسات وسياسات الجندر. ومن المفروض أن يكون في تعارض تامّ مع الفضاء العامّ الذي نجد فيه ‹آثار البطريكية› والهيمنة الذكورية كالاقصاء الجنسي، والعنف الذي يستهدف النساء، والتراتبيات...ومعنى هذا أنّه يتعيّن على النسويات تحويل أمكنتهن الخاصّة إلى فضاءات يُعاد فيها بناء الذوات على قاعدة جديدة تتلاءم مع وعيهن بمناهضة البطريكية وأشكال الاستغلال وكلّ بنى الاضطهاد... وتثبت مدى التزامهن بالنضال.

وقد لفتت الدراسات، منذ ال70 الانتباه إلى ظاهرة احتكار الرجال للفضاء العموميّ، وميلهم إلى الاستحواذ على مساحة أوسع من حيث استغلال المكان (الجلسة المريحة، التفريج عن الرجلين ...)أو الرغبة في انتزاع مساحة أكبر أثناء التواصل مع الآخرين (Spender 1995))، وهي طريقة تتلاءم مع الثقافة الذكورية وطريقة عرض الذكورة. وفي المقابل نجد أنّ طرائق النساء في الحضور في الفضاء العمومي وفي الأمكنة المختلفة خاضعة للمعايير الاجتماعية والمعايير الجندرية التي تُقيّد الجسد الأنثوي وتتحكّم في تفاعلاته باسم الحياء والخجل والاحترام، والتربية... وانتقدت (Pateman (1989), Fraser (1993), and Young (1987›باتمان› و‹فرازير› و‹يونغ› استراتيجيات الإقصاء والاستبعاد التي يمارسها الرجال في الفضاء العامّ، فهم يتصوّرون أنّ هذا الفضاء لا يخصّ النساء ولا أصحاب الهويات اللامعيارية. وتعكس هذه النظرة جنوح

54 باستثناء عزيز الطرابلسي وهو عضو في جمعية أصوات نساء أشار إلى تأثره بصوفي بسيسSophie Bessis« و ‹هندة الشناوي› التي أشارت إلى ‹سناء بن عاشور›، قائلة:»نعرفها، نعرف كتاباتها نعرف مواقفها.»

المدافعين عن الأيديولوجيا الذكورية إلى الربط بين المكان والأجساد. فهناك أجساد يحقّ لها أن تكون موجودة في الفضاء العامّ ومرئية، وأجساد أخرى لابدّ أن تُحجب وتكون خارج دائرة الإبصار. ولم يفت النسويّات أيضا إثبات ذكورية اختصاص الجغرافيا من حيث المناهج والأسس المعتمدة والخطابات...

وأمام هذه الرغبة في فرض السمة المعيارية على الأمكنة نحتت النسويّة الاشتراكيّة نانسي فرازي (N.Fraser1993) مصطلح» الفضاءات النسوية المضادة للفضاء العامّ « (feminist counterpublic space) ودعت النساء إلى اتّخاذ استراتيجية واضحة لمقاومة هذه الممارسات التمييزية وذلك من خلال إنشاء المزيد من الأمكنة الخاصّة بهنّ، وانتزاع مساحات لفرض وجودهن. ويتنزّل هذا المصطلح ضمن مشروع ديمقراطي تغييريّ وإدماجيّ يناهض كلّ علاقات الهيمنة التي تتخذ من سياسات المراقبة مطيّة لفرض طريقة محدّدة لولوج النساء إلى الأفضية وحضورهن فيها.

وسعت» النسويات المتخصصات في علم الجغرافيا «(les géographes féministe) كدورين ماساي ودي لوريتيDoreen Massey1994, De Lauretis 1996 إلى دراسة الفضاءات الذكورية بهدف فهم أسباب إقصاء النساء منها، من جهة، وتحليل علاقتهن بالأمكنة وكيفيّة تنظيمهن لها ونظرتهن إلى الأمكنة والأزمنة وطرائق التصرّف فيها، من جهة أخرى.[55]
ونحن إذ نعرض مساهمة بعض الدارسات النسويات المتخصصات في الجغرافيا وعلم الاجتماعي الحضري والأنتربولوجيا وغيرهنّ في تحليل أشكال تمثّل الفضاءات وتنظيم العلاقات داخلها والتعامل معها إنّما نسعى إلى لفت الأنظار إلى مدى انشغال النسويات الغربيات بمناقشة هيكلة الفضاء العامّ، الذي هو في الواقع، ليس ‹عامّا› مادام لا يتسع لجميع المواطنين/ات إذ يتمّ فرز من له حقّ الحضور والفعل، ومن ليس له الحقّ في الولوج العادل إلى هذا الفضاء.

وإذا كان الأمر على هذا النحو بالنسبة إلى النسويات المنتميات إلى المركزية الغربية فإنّ نسويات الجنوب وغيرهنّ[56]من الباحثات المهتمات بعقد صلة بين مناهضة البطريكية وتحديد مظاهر اللاعدالة واللامساواة وفضاءات الاستغلال والاضطهاد في المجتمعات المعاصرة سخّرن جهودهن لرصد أشكال سيطرة النظام البطريكي على الأماكن/الفضاءات/المساحات وتفكيكها وبيان النتائج المترتبة عنها على حيوات النساء.

ولم تتخلّف الدارسات المنتميات إلى الثقافة الناطقة باللغة العربية كصبا محمود ورنا قبّاني وليلى أحمد ولارا ديب (Lara Deeb,Saba Mahmood Rana Kabbani,Leila Ahmed)عن نقد الفكر الاستشراقي الذي اعتبر الفصل بين الفضاء الخاصّ والفضاء العامّ حجّة على مجتمعات تضطهد النساء وتمنعهن من الحضور في الفضاء العامّ. وقد أثبتت بحوثهن أنّ المرأة الريفية كانت ولازالت تشتغل جنبا إلى جنب مع الرجل في الفضاء الخارجي، كما أنّ من النساء

---

55 Chapman, R. (1997). L'écriture de l'espace au féminin : géographie féministe et textes littéraires québécois. Recherches féministes, 10(2), 13-26., McDowell, Linda and Joanne Sharp, eds. 1997. Space, Gender, Knowledge: Fem- inist Readings. New York: Arnold; Moore-Milroy, Beth and Susan Wismer. 1994. Communities, Work and Public/ Private Sphere Models. Gender, Place and Culture 1(1):71-90., LYNN A. STAEHELI and PATRICIA M. MARTIN, Spaces for Feminism in Geography, .THE AMERICAN ACADEMY,135-150

56 Brooke A. Ackerly (she/her/hers), Elisabeth Jay Friedman (she/her/hers), Krishna Menon (she/her/hers) & Marysia Zalewski (they/them/theirs) (2021) Feminist spaces: conferences, journals, community, International Feminist Journal of Politics, 23:4, 523-526, DOI: 10.1080/14616742.2021.1953293
Nancy Saporta Sternbach, Marysa Navarro-Aranguren, Patricia Chuchryk and Sonia E. Alvarez, Feminisms in Latin America: From Bogotá to San Bernardo, Signs,Vol. 17, No. 2 (Winter, 1992), pp. 393-434 (42 pages)Published By: The University of .Chicago Press
Nirmal Puwar, Making Space for South Asian Women: What Has Changed Since Feminist Review Issue 17? Feminist Review , .Autumn, 2000, No. 66, Political Currents (Autumn, 2000), pp. 131-138

من استطعن انتزاع مساحات تخصّهن وتحويل بعض الأمكنة إلى فضاءات للتحرّر والتدبّر في السياسة. فكان المطبخ مثلا مكانا لاكتشاف الذات والنقاش وتبادل التجارب والخبرات والشعور بالسكينة والتحرّر..

وإلى جانب هذه الدراسات ظهرت بحوث في العقد الأخير، تتناول بالدرس أشكال حضور الشابّات والنساء في الفضاء العامّ، وفاعليتهن أثناء الثورات والاحتجاجات وغيرها (Jessica Winegar, Macelo Lopez De Souzam and Barbara Lipietz,). ولكن بقيت هذه المؤلفات، التي أمكننا الاطلاع عليها، غير مهتمّة برصد الأمكنة النسويّة في «العالم العربي/الإسلامي» والنظر في خصائصها وكيفيّة استغلالها للدفاع عن حقوق النساء ونشر ثقافة المساواة والعدالة... وإذا كان هذا واقع البحوث النظرية والميدانية فما هو تصوّر المشاركات للأمكنة النسوية التي كان لها دور في تشكيل رؤيتهن للنضال وكيف صنّفنها؟

2/1مظاهر التعدّد والتنوّع

لئن لم تتطرّق المناضلات إلى النقاش الذي دار بين النسويات إبّان تأسيس نادي الطاهر الحياة حول أهميّة هيكلة العمل النسويّ وإضفاء طابع ‹رسميّ› على هذا المكان الذي اتّسم بأنّه نسويّ بامتياز فإنّ المراجع التي وثّقت هذه التجربة، وفي مقدّمتها أطروحة إلهام المرزوقي، تثبت تعدّد وجهات النظر حول الموضوع. فقد فضّلت بعض العضوات إبقاء العمل النسويّ في هيئته غير الرسمية بينما دافعت أغلبهن عن ضرورة أن يصبح المكان مهيكلا يسمح بتنظيم الأنشطة وضبط العلاقة مع مختلف الجهات والمؤسسات. وكان منطلق المدافعات عن هذا الرأي أنّ الفضاء النسويّ المنظّم يجعل النقاشات أكثر جديّة ويسمح باكتشاف أبعاد أخرى للرهانات التي تتحكّم في مختلف البنى المنتجة للامساواة واللاعدالة. كما أنّه يتيح للنسويات فهم البنى الاجتماعية والمعايير التي توزّع الأدوار وبناء العلاقات بطريقة غير منصفة تحول دون الاعتراف بالأصوات النسائية والإقرار بأهميّة فاعلية النساء في الفضاء العامّ. ونذهب إلى أنّه لولا اتفاق جيل التأسيس على توخّي هذا الخيار لما أمكن للحركة النسويّة أن تتطوّر وتؤدي دورها التاريخي.

وإلى جانب ‹نادي الطاهر الحدّاد النسويّ» تُفصح شهادات المشاركات عن تعدّد الأماكن التي أتاحت لهنّ اكتشاف الوعي النسوي وممارسة النضال. فتتحدّث بعضهن عن المعاهد باعتبارها كانت في بعض الفترات التاريخية، فضاء للحوار الحرّ والتنظّم واكتساب وعي سياسي ونسويّ، وهو ما أدّى الى بروز حركة تلمذية كانت بمثابة نواة أساسية للنشاطية والتدرّب على الحوار والعمل النضالي. ويُعزى الفضل في دعم هذا الحسّ النضالي، إلى بعض الأساتذة الذين تجرّأوا على إثارة قضايا ذات علاقة بالطرح» التقدمي اليساري» للتمييز الطبقي والتمييز بين الجنسين والاضطهاد وعلاقات الهيمنة وغيرها.

وفي مقابل هذه التجربة التي انطلقت مع مرحلة المراهقة، ومن المعهد أي داخل المؤسسات التربوية والتعليمية الرسميّة تقرّ فئة من المشاركات بأنّ الالتحاق بالجامعة هو الذي مكنّهن من فرصة الاحتكاك ببعض الأساتذة الذين كان لهم/هنّ دور في تحليل نصوص ذات مضامين نسوية هامّة وبناء معرفة تخالف السائد. فتذهب ‹سعيدة قرّاش› إلى أنّ كلية الحقوق بتونس مثّلت فضاء للمعرفة والتدرّب على النقاش والنضال إذ تكثفت الاضرابات وتعدّدت فرص النقاش العامّ، وتوفّرت فرص الاطلاع على النظريات الجديدة وتطوير أشكال التضامن والمقاومة. فكان «بناء التحالفات بين اتحاد الطلبة واتحاد الشغل والتنسيق بين› لجنة المرأة العاملة» و‹لجنة الطالبات من أجل مساندة النساء الديمقراطيات› في نضالهن مساعدا على اكتساب مهارات التفاوض والعمل معا»، وهو أمر يثبت تفاعل النضال الطلابي مع المحيط وتوسّع شبكة العلاقات.

ومـن خـلال النشـاط داخـل الجامعـة أدركـت أغلـب الشـابّات مـدى حضـور الأيديولوجيا الذكوريـة و»انتفاء الخصوصية النسائية/ النسوية» وانتشار ظاهرة التمييز على أساس النوع الاجتماعي. كما أنّهن انتبهن إلى وجود» ممارسة قائمة على العنف اللفظي داخل اتحاد الطلبة» ولاحظـن ‹›ميـل بعـض الرفيقـات إلى إعـادة إنتـاج الممارسـات الذكوريـة». وترتّـب عـن هـذا الوعـي حسـب ‹سـعيدة قـرّاش›، انضمـام مجموعـة مـن الطالبـات مـن مختلـف الطبقـات، إلـى «جمعيّـة النسـاء الديمقراطيـات». والظاهـر أنّـه كلّمـا نشـطت الشـابّات فـي الفضـاءات المختلطـة التـي يهيمـن عليها الرجال ازدادت حاجتهن إلى البحث عن أماكن بديلة تسمح لهنّ بالتحرّر من ثقل الهيمنة الذكوريّة ومناقشـة مواضيـع تهمّـش فـي دائـرة النضـال السياسـيّ.

ويبـدو مـن خـلال إجابـات المشـاركات الأصغـر سـنّا أنّ طرائـق العمـل لـم تتغيّـر كثيـرا عبـر الزمـن إذ توضّـح «ريـم بـن رجـب «رؤيتهـا للعلاقـات التـي كانـت سـائدة بيـن المناضليـن/ات داخـل اتحـاد الطلبـة والمعبّـرة عـن هيمنـة الثقافـة الذكوريّـة. تقـول: «وقـت لـي مشـيت تفاجئـت أنـو الـي يعملـو الخطابـات فـي الجامعـة هومـا الأولاد. النسـاء ورفيقاتـي ماكانـوش يتكلمـو. فنـا حسـيت انـه هالتنظيـم مـا يشـبهش ليـا. الذكـر يحكـي فـي شـؤون السياسـة والبنـات واقفيـن كنـوع متـع دعـم فقـط. ماكانـوش صاحبـات القـرار. وبديـت نفهـم أنـه تنظيـم اتحـاد الطلبـة كيمـا التنظيمـات السياسـية الـكل والتنظيمـات اليسـارية علـى وجـه التحديـد، هيكليـا، هـي تنظيمـات ذكوريـة مبنيـة على منطق التنافس: شكون فحل أكثر وشكون الي صوته أعلى. وشكون ينجم يسكّت الناس ويسبّ النظام أكثر. وطريقة الخطاب ماكانتش تعجبني وماتشبهليش وماكنتش نستسيغها. فقـرّرت أنـي بـاش ننظـم حليفـة ومانّنضمـش وماكنتـش نعتقـد أنـو بـاش يكـون عنـدي صـوت.» ولئن ربطت ‹ريم بن رجب› هذه التصرفات التمييزية بالفكر الذكوريّ الذي هيمن على التنظيمات والأحزاب وغيرها من الأطر النضالية فإنّنا نذهب إلى أنّ المسألة ذات صلة وثيقة بأنماط التنشئة الاجتماعيـة التقليديـة وبنـاء الأنوثـة والذكـورة. فالأسـرة تربّـي البنـات بطريقـة تجعلهـن يمتثلـن للمعايير ويعبّرن عن الأنوثة المنشودة وعن الصفات والقيم التي تنسبها الثقافة للنساء(اللين، العاطفة، الحياء، الجبن، الخوف، السلبيّة، الصبر...) بينا ينشأ الأولاد على معايير وقيم مضادة تتماهى مـع الصفـات التـي تُنسـب للرجـال (المغامـرة والقـوّة والصلابـة،والجـرأة، والمواجهـة،....)

وتُساعد الرجل على أن يبني رجولته بطريقة تجعلها مجسّدة «للرجولة المهيمنة» التي تغمر المكان فلا تتيح للنساء بأن يكنّ فاعلات. ولا يمكن التغاضي أيضا عن أشكال الحضور في الفضاء العامّ وممارسة القيادة ورهانات السلطة التي لم تخرج عن الأنموذج الذكوري المهيمن. فلم تكن التونسيات يُمثّلن، على مستوى المتخيّل السياسي الجمعيّ، نماذج قدوة سياسيّة ولم يكن من المتعارف عليه أن تُنعت المرأة بأنّها سياسيّة بالرغم من وجود نساء مارسن السياسة كفتحية مزالي مثلا.

وتتفق ‹ريتا› وهي نسويّة مستقلة، مع ‹سعيدة قرّاش› و‹ريم بن رجب› في أنّ النشاط داخل هياكل اتحاد الطلبة كان دافعا للتساؤل حول أسباب التمييز بين الجنسين و«احتياجاتنا ومطالبنا. وحتى على مستوى القائمات راه مكانش ثمه نساء. معظم اللي يطلعوا في المكاتب التنفيذيه رجال، معظم التحركات والمظاهرات ينظمها الرجال. نادرا وين نشوفو نساء... كان في التعبئه والحشد وفي ذيل التحرّك مش في أوله... وحتى اللي يطلعوا على الأعناق زاده نادرا ما كان تطلع النساء».

ويتّضح من خلال توقّف عدد من المشاركات عند تجربة النضال داخل الجامعة، أنّ مشاعر الغضب والاستياء والإحساس بخيبة الأمل لازالت تلازم أغلبهن إذ لم تكن ساحات الجامعات فضاء إدماجيّا وقادرا على احتواء مطالب الشابّات ورغبتهن في نحت كياناتهنّ وفرض خطاباتهن وتصوراتهن للعمل النضالي ولممارسة الفعل السياسي داخل الجامعة وخارجها. وبالإضافة إلى ذلك ظلّت الجامعة مثلها مثل الاتحاد والأحزاب، محكومة بفهم تقليدي للعمل السياسيّ يختزل السياسة في نظام الحكم، ووضع السياسات العامّة وتدبير سير المؤسسات التشريعية والتنفيذية ...ولا يدرك أنّ مناقشة أوضاع الشابّات والنساء، وما يتعرّضن له من تمييز واستبعاد وتهميش غير منفصلة عن السياسة.

والملاحظ أنّ هذا التوصيف للفضاء الجامعي لا يُشكّل رأيا جامعا تتفق حوله كلّ المشاركات، وهو أمر مفهوم إذا ما انتبهنا إلى اختلاف التجارب، والمواقع وبنية العلاقات السائدة والمؤثرة في مجموعة من الطالبات اللواتي لم يكنّ ناشطات في اتّحاد الطلبة. ولعلّ شهادة ‹زينب الشارني› خير مثال دالّ على اختلاف زاوية النظر إلى دور الجامعة في توفير فضاء يسمح للنساء بأن يشاركنّ في الشأن العامّ من جهة، ويطرحن قضاياهن، من جهة أخرى.

فلئن ساعد الوعي النسوي والنضال السياسي والنقابي المناضلات النسويات على إدراك أهميّة التحصيل العلمي فإنّ أغلبهن اصطدمن حسب ‹زينب الشارني›، «بالحاجز الابستمي المعرفي» إذ أنّ الجامعة كانت (ولازالت) «غير مطمئنة إلى البحوث ذات التوجّه النسويّ وإلى الجامعيات الناشطات والمناهضات للاضطهاد والتمييز والمطالبات بالمساواة»، ومن ثمّة تتحدّث ‹زينب الشارني› عن «ممارسة النبذ والاستبعاد والحصار الداخلي في فضاء الجامعة الذي تسود فيه علاقات القوة»، كلّ ذلك من أجل الحفاظ على امتيازات الرجال. ولذا لم تكن، الجامعة حسب رأيها، فضاء لبناء المعرفة النسويّة بقدر ما كانت «مكانا يمارس فيه التمييز ضدّ النساء»، وهو ما جعل بعض الجامعيات يُصمّمن على مواجهة هذا الواقع من خلال إدراج بعض الحصص حول النسويّة في اختصاصات مختلفة وهو، في نظرهن، فعل مقاومة، ويلتزمن ببثّ الوعي وطرح القضايا العادلة ويسعين في مرحلة لاحقة، إلى إنشاء ماجستير الدراسات النسائيات ثمّ ماجستير النوع الاجتماعي والثقافة والمجتمع...

ومن المفيد استجلاء هذه النقطة إذ يذهب في ذهن أغلبهنّ/هم أنّ النسويات مرحّب بهنّ في فضاء يعدّ منارة علمية تسمح بالتحليل والتفكيك وتغيير الأفكار والتصورات ووضع برامج ريادية وإنتاج معرفة بديلة لها أثر في المجتمع وفي التنمية. ولكنّ الواقع الذي تعرفه النساء المنضويات تحت «النسويّة الجامعية» يعكس صورة مختلفة تماما إذ تتجلّى الممارسات التمييزية في مستوى وضع الدروس واقتراح المناهج وتجديد أدوات البحث وترأّس اللجان

والتسيير والترشّح للانتخابات ويظهر العنف المبنيّ على النوع الاجتماعي في صور متنوّعة. ولكنّ النسويّات لا يتكلّمن ولا يكتبنّ ولا ينتجنّ سيرهنّ الذاتية ولا يُفصحن عن تجاربهن لاسيما عندما يُحاولن المواجهة والتغيير. يُضاف إلى ذلك أنّ المجهود الذي بذلته مجموعة من الجامعيات في مختلف الجامعات من أجل تدريس الحركات الاجتماعية والنسوية والفكر النسويّ وقضايا اللامساواة واللاعدالة والحيف الجندري وغيرها قلّما وثّق.

ونعثر في كلام بعض المشاركات على إشارات دالة على تثمين هذا الجهد إذ تقرّ ‹ليلى الحسيني›،[57] و›لبنى الهرابي›[58] بأنّ الجامعة توفّر فرص النقاش مع فئات مختلفة وتنمية ملكة النقد والتعرّف على النسويات واكتساب معرفة نسويّة. وتذهب›فرح المسعودي›،[59]و›رحمة بن قمرة› [60] إلى أنّ» المعرفة العميقة في الجامعة مرتبطة بأستاذات لهنّ معرفة نسويّة هامّة وهو ما يساعد الطالبات/ة على التموقع والربط بين الأفعال والنظريات، ومحاولة فهم الواقع المعيش والممارسات التمييزية وتحليل نسق التمثلات والربط بين مختلف أنظمة الاضطهاد.
وتتفق ‹سماح اليحياوي›[61] مع زميلاتها في أنّ اكتشاف المعارف النسوية ومناقشة قضايا ذات صلة بواقع النساء متنزّل في إطار مبادرات فردية، وفي هذا الإطار مثّل نادي الجندر في كلية الآداب والإنسانيات والفنون بمنوبة حسب رأيها،»مكانا نتعلّم فيه الاشتغال معا في نطاق تشاركيّ ونمارس فيه التمكين إذ نطلع فيه على أفلام ودراسات ومؤلفات ونتحاور مع أصحابها.» وهنا يتجلّى دور مجموعة من الجامعيات في التفاوض مع الإدارة من أجل دعوة المناضلات لتقديم المحاضرات وانتزاع بعض الأمكنة المخصّصة ›للنشاط الثقافي‹ وهي في الحقيقة، مجموعة من النوادي لتقديم أنشطة متنوعة ذات طابع نسويّ يُضاف إلى ذلك توظيف وسائل مختلفة للإقناع أو الإفادة من شبكة مناصرة لفتح ›النوادي‹ أو ابتكار استراتيجيات تهدف إلى تحويل الجامعات إلى أمكنة»صديقة ›للنساء أو نسويّة منفتحة على المحيط وفي شراكة مع الجمعيات النسويّة. نشير، في هذا الصدد إلى حرص جمعيّة ‹أصوات نساء› على تأسيس مجموعة من النوادي في عدد من المؤسسات الجامعية توفّر تنشئة على القيم النسوية وفضاء حرّا للنقاش حول عدّة مواضيع توضّح تجارب الشابات والنساء المتنوّعة ومرجعياتهن المتعددة.

وفي مقابل الإشادة ببعض الكليّات التي وفّرت فيها الجامعيات النسويّات فرصة للطلبات/ة لاكتشاف معرفة نسويّة تشير ‹هندة الشناوي› [62]إلى إشكالية عدم توفر فضاءات نسوية كثيرة تساعد الناشطات على فهم المرجعيات النسوية المتعدّدة إذ ثمّة تقصير، حسب رأيها، في مستوى التأريخ للنسوية التونسية، والتيارات السائدة فيها. تقول: «ماعندناش حتى كتابات على النسويّة الاشتراكيّة في تونس، حتّى النسوّيات لي يسميّو أنفسهم اشتراكيّات هوما يتعداو على الأصابع، كي تسألها تقلها شنيّه النسويّة الاشتراكيّة ماتعرفش تجاوبك، مافماش حاجة ملموسة.» وتُشاطر ‹كوثر عبّاس› «الشناوي» الرأي فتنتقد محدودية المعرفة النسويّة بصفة عامّة مؤكّدة «أنّ الجامعة ينبغي أن تساعدنا على فهم أشكال أخرى من المعرفة النسوية خارج المعرفة» الباردة»: معرفة تدفعنا الى الإلمام بالواقع وتجديد قاعدة المصادر المعتمدة والاطلاع على ...تيارات أخرى من النسويّة التي نحن بحاجة ماسّة إليها مثل النسويّة الشعبيّة ونسويّة القاعدة ونسويّة الحياة اليومية».
تثبت هذه الآراء تصوّرات للأمكنة النسويّة. فالجامعة، وإن ‹نجحت› في فتح المنافذ ليتسلّل الفكر النسويّ والنظريات والمقاربات النسويّة والجندرية والكووِيرية ولتحليل التجارب النسائية ...إلاّ أنّها لا تلبي حاجة جميع الناشطات اللواتي بقين وفيات للتمثّل التقليدي للجامعة باعتبارها فضاء لتحصيل المعرفة، والحال أنّ التحولات التكنولوجية والثورة الرقمية وانفجار مصادر تحصيل المعلومات زحزحت الجامعة عن مكانها فلم تعد هي المصدر الأساسيّ لبناء المعرفة

57 طالبة في ماجستير النوع الاجتماعي، لقاء مع المجموعة البؤرية الأولى الخاص بنادي الجندر، عقد بتاريخ 18 نوفمبر 2023
58 طالبة في ماجستير النوع الاجتماعي، لقاء مع المجموعة البؤرية الأولى الخاص بنادي الجندر.
59 طالبة في ماجستير النوع الاجتماعي، لقاء مع المجموعة البؤرية الأولى الخاص بنادي الجندر.
60 طالبة في ماجستير النوع الاجتماعي، لقاء مع المجموعة البؤرية الأولى الخاص بنادي الجندر.
61 متحصلة على ماجستير النوع الاجتماعي، وكانت ناشطة سياسية .لقاء مع المجموعة البؤرية الأولى الخاص بنادي الجندر
62 مقابلة مباشرة بتاريخ2023-12-12

بل زاحمتها وسائل أخرى. ثمّ إنّ هذه المواقف تتجاهل علاقات القوّة السائدة في الجامعة والهيمنة الذكورية ومحدودية احترام الحريات الأكاديمية، واستمرار خضوع المؤسسات التعليمية لسياسات لازالت تقليدية ومحافظة. يُضاف إلى ذلك امتناع عدد من الأساتذة عن تدريس النسويّة أو تجديد مباحث الفكر النسويّ إلى غير ذلك من العوامل. وبناء على ذلك ظهرت «الجامعات النسويّة « لتفكّ الحصار على الجامعات العمومية ولتسدّ الفراغ، وهو أمر يوضّح الدور الذي بإمكان الجمعيّات النسويّة أن تضطلع به حتى تساهم من موقعها في فتح النقاش حول مواضيع قد »يحجّر« طرحها في المؤسسات الجامعية وفي إنتاج البحوث والدراسات النسويّة التي تحتاج الجامعيّات أيضا إلى الاطلاع عليها واعتمادها في دروسهن. وإذا تسنّى لعدد من الجامعيات التعبير عن نسويّتهن من خلال تدريس مواضيع ذات صلة بالفكر النسويّ والنضال من أجل انتزاع حقوق النساء أو تأطير أطاريح ذات توجّه نسويّ فإنّ ›سلوى كنّو‹ ترى أنّ نشاطها النسوي داخل «جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية» هو الذي حفّزها على أن تنهض بدور داخل المؤسسة الجامعية من موقع الأستاذة النسويّة، ولذا فإنّ الجامعة «كانت فضاء تعلّمت فيه ومارست فيه الدفاع عن حقوق النساء: أستاذات وطالبات.»

وتقيم هذه التجربة الدليل على وجود إمكانات للمرور من فضاء نشاطي/نسويّ إلى فضاءات قد لا تُصنّف بالضرورة ضمن الفضاءات النسويّة، ولكنّها تتحوّل بفضل إصرار فئة من الناشطات في المجتمع المدني على نشر ثقافة المساواة والعدالة بين الجنسين، إلى أمكنة للتوعية والفعل النسويّ.

وبالنظر في رأي المشاركات في مدى قدرة بعض الجامعيات/الناشطات على نشر المعرفة النسويّة ومسؤوليتهن على تحويل الكليّة إلى مكان نسويّ نتبيّن اختلافا في التقييم إذ تنتقد ‹مها عبد الحميد› و›كوثر عبّاس› سلوك بعض «النسويات الأكاديميات» الذي يتعارض مع ما تقدّمنه في الدرس. فلئن كان من المتوقع أن تكون الجامعة فضاء للتعلّم وتنمية الفكر النقدي وأن تكون الجامعيات قادرات على التأثير في المتقبلين/ات للدرس النسويّ فإنّ بعض التجارب كشفت عن واقع تلوح فيه المفارقات والتناقضات. وبناء على ذلك فإنّ الجامعة لم تجعل ›مها عبد الحميد‹ و›كوثر عبّاس‹ يكتشفان الفكر الذكوري وعلاقات القوّة والممارسات التمييزية وكره النساء والهيمنة الذكورية فقط، بل كانت مكانا «يُكسبنا وعيا بصاحبات الامتياز المعرفي وكيفية ممارستهن للسلطة» ويجعلنا نكتشف حسب ‹مها عبد الحميد›، جنوح بعض من «يتموقعن باعتبارهنّ نسويات إلى ممارسة التمييز، والهيمنة فضلا عن عدم تضامنهن مع الطالبات المُتحرّش بهن وفئات من النساء من المضطهدات وعدم تعاطفهن مع اللواتي مررن بتجارب مريرة». وبناء على ذلك لا بدّ من الإقرار بأنّ بعض الجامعيّات لم يكنّ «نماذج قدوة « تُحفّز الطالبات/ة على تبنّي الفكر النسوي بل على العكس من ذلك، ساهمن في شيوع ممارسات وسلوك ومواقف لا تمت بصلة إلى الالتزام النسويّ فكانت الفجوة واضحة بين القول والفعل.

من الواضح أنّ الانفتاح على الدرس النسويّ غير معمول به في أغلب الجامعات، وخاصّة تلك التي تدرّس علوما لا تكترث بالمقاربة النسويّة ككليّات الطبّ والهندسة وعلوم الكيمياء والفيزياء وغيرها مع أنّ تجارب أخرى في الهند مثلا جعلت النجاح في هذه المواد شرطا إلزاميا حتى يتحصّل الطالب/ة على شهادته. ورغم أنّ سياسات الدولة التونسية منخرطة في ‹›مناهضة التمييز واعتماد المقاربة الجندرية‹، فإنّ المبحث النسويّ لم يُشكّل اهتمام اللجان المشرفة على الإصلاحات في المؤسسات الجامعية.

وأمام التفاوت بين الجامعات في مستوى إدماج الدرس النسويّ/الجندريّ في التكوين ووجود كتلة مدافعة عن الأيديولوجيا الذكوريّة تصدّ كلّ محاولة للتزحزح عن «السياسات التعليمية المحافظة» كان على الطالبات مناقشة عدّة مواضيع تتصل بالإجهاض الآمن والجنسانية

ومواجهة التحرّش وغيرها من المسائل في أماكن منزوية في المقاهي أو في المبيتات الجامعية أو فضاءات التسلية الأخرى.

ولئن لم تتحدّث المشاركات عن المبيتات الجامعية التي كانت تنظّم، على حدّ علمنا، مجموعة من الأنشطة كمناقشة الأفلام ودعوة بعض المبدعات والمثقّفات لتقديم محاضرات وغيرها فإنّ التساؤل عن وجاهة تصنيف بعض المبيتات الجامعية ضمن الأمكنة التي انبثق فيها الوعي النسويّ أو تطوّر جائز. وفي هذا الإطار يتبادر إلى ذهننا سؤال مُماثل حول صفة المراكز والمؤسسات التي أنتجت دراسات وبحوث تتناول قضايا النساء وعقدت مؤتمرات وندوات وورشات تدريب وطنية وعالمية. فهل تعدّ هذه المراكز ضمن الأمكنة النسوية أم لا؟ فباستثناء ‹هندة الشناوي› التي تذكر أنّها واكبت بعض الأنشطة في مركز البحوث والدراسات والتوثيق والاعلام حول المرأة»الكريديف» وعزيز الطرابلسي الذي ذكر أنّه كان يتردد على مكتبة «الكريديف»، لا تشير المشاركات إلى الدور الذي اضطلع به هذا المركز ولا إلى مساهمة مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوثر» في نشر ثقافة حقوق النساء و›بناء المعرفة النسائية›. فهل يعني ذلك أنّ هذه المراكز ذات سمة ‹نخبوية› ومرتبطة بفئة من النسويات وعاجزة عن استقطاب الشابّات ولا تثير فضولهن؟ وهل يعود سبب ‹مقاطعة› الناشطات لهذه المراكز إلى اقترانها بالدولة وخضوعها للسياسات الرسميّة وخدمتها ل›نسويّة الدولة› أو ارتباطها بالجهات العربية المشرفة عليها ؟

ثمّ إنّ ما يسترعي الانتباه في هذه الأمكنة أنّها كانت في نظر بعض المشاركات «إلى حدّ ما نسويّة» بينما كانت وفق أغلبهن، «نسويّة»، ويعكس اختلاف معيار الحكم على هذه الأمكنة اللُبس الحاصل في أذهان عدد من النساء بما فيهنّ الجامعيات، بين ‹النسائية والنسويّة›.[63] كما يعود الأمر إلى أنّ التوصيف مرتبط بفهم المشاركات للنسويّة وتنوّع تجاربهن من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ومن محيط اجتماعي -جغرافي إلى آخر، دون أن نتغافل عن دور الشخصيات المؤثرة التي كان لها الفضل في تحفيز عدد من الشابّات والنساء على مزيد الاطلاع على الفكر النسويّ والانخراط في النضال السياسي-النسويّ.

وبالإضافة إلى ما سبق لاحظنّا أنّه كلّما اتّسعت دائرة علاقات الناشطات(بفضل حضور الندوات والمؤتمرات التي تناقش قضايا تهميش النساء وحقوقهن الإنجابية وحقوقهن الجنسية والهشاشة الاقتصادية التي تشمل فئات كبرى وتأثير التغيرات المناخية على النساء وغيرها من المواضيع) أمكن للمواكبات لهذه النقاشات، تطوير فهمهن للنسويّة أو التأثّر بفهم محدّد تطرحه هذه الجمعيّة أو تلك، للنسويّة. وهذا يعني أنّ المشاركات لسن راضيات عن أداء الجامعة والنوادي الثقافية وغيرها من الأطر التي لم تستطع ‹تعميم› أو ‹دمقرطة› النسويّة لتصبح متاحة للجميع وحاضرة في المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية وغيرها. وتبيّنا أنّ الأمكنة النسويّة ترتبط، في نظر المشاركات، بالفاعلات/ين /الشخصيات القدوة/ ولذلك فإنّهنّ يُمارسن رقابة على أداء من يُعوّل عليهن في نشر معرفة نسويّة تساعد على تحليل الظواهر كهجرة النساء واستغلال العاملات في المصانع وتنامي عدد ‹›البرباشة›› و»قتل النساء››وغيرها. ومن هذا المنطلق تُحمّل الجامعيّات مسؤولية تحويل الجامعات إلى

63 الفرق بين الدراسات النسائية والدراسات النسوية يكمن في التركيز والمنهج المتبع. فالدراسات النسائية تركز على دراسة النساء كفئة اجتماعية وتهدف إلى فهم مكانتهن وتجاربهن وتحليل القضايا المرتبطة بهن كحقوق المرأة، والعنف ضد النساء، والصحة النسائية، والمساواة بين الجنسين وتمكين النساء والنظر في إبداعهن. أمّا الدراسات النسوية فتركز على تحليل أوضاع النساء وفهم العلاقات بين الجنسين وتهتم بالتحليل النقدي للهياكل الاجتماعية باعتماد منظور نسوي ومعجم صاغته مختلف المنظّرات النسويات في اختصاصات مختلفة.
Jane Aaron and Sylvia Walby (eds), Out of the Margins: Women's Studies in the Nineties (London, Falmer Press, 1991) ; Sneja Gunew (ed.), A Reader in Feminist Knowledge (London, Routledge, 1991)., Fatoumata Badini-Kinda, Les femmes et les études féministes dans les universités, enjeux et stratégies : le cas du Burkina Faso, Dans La recherche féministe francophone (2009), pages 81 à 90.

«أمكنة نسويّة» قادرة على الاضطلاع بدور هامّ في مستوى نشر معرفة تلبيّ ظمأ الناشطات، وكذلك عقد شراكات مع المجتمع المدنيّ .
ولئن أشارت بعض المشاركات إلى دور النساء ‹‹العاديات››(الأمّ/الجدّة/...) في نقل‹الحسّ النسوي› / الحساسية الجندرية (la sensibilité du genre) والتعريف بتجارب تحدّي المجتمع البطريكي في الفضاء المنزليّ أو الفضاء النقابيّ أو الفضاء التربويّ فإنّ ما ثبت لدى أغلب المشاركات هو ارتباط المكان النسويّ بالأطر النشاطيّة والمعرفية التي تُناضل فيها النساء من أجل حقوق النساء والشابّات فتكون النسويّة حاضرة فيها فكرا وممارسة. وهو أمر يتطابق مع ما رسخ في المتخيّل العامّ من وجوب اقتران الأمكنة النسويّة بالنساء وبالجمعيّات المدافعة عن حقوق النساء، والمناضلة في سبيل تحسين أوضاع الشابّات والنساء وإرساء مجتمع تسود فيه مجموعة من القيم، وأهمّها المساواة والعدالة والديمقراطية. وتختلف هذه الأمكنة النسويّة عن غيرها من الأطر(المعاهد، الجامعة، الاتحادات، النوادي الثقافية...) في أنّها منفصلة عن المؤسسات الرسمية ومندرجة ضمن الحركات الاجتماعية، وتقع على عاتقها مهمّة النهوض بواقع النساء.

2/2-المجتمع المدني وتأسيس الأماكن النسويّة

انطلقت النساء في فترات تاريخية سابقة(1930)من توصيف واقعهن القائم على التمييز والتهميش والاستبعاد ثمّ المطالبة بتغيير أوضاعهن. أمّا اللواتي نشأن على ما وفّرته دولة الاستقلال من تشريعات لصالح النساء فقد اعتبرن أنّ المشاركة في الشأن العامّ والحضور في مختلف الفضاءات هي في حدّ ذاتها، وسيلة لفرض الذات والفعل في الواقع من أجل تغييره. وقد ترتّب عن ذلك إرباك التمثلات الخاصّة بالفضاء العامّ الذي يُنظر إليه تاريخيا، على أنّه فضاء ذكوري بامتياز ومعزول عن الفضاء الخاصّ المرتبط بالنساء والعائلة.
وفي هذا الإطار تُشير شهادات المناضلات إلى تنوّع تجاربهن إذ التحقت ‹هادية جراد› بالحزب الشيوعي ثمّ بالاتحاد العامّ التونسي للشغل ثمّ ب»جمعيّة النساء الديمقراطيات» و»جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية». وكان التردّد على أماكن مختلطة والنضال جنبا إلى جنب مع الرفاق مهمّا، وفي الوقت نفسه، موضّحا درجات التمييز الممارس على أساس النوع الاجتماعي.

وبينما قرّرت فئة من التونسيات في أواخر السبعيات، الانضمام إلى الحزب الإسلامي باعتباره حامل مشروع مجتمعيّ جديد اختارت فئة أخرى، حسب ‹هادية جراد›، الخروج من عباءة الأحزاب ومواجهة ‹نسويّة الدولة› أو ‹النسويّة الذكورية‹‹Le féminisme au masculin والتعويل على النفس من خلال تحويل نادي ‹‹دراسة قضايا النساء›› سنة 1978، (نادي الطاهر الحداد) إلى مكان للتفكّر في منزلة النساء وتطوير الوعي واكتساب معارف جديدة و»النقاش الحرّ حول مواضيع تشمل المشاركة السياسية والجنسانية وامتلاك الجسد وغيرها» حسب ‹هادية جراد›.

ولا يختلف موقف ‹درّة محفوظ› عن بقية المناضلات إذ تذهب إلى أنّ نادي الطاهر الحداد كان آنذاك، «مكانا لاكتشاف نساء آخريات لهنّ تجارب ممثالة تتعلّق بمصادرة حقّ الكلمة la confiscation de la parole وأالاضطهاد.» وهو ما حفّز العضوات على «الابتكار» والعمل من أجل انتزاع مجموعة من الحقوق وتغيير البنى الاجتماعية والذهنية وغيرها.

وممّا لاشكّ فيه ساعدت البحوث والدراسات الميدانية النسويات على اكتشاف واقع أصرّ الخطاب الرسمي على طمسه إذ لاحت مظاهر التمييز والتهميش والهشاشة الاقتصادية والحيف الجندري والعنف المسلّط على النساء. وكان على العضوات في نادي الطاهر الحداد «تحليل بعض الظواهر الاجتماعية وعرض تصوراتهن حول الواقع المعيشي للنساء ‹‹le vécu des femmes» وفق› درّة محفوظ›، واقتراح بعض المشاريع من ذلك «إصدار مجلّة «نساء»

سنة 1985 التي ترى ‹هادية جراد› أنّها «كشفت عن طاقات إبداعية كانت مغمورة وعزّزت مشاركة النساء في المجال الثقافي».

وما إن تأسست الجمعيتين النسويتين: «جمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية» و»جمعية النساء الديمقراطيات «1989حتى انطلق العمل المهيكل وتنفيذ عدد من المشاريع التي تهدف إلى بث الوعي وترسيخ ثقافة المساواة. وعلى مرّ السنوات ازدادت مطالب النساء ففكّرت»جمعيّة النساء الديمقراطيات» في توسيع أنشطتها فأنشأت فروعا لها في صفاقس والمنستير وبنزرت والقيروان، وهي استراتيجية كانت تهدف حسب ‹هادية جراد›، إلى «تحويل الجمعيّة إلى قوّة ضغط نسائية « يُحسب لها ألف حساب.

ولكنّ هذا المشروع الذي كان من المفروض أن يتناول قضايا النساء في مختلف الجهات، وبالخصوص الريفيات، وتحليل واقع التمييز والاستغلال والاضطهاد سرعان ما اصطدم، خاصّة في «عهد بن عليّ» بسياسة التضييق على مختلف مكونات المجتمع المدني، بما فيها «جمعيّة النساء الديمقراطيات». فقد كانت السلطة السياسية حسب ‹هادية جراد›، تمارس على الآباء والأزواج والأبناء ضغطا حتى يمنعوا النساء من الانخراط في الجمعيّة ويفرضوا الرقابة على تحركاتهن. وقد ترتّب عن «مناخ القمع والاستبداد» خفوت الحسّ النضالي لدى فئات من النساء، من جهة، والشروع في تنظيم الأنشطة وعقد الجلسات والمؤتمرات في الفنادق، من جهة أخرى. وأدّى رفض دور الثقافة تمكين «جمعية النساء الديمقراطيات «و»جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية» من استغلال الفضاء العامّ، حسب ‹هادية جراد›، إلى صعوبة التواصل مع النساء في الجهات، واتّهام «جمعية النساء الديمقراطيات» بالنخبوية ووصم النسويات.

ومع استمرار مرحلة «الانغلاق» والتضييق على الحريات وحظر الاجتماعات وملاحقة المعارضة واعتقال الناشطين/ات تكثّف بحث الناشطات عن أماكن بديلة. فكانت الاجتماعات في منازل عدد من المناضلات أو في مقرّات الاتحاد أو مكاتب رابطة حقوق الإنسان وغيرها، وسيلة لممارسة الحقّ في التفكير والتعبير والتجمّع والتخطيط ووضع استراتيجيات التصدّي للنظام السياسي وكذلك لتخطّي العراقيل والصعوبات التي يفرضها النظام البطريكي. وتذكر ‹هادية جراد›، في هذا الصدد، أنّ لجنة المرأة العاملة كانت آنذاك نشطة تحت قيادة ‹درّة محفوظ›، وقد سمح مقرّ الاتحاد، بكسر الحظر الذي فرضه النظام وذلك من خلال تنظيم أيام دراسية وتأسيس لجان مشتركة والقيام ببعض البحوث. وتقيم هذه المبادرة الدليل على وجود إمكانات للتشبيك والعمل المشترك بين عدد من مكونات المجتمع المدني.

وتشير ‹درّة محفوظ› إلى أنّ النسويات اقتنعن بأنّه كلمّا ضيّق النظام الخناق على عمل الجمعيات وحاصر فضاءاتهنّ الخاصّة صارت مقرّات بعض المنظمات والأحزاب وغيرها «منفتحة» على بعضها البعض بالضرورة، وملائمة لتنظيم الاجتماعات وبناء التحالفات مع الرابطة التونسية لحقوق الإنسان، ونقابة الصحفيين ومنظمة العفو الدولية الفرع التونسي (Amnesty International) وغيرها.
ولئن لم تتعرّض المناضلات والمشاركات في الدراسة إلى دور النساء في الجهات، وخاصّة ‹نساء الحوض المنجمي› سنة 2008 ، ونساء منزل بوزيّان في النضال من أجل التخلّص من واقع استبدادي فرض التهميش على عدد من الجهات فإنّنا نقدّر أنّ إسهام هؤلاء لا يمكن أن يغيّب حتى وإن كنّ لا يندرجن ضمن «الحراك النسوي». فقد كانت النساء فاعلات في الواقع وشاركن في الحركات الاحتجاجية المطالبة بالتوزيع العادل للثروات وبالاعتراف بحق الفئات المهمّشة في العمل والعيش الكريم والعدالة الاجتماعية. ولم تتوقّف أشكال النضال في دعم الأزواج والأبناء ومساعدة المنظّمين للاحتجاجات لوجستيكيا كنقل المراسلات وجمع الأموال والقيام بالتعبئة وغيرها بل نظّمت النساء الاعتصامات والمسيرات النسائية كالمسيرة التي انطلقت في الرديف في 27 جويلية 2008 ومسيرة 10 ماي 2009 للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين من

الأزواج والأبناء. كما أنّهن أسّسن شبكات تضامن وأمكن لهنّ التفاوض مع الشرطة وفرض شروطهن لتهدئة الوضع.

وبالرغم من الأدوار التي اضطلعت بها نساء الرديف وقفصة وأمّ العرايس ...في تونس أو بالخارج كالمهاجرات في مدينة Nantes اللواتي جمعن الأموال وكتبن البيانات أو قمن بإعداد الأطعمة عند عقد الاجتماعات العامّة أو عند تنظيم «تضامن حول مائدة الكسكسي» في 2009، لمناقشة الوضع السياسي التونسي فإنّهن قلّما يذكرن في الأدبيات التي وثّقت أشكال النضال قبل الثورة أو بعدها. [64] فقد اقتصر تناول التحرّكات الاحتجاجية للنساء(كمانيش ساكتة) في عدّة جهات (سبيطلة ومنزل بوزيّان...) على التغطية الإعلامية.[65]

وقد يفسّر تغييب نضال «نساء الجهات» عموما ب›تراتبية النضال» وبأنّ هؤلاء كنّ ينشطن في الخفاء ولأغلبهن أدوار ثانوية في العمل النضالي تتماهى مع أدوارهن الجندرية، وكنّ يتحركن في الغالب،في الفضاءات غير الرسمية، في حين احتكر الرجال الفضاءات الرسمية والنطق نيابة عن الجميع والتعامل مع الإعلام. فلا عجب أن صاح رجل مخاطبا امرأة أرادت أن تأخذ الكلام وتخاطب الجموع قائلا: ‹›اسكتي››. غير أنّ ما لم يكن في حسبانه، هو ردّ فعل النساء الرافضات للهيمنة الذكورية إذ انطلقت حركة ‹›مانيش ساكتة›› لتطالب بالعدالة الاجتماعية والعدالة الجندرية.

ويمكن القول إنّ وعي التونسيين/ات بأهميّة تحرير الفضاء العامّ وامتلاكه ازداد في مرحلة الانتقال الديمقراطيّ. فصار حضور النساء ومشاركتهن الهامّة في الاحتجاجات والاعتصامات وفي النقاش الذي كان يُعقد في الساحات العامّة(القصبة واحد واثنين، وساحة باردو..) وأمام المصانع والنقابات والوزارات وغيرها من الأمكنة مؤشرا على «أنثنة» الفضاء العامّ، وحدوث تغيير في طرائق استغلال الأمكنة وتوظيفها لخدمة النضال من أجل حقوق النساء. وقد أفرز ذلك أشكالا متعدّدة من النشاطية النسائية التي تقيم الدليل على اقتران النضال النسوي بالنضال السياسي والنضال النقابي والربط العضوي بين هذه الأطر، وبروز جيل من النساء الفاعلات المصمّمات على تحدّي النظام السياسي والنظام البطريكي، على حدّ سواء.

وقد تجلّت رغبة النساء في تغيير الواقع من خلال تأسيس الجمعيات فتكثّف الحوار وتعدّدت المشاريع وبدا التنافس على أشدّه بين جمعيات لها أحيانا تصورات مشتركة، وفي أحايين أخرى متباينة، ومنها التي استمدّت شرعيتها من تاريخ نضالي طويل ك›جمعيّة النساء الديمقراطيات›، و»جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية»، ومنها جمعيات حديثة النشأة ك»جمعيّة مساواة وتناصف»، و»رابطة الناخبات التونسيات»، و»جمعيّة بيتي» و»جمعيّة أصوات نساء» و»جمعيّة المرأة والمواطنة»بالكاف، و»جمعيّة جسور المواطنة» وغيرها.

ومن المثير للانتباه أنّ تفاوض الشابّات والنساء مع المجتمع البطريكي في المقام الأول ثمّ مع السلطة السياسية من أجل تأسيس أماكن للنشاط والنقاش وكذلك الحضور في الأماكن العامّة احتجاجا وتنديدا وممارسة للمواطنية قد استمرّ طيلة مرحلة «الانتقال الديمقراطي».

---

64 لمزيد الاطلاع يُنظر في : هدى العربي، نضال المرأة المنجمية من خلال أحداث الحوض المنجمي (بقفصة) تونس (جانفي2008) في المجلة الجزائرية في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 74، السنة 2016،صص46-29.، والفيلم الوثائقي «الرديف : النضال من أجل الكرامة» للمخرج نضال العازم الذي عرض معاناة النساء أثناء زيارة المعتقلين والعمل من أجل التحرر من أجهزة القمع.، الشارني، عبد الوهاب (1987)،من أجل مقاربة سوسيولوجية لأحداث جانفي 1984 وتحديد موقع الفئات الهامشية منها، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

Karine Gantin & Omeyya Seddik «Révolte du peuple des mines en Tunisie», juillet 2008 http://www.monde-diplomatique.fr/2008/07/GANTIN/16061

Karine Gantin ,Les Tunisiennes au coeur des protestations du bassin minier de Gafsa

TUNISIE / MOBILISATION POPULAIRE /Mai 2008

(Les Tunisiennes au coeur des protestations du bassin minier de Gafsa (free.fr

65 Luttes féminines régionales & féministes de la capitale : convergence ou rupture ? - Nawaat

وكان على الناشطات انتزاع حقّهن في المدينة، وخاصّة في الساحات العامّة حيث كانت المواجهات مع الجماعات الدينية، وخاصّة السلفية التي كانت تطالبهن بالعودة إلى البيوت والتزام البقاء في ‹الكوجينة› (المطبخ). وكان على الفاعلات في الجمعيات النسائية/النسويّة التفاوض ‹الداخلي› مع مكوّنات أخرى من المجتمع المدني لانتزاع مساحة تليق بهنّ وتسمح لهنّ بأن يكنّ مرئيات في كلّ مراحل النضال، والتنسيق المسبق مع جمعيات أخرى ومنظمات من أجل تغيير القوانين ودسترة حقوق النساء والتنديد بالإقصاء والعنف... وكذلك تقسيم الفضاء وهندسته على نحو يُرضي الجميع.

وبالنظر في تجارب المشاركات نتبيّن اختلافا واضحا بين الأجيال التي كانت تنشط قبل الثورة والأجيال التي انطلقت نشاطيتها بعد «تحرير» الفضاء العامّ وامتلاكه وممارسة الحقّ في التنظم والعمل من أجل تغيير الواقع. فبينما اكتفت المناضلات بالانتماء إلى جمعيتين، والعمل مع بعض الحلفاء التقليديين، بسبب السياق السياسي المقيّد آنذاك للحريات، تمكنّت الناشطات الجدد من الإفادة من مناخ ما بعد الثورة لتأسيس جمعيات ومنظمات ورابطات ارتفع عددها بصفة لفتت الأنظار. يُضاف إلى ذلك تخصيص أغلب الأحزاب «لجنة خاصّة بالمرأة»، وبروز مبادرات غير مهيكلة وظهور منظمات عالمية اختارت فتح فروع لها في تونس.

ولم يختلف الأمر بالنسبة إلى المنضوين/ات تحت الحركة الكويرية إذ برزت «موجودين» و»شمس» و»دمج» وغيرها من الجمعيات التي وفّرت أمكنة للنقاش والتخطيط والتدريب والاستماع إلى الشهادات وتوفير المرافقة الصحية والقانونيّة لضحايا العنف...كما أنّها دافعت عن حقوق «الأقليات الجنسية» والحريات الفردية وطمحت إلى تغيير عدد من القوانين.

والملاحظ أنّ تقييم المشاركات للجمعيات النسوية اختلف من فترة تاريخية إلى أخرى. فمن المشاركات من كنّ متحمسات للانضمام إلى الجمعيات ولكنّهن غيّرن مواقفهن بعد مدّة

زمنية بسبب عدم وجود خطابات أو أنشطة تلبي احتياجاتهن وتتلاءم مع قناعاتهن أو بسبب اكتشاف شيوع ممارسات داخل هذه الجمعيات تتنافى مع المُثل التي تحلم بها الشابّات. تصف ‹هندة الشناوي› في هذا السياق، الانطباعات التي كانت تحملها عن جمعية النساء الديمقراطيات. تقول:»النساء الديمقرطيات مثلا كانت مسكرة على روحها برشة... وماكانوش يقبلوا العضويّة للناس الكل... كانوا خايفين لا يتم اختراق الجمعيّة.» ولكنّ هذه الانطباعات سرعان ما تغيّرت بعد الثورة نتيجة الاحتكاك المباشر ببعض العضوات اللواتي تحوّلن إلى صديقات يُوضّحن العقبات التي اعترضت هذه الجمعيّة. ثمّ وعلى مرّ السنوات، ظهرت وهو أمر يثبت أنّ النظرة إلى الجمعيّات لم تكن تعكس بالضرورة، معرفة مباشرة بتاريخ نشأتها والظروف التي مرّت بها بل هي متصلة بالصورة المتداولة عنها والتي روّج لها النظام من خلال وسائل الإعلام الرسمية. كما أنّ طريقة الحكم على هذه الجمعيات›العريقة› وتقييمها تخضع لسياقات متنوّعة تؤثّر في بناء صورتها وفي طريقة الحكم عليها. ولنا أن نتساءل في هذا المقام: هل كانت الأمكنة النسويّة منفتحة على جمهور متنوّع يشمل الشابّات أم أنّ النسويّات لم يعملن على استقطاب شرائح عمرية مختلفة بحيث بقيت الأمكنة النسويّة مرتبطة بجيل أو جيلين؟

ولا يسع المتابع/ة للنشاطيّة التي أكسبت المجتمع المدني التونسي قيمة كبرى، ولفتت نظر العالم إلى فاعليّة التونسيات ومدى تصميمهن على تغيير واقعهن إلاّ أن ينتبه إلى تغيّر الوضع في أواخر العشرية الماضية. فقد تقلّص عدد الجمعيات على امتداد السنوات، ولم تعد تونس تُمثّل أولوية بالنسبة إلى أغلب المموّلين الذين غيّروا وجهتهم صوب ليبيا واليمن وسوريا وغيرها من البلدان التي سادت فيها الصراعات والحروب وانتشر فيها الإرهاب، وتفاقمت فيها مأساة النساء. فكان العنف والفقر والاضطهاد...وفترت عزيمة بعض الشابّات وبدا ‹الإرهاق النسوي› لدى فئة من النسويات جليّا.

وإزاء هذا الوضع الدقيق ارتأت الشابّات والنساء تحويل نشاطهن أو معاضدته بالعمل والدعاية ونشر المعرفة في الفضاء الرقمي. والظاهر أنّ السياق النفسي» والإحباط والإرهاق الذي تشعر به النساء بعد 25 جويلية 2021 قد دفع أغلبهن إلى الاستعاضة عن المشاركة في الاحتجاجات والحملات وغيرها من الأنشطة بالحضور في الفضاء الرقمي» على حدّ قول› شمس›.[66]

-2/3»رحلة« النسويات من الأماكن المادية إلى الفضاء الرقمي

تقوم فاعلية فئة من النساء والشابّات على الجمع بين النشاطية في الأمكنة النسويّة المتعارف عليها وفي الشوارع والساحات الكبرى، وبين النشاطية في الفضاء الرقمي أو الاكتفاء بالحضور الفاعل في المنصات المتنوّعة والذي يتزامن مع أحداث بعينها تهدّد حقوق النساء. ولذا كان الأنستغرام وفايسبوك وتويتر وغيرها من المواقع التواصلية يعجّ بالتدوينات والمبادرات والجدل والحملات وغيرها. فهل نحن إزاء انبثاق حركة نسويّة ناشئة يحلو لبعض الناشطات أن يطلقن عليها اسم»النسوية الرقمية/ السيبرية»؟ وهل تتنزّل هذه النشاطيّة الرقمية في إطار»الموجة النسوية الرابعة»؟

بدأت الموجة الرابعة حسب بعض الدارسات، سنة 2012 مع تحرير الولوج إلى الأنترنت في تونس واستعمال وسائل التواصل الاجتماعي التي ساعدت على دمقرطة العملية الاتصالية ومنحت المستخدمين مجالا للمشاركة والتفاعل وايصال الرسائل والحضور في المنابر الخاصّة.[67] وقد استعملت هذه الوسائل في الدعوة إلى الاحتجاجات، وبثّ الوعي والدعاية وتنظيم الدورات وغيرها من الأنشطة. ومثّلت ‹أنا زادة› في نظر ‹ مريم مطيراوي»»انطلاق الموجة الرابعة

66 شمس اسم اختارته ناشطة نسوية . ورد الرأي في حوار تمّ بتاريخ 2024-1-21.

67 Tazi, Maha (2021). The Arab Spring and Women's (Cyber)activism: "Fourth Wave Democracy in the Making?" Case Study of Egypt, Tunisia, and Morocco. Journal of International Women›s Studies, 22(9), 298-315.

للنسوية في تونس إذ ثمّة جرأة في الطرح ومشاركة وتعلّم» وتتفق معها ‹غفران فريجي›[68] وعضوات من «جمعيّة أصوات نساء» في الإشادة بالنضال الرقمي وكأنّه مثّل دفعا جديدا للحركة النسويّة ولفت إليها الأنظار إذ تكثّفت بيانات الجمعيات وبرزت أنشطتها المتنوّعة في هذا الفضاء فأكسبتها مرئية.

ولكن ألا يكون من المبالغ فيه الحديث عن موجة نسوية رابعة في تونس لاسيما في ظلّ غياب بحوث ودراسات معمّقة حول هذا الموضوع؟ ثمّ ألم تلاقي استعارة ‹الموجة› انتقادات شديدة في الأوساط النسوية العالمية، واختُزِل الاستعمال في وظيفتها التمييزية بين محطة تاريخية وأخرى أدّت إلى هيكلة تاريخ التيارات النسويّة؟ وهل وفّرت المنصات الرقمية فرصة للاطلاع على النظريات النسويّة والجدل المطروح في العالم حول عدّة قضايا ؟ وهل حفّز هذا الفضاء الرقمي الناشطات التونسيات على وضع تعريف لهذه النظريات الرحّالة يتلاءم مع السياق التونسي؟[69]
وبالنظر في دواعي حضور النساء في الفضاء الرقمي نتبيّن أنّها ترجع حسب أغلب الناشطات، إلى أنّ ممارسة النسويّة في الفضاءات المادية، لم تعد ترضي تطلعاتهن خلافا عن النشاطية الرقمية التي تبدو أكثر تلاؤما مع معارفهن ومهاراتهن. وتُرجع ‹سهام بن عليّ› [70] الشغف ب»النسوية الرقمية»» إلى أنّها ‹»متقدّمه لأنّها مرتبطة بجيل جديد له اطلاع مختلف ومتطوّر واطلاع على المعرفة التي تُبنى في العالم الافتراضي مبنيّة على تجارب مختلفة». ولعلّ السؤال المطروح في هذا السياق: هل كانت النسويات على وعي بهذه التحوّلات في أنماط التفكير وبنى المعرفة بحيث استشرفن المستقبل أم باغتتهن التحولات فكانت الفجوة الرقمية حقيقة لا مِريَة فيها؟

وتربط بعض المشاركات سبب تحويل الفضاء الرقمي إلى ‹مكان نسويّ› بديل بأزمة كورونا التي كانت لها انعكاسات بالغة الخطورة على المجتمع المدني، ومعنى هذا أنّ تواصل الناشطات مع بقية النساء في الأزمة ما كان بإمكانه أن يستمرّ لولا الاعتماد على ما يتيحه الفضاء الرقمي من إمكانات لكسر الحدود وتجاوز التحديات. كما أنّنا نرجّح أنّ وعي الناشطات في الفضاء الرقمي بإمكانية الوصول إلى شرائح اجتماعية مختلفة ومجموعات شبيهة في مختلف بلدان العالم جعلهن أشدّ تمسكّا بهذا الفضاء الثريّ والمتجّدد.

ولكن هل كانت الفضاءات النسوية»التقليدية»» مفتقرة إلى نسق يسرّع وتيرة ابتكار أفكار جديدة تضفي بريقا على هذه الأمكنة ؟ وهل يعدّ التجدّد شرطا من شروط محافظة الأمكنة النسويّة على مكانتها وسلطتها في التأثير؟

تبيّن ‹هندة الشناوي› أسباب انخراطها في النشاطية الرقمية قائلة:»أنترنت بالنسبة ليّا هو أول فضاء لقيت فيه راحتي ولقيت أفكار تشبهلي وتثقفت فيه وكان فيه النفاذ للمعرفة النسويّة في تونس مرّ أساسا عبر الأنترنت. كنا ندورو من مكتبة لمكتبة ومن بلاصة لبلاصة، كان فمآ نقص وحتّى لتوة نقص كبير في المعرفة النسويّة وفي الكتب النسويّة». وتشاطرها ‹غفران الفريجي› الرأي فتؤكد على أنّ هذا الفضاء الرقمي يوفّر «منصة للمعرفة النسويّة وفرصة لبناء مواقف نسوية وذلك من خلال الاطلاع على مرجعية صاحب الموقف والمعلومة». ولاشكّ في أنّ ما تعرضه المنصات النسوية من أخبار ونصوص مرئية ومسموعة ومكتوبة حقّق التثاقف والتشبيك بين مختلف الفاعلات اللواتي اكتسبن مهارات الإبحار في العالم الرقمي وحسن استغلاله لمواجهة الأنظمة البطريكية ومختلف أشكال الهيمنة السياسية والذكورية والاقتصادية والاستعمارية وغيرها. كما أنّ هذا المحتوى النسويّ ساعد النساء على بناء

68 لقاء ضمن المجموعة البؤرية الثانية،عن بعد، بتاريخ 2023-12-28
69 Akane Kanai, Intersectionality in digital feminist knowledge cultures: the practices and politics of a travelling theory, Feminist Theory, Volume 22 Issue 4, December 2021, pp. 518-535.

70 المجموعة البؤرية الأولى، نادي الجندر، بتاريخ 18 نوفمبر 2023.

مواقفهن وتشكيل وعيهن بمختلف وجوه التميز واللاعدالة والإقصاء والتهميش ...وحفّزهن على ابتكار أشكال جديدة من المقاومة.

ولكنّ هذا الرأي يثير قضية سبق وأن أشارت إليها المشاركات في معرض حديثهن عن النسويّة فهل أنّ من شروط المكان النسويّ أن يوفّر المعرفة؟ وهل هي معرفة تكتسب من التجارب والنقاشات أم لابدّ من توفّر مراجع أساسية؟ وإلى أي مدى عملت مُؤسسات الجمعيات على توفير ‹مكتبة» صغيرة داخل فضاء العمل أو جعلت ‹»الكتاب خير جليس وأنيس› للناشطات؟ لا يختلف إثنان في أنّ من مزايا الفضاء الرقمي ظهور منابر جديدة للحوار حقّقت درجة عالية من التفاعلية بين أطراف عديدة في جميع أنجاء العالم والتشبيك معهم، ووفّرت فرصا كثيرة لبناء علاقات مع الآخرين والعمل معهم من أجل إحداث التغيير، وهو ما أكّدت عليه ‹مريم مطيراوي› و›سيرين›[71] وغيرهما حتى صار الفضاء الرقمي أحبّ لديهن من الفضاء العامّ المادي ومكانا يوفّر فرصة للمقاومة ‹»ومصدرا للمعلومات» لاسيما بعد توّفر المكتبات الرقمية التي استطاعت أن تحدّ من الفجوة المعرفية والانقسام بين النسويات في الجنوب والنسويات في الشمال ''digital divide''.
أمّا ‹مها عبد الحميد› فإنّها ترجع أسباب تكثيف المنضويات تحت حركة ‹أصوات النساء التونسيات السوداوات» النشاط في مواقع التواصل الاجتماعي إلى «غياب هيكل يسمح بالتفكير الجماعي حول قضايانا. فالمجتمع لا يسمح لك بالانتباه إلى خصوصيتك كامرأة سوداء...وتقاطع النضالات غير متوفّر».

ونظرا إلى تهميش قضايا العنصرية وعدم الاكتراث بتاريخ نشأتها وانتشارها في المجتمع التونسي من جهة، ولامرئية مشاركة النساء السودوات في المقاومة الوطنية وفي النضال النسوي، من جهة أخرى فإنّ ممارسة النسوية السوداء انطلقت من الفضاء الرقميّ حيث أمكن للمجموعات في تونس وبالخارج أن تلتقي رغم بعد المسافات، لتناقش ما يشغلها وتتبادل التجارب وتقدّم الشهادات وتخطّط وتبني العلاقات... ونستشفّ من وراء هذا الرأي، أنّ الفضاء الرقمي صار مُقدّما على الفضاء الماديّ لأنّه يوفّر حلاّ لمن عسُر عليها الانتقال وتكبّدَ مصاريف السفر أو للمجموعات التي لا تملك مقرّا خاصّا بها بل هو الإمكانية المتاحة والعملية في ظلّ غياب أطر أخرى. وبالإضافة إلى ما ذُكر يوفّر الفضاء الرقمي من خلال الندوات أو الاجتماعات الي تعقد عن بعد، فرصة لطمس الفروق الطبقية إذ ليست المشاركةُ بحاجة إلى ارتداء ملابس تتلاءم مع الاجتماعات، التي تنقلب في بعض الحالات، إلى مناسبة لعرض الأزياء وإبراز آخر التقليعات بل إنّ من حقّها أن لا تظهر في الكاميرا.

ولئن ركّزت أغلب الناشطات على مزايا العمل في الفضاء الرقمي واعتبرنه مقابلا للمكان النسويّ ‹التقليدي› فإنّ ‹غفران الفريجي› و›مريم مطيراوي› تعتبران أنّ هذا الفضاء «يسمح بنشأة مجموعات وتحركات انطلاقا من الفيسبوك لتنتشر بعد ذلك في الشارع»، ومعنى ذاك أنّ حملات التضامن والتعبئة هي وليدة النقاش في الفضاء الرقمي والمحاججة وإثبات الوجود الذي يتحوّل بعد ذلك إلى الفضاء المادي. وهذا العمل المشترك في الفضاء الرقمي هو الذي يمكّن عددا من الشابّات من الدخول في مجموعات رقمية›» cybercommunities›» وانتزاع الاعتراف وامتلاك مساحة للتعبير الحرّ عن آرائهن وتصوّراتهن للنسوية وللمجتمع ولإمكانات التغيير.

وتلحّ ‹آمنة ميزوني› على وجود علاقة وطيدة بين الفضاءين: تأثّرا وتأثيرا، فالواحد انعكاس للآخر. تقول: إنّ «الفضاء الرقمي هو امتداد للفضاء العام أو بلغتنا نحن هي» قهوة الحومة بمستوى أكبر شويا واكهو .. حديث القهاوي تلقاه غادي، الحديث الي غادي تلقاه يمشي للقهاوي وهو أيضا امتداد للفضاء الخاص. مع الأسف هناك عديد الأشخاص لا تتعامل مع الفضاء الرقمي كفضاء خارج ملكيتهم ولكن الإدمان عليها يجعلهم يظنون أنها « متاعهم».

71 رفضت المشاركة التصريح باسمها . لقاء ضمن المجموعة البؤرية الثانية، بتاريخ 2023-12-28

غير أنّ انتشار العنف الممارس في الفضاء الرقمي جعل الناشطات يفرضن على أنفسهنّ» الرقابة الذاتية» ويصبحن حذرات أكثر فأكثر، مادام هذا الفضاء ليس «محايدا» على حدّ قول ‹ليلى المنكبي›، ولم يعد وسيلة لبناء علاقات سويّة وندّية بل صار الفيسبوك حسب ‹أيلا السلامي›[72] فضاء «تنتشر فيه ظاهرة العنف، وتُفرض فيه الأفكار دون الرغبة في التزحزح، وبالتالي فإنّه ليس فضاء لتبادل الأفكار النسوية›» ومناقشتها بكلّ حريّة إذ ارتفعت أصوات تريد ‹تصميت› الناشطات والنساء اللواتي يخرجن عن السرب.

ولئن بدت هذه الآراء مختلفة عن الموقف الذي عبّرت عنه أغلب المشاركات فإنّها تشير إلى شرط آخر لا بدّ أن يتوفّر في الأمكنة النسويّة وهو توفير الأمان، وهو يتجاور مع شروط أخرى كاحترام الرأي المخالف، والقدرة على إدارة الجمعيّة وضبط ميزانيتها وحسن التخطيط، والقدرة أيضا على التجدّد والابتكار.

تبدو النشاطيّة في هذا الفضاء الرقمي، ممارسة فردية عند البعض، وجماعية ومنظّمة حسب البعض الآخر. وبصرف النظر عن شكلها فإنّها تلبّي حاجة لدى المقبلات عليها وتجعلهنّ فاعلات في الحركة النسوية، وقادرات على إحداث التغيير من موقع مختلف. وتوضّح ‹ليلى المنكبي› هذا الرأي بقولها: « ليس من الضروري الانتماء لجمعية أو طرف معيّن حتى تتمكّن من ممارسة نشاطك النسويّ. كما أنّ النسوية الرقمية هي شكل جديد فمن خلال منشورات ومحتوى مدروس يمكنني المساهمة في الحركة النسويّة. فرغم أنّ المظاهرات مهمّة ولكنّها ليس منطقة الراحة الخاصّة بي. منطقة الراحة الخاصّة بي للتعبير أكثر هي الفضاء الرقمي الذي أحقّق فيه فائدة أكبر نظرا لخبرتي التقنية في المجال.»

ولا غرابة في هذا الموقف فهذا الجيل الذي تشبّع من ثقافة حقوق الإنسان وواكب التطوّر التكنولوجي بات يمارس حقّه في الاختيار وفي تحديد موقع ممارسة نسويته وفق تصوّر يحتلّ فيه الفرد المركز ويكون فيه البحث عن الراحة والانسجام والسكينة مُهمّا حتى يستطيع أن يُبدع ويفيد الآخرين بطريقته الخاصّة. وهنا يكون الفضاء الرقمي هو البيت ومقرّ العمل والسكن وفضاء الإنتاج.

ولئن أشارت أغلب المشاركات إلى أسباب تكثيف أنشطتهن في الفضاء الرقمي في السنوات الأخيرة، والتي تعود في مجملها إلى عدم وجود ما كنّ يطمحن إليه داخل الأمكنة النسوية المتعارف عليها و›التقليدية› أو بسبب الهشاشة الاقتصادية وضعف الإمكانيات فإنّ من الناشطات ك›ليلى منكبي›، و›منال الأسود›[73]... من اعتبرن أنّ الفاعلية في الفضاء الرقمي لا تتعلّق بموقف من الجمعيات النسوية بقدر ما تعكس خصوصية جيل ولد في عصر الرقمنة فتشكّل وعيه وثقافته على أساس يولي التفاعل في الفضاء الرقمي أهميّة قصوى. ولذا كان من ‹الطبيعي» أن تبني الشابّات معارفهن وخبراتهن وعلاقاتهن ومواقفهن من خلال هذا الفضاء، وكان من المتوقّع أيضا أن تميل أغلبهن إلى النشاطية الفردية بهدف المحافظة على استقلاليتهن وحرّية الحركة بعيدا عن ضوابط الارتباط بالمكان النسوي/الجمعيّة. وتفسّر ‹منال الأسود› هذا الموقف بقولها:» هذا اختياري، أرغب في أن أكون حرّة وأن تكون افكاري معبّرة عني فقط.لأنه، أحيانا، عندما تكون منخرطا في جمعية أو منتسبا لعمل معين تفتح باب الخلط بين ماهو شخصي وما هو مهني. أريد أن اتشبث باستقلاليتي وفي نفس الوقت أمارس نشاطي النسوي.›» ولا يخفى أنّ رؤية الناشطات لمسألة الانضباط و›العقد› الداخلي الذي ينظّم العمل الجماعي معبّرة عن فهم مختلف للسلطة والحريّة والفردانية والالتزام بأُطر العمل الجماعيّ ومبادئه.

---

72 لقاء ضمن المجموعة البؤرية الثانية،،عن بعد بتاريخ 2023-12-28

73 مقابلة بتاريخ 14 ديسمبر 2023

وعلى غرار الجامعيات اللواتي خُضن معارك من أجل تحويل بعض قاعات الدرس إلى أمكنة نسوية تُعقد فيها ورشات للتفكير في قضايا ذات صلة بحقوق الإنسان للنساء والفكر النسويّ، ناضلت الشابّات في الفضاء الرقمي من أجل فرض كتابة بديلة عن السائد تكسر القواعد، وتتحدّى الفكر الذكوري وتفرض بناء معرفة نسوية أكثر جرأة وقدرة على فضح المستور وخلخلة بنى الهيمنة. وتوضّح ‹هيفاء ذويب› هذه الرؤية التي تعتبر الكتابة في المواقع الرقمية النسوية أو المستقلة والحرّة عاضدة للأمكنة النسوية بقولها:» ماثماش أكثر من الكتابة ساهمت في بناء معرفة دسمة، خاطر كان باش تكتب باش تبحث وتشوف الناس شنيّة قالت، وتشوف شكون يفكّر معاك من نفس الزاوية وفي نفس الإشكالات ... مساحات الكتابة البديلة الي وقتها.. ساهمنا فيها واطرحت ولتو المسار هذا... حتى نهار إلي الفضاءات المحسوسة تضيق بينا الكتابة هي رحبة جدّا».

وتدعونا ‹ريم بن رجب› إلى النظر في تجربة «شمل» باعتبارها فضاء نسويّا ساهم في نشر المعرفة النسويّة وبنائها. تقول: «كان بحث حقيقي نحو أني نلقى أشخاص يشبهولي ويفهموني ويفكرو كيفي ونفهمهم زادة. فكان فما برشة نقاشات في شمل مهمّين جدا، لأنه في اعتقادي، ‹شمل› كانت مركزة على جانب المعرفة، البنات حطوا مقالات ودراسات، كنت ندخل نقرى ونتعلم، نتقابلو حول أفلام حول كتب، ديما فما نقاشات، كانوا عاملين زادة مدوّنة يكتبو فيها ويتسمى من أول الفضاءات الي تخلقت لإنتاج المعرفة النسوية. راو فعلا وقت ‹شمل› عاملين مدونة ماكان شيء، بعد الثورة، بعد لحظة 2010-2011 كنا كلنا والناس الكل ماشية في اتجاه مساءلة منظومة الحكم والسلطة. وكل ماهو سياسي بحت في معناه التقليدي... وماكانش مطروح مجلات ومنصات إلكترونية مختصة في قضايا الجندر والجنسانية. وكان ثمة في ‹شمل›، نساء يكتبو ويكتبوا برشة.»

وتلتقي ‹هندة الشناوي› مع ‹ريم بن رجب› في الإشادة ب»تجربة ‹شمل› الي هي تجربة مهمّة جدّا جدّا، وقاعدين نحاولوا تو نوثقولها ونخليو أثر للمجموعة هذه، وهي بصفة تلقائيّة تقابلنا نساء... بنات في نفس العمر تقريبا، نحسوا في نفس القلق، متع النسويات وإلاّ النسويّة لي نشوفوا فاها في الفضاء العام وإلاّ في الفضاء السياسي، والإعلام بصفة عامّة، ماتشبهلناش، ماتحكيش علينا. نسوية الدولة والنسويّة المؤسساتيّة الي قريبة من نسويّة الدولة، خاطر فمّا زادة النسويّة لي نقولوا يساريّة أو القريبة من اليسار تتبنّى زادة نفس الخطاب ونفس السرديّة للنسويّة في تونس، ونحن حبينا نبحثوا في سرديات أخرى ويكون عنّا طرح مختلف للنسويّة، وخاصّة تجرّأنا وعاركنا على فضاءات تكون خاصّة لينا نحن، يعني مايكونش مهيمن علاها النسويّة القديمة هذه.... وتكون فقط للنساء.»»

ونستشفّ من وراء هذه الآراء، أنّ الأمكنة النسويّة المتوفرة لا تلبي حاجات الجميع. وعلى هذا الأساس كانت رحلة الناشطات إلى الفضاء الرقمي معبّرة عن موقف رفض الأطر الرسمية وأنماط الفكر والعمل المألوفة، وهو ما يؤكّد مرّة أخرى، أهميّة تجدّد الأمكنة النسويّة. ولأنّ هؤلاء الناشطات يتموقعن بطريقة مختلفة ولا يعترفن بالسلط ولا يرغبن في التعامل مع الآخرين وفق المعايير المنظّمة للعلاقات داخل المجتمع المدني فإنّهن يعتبرن أنّ التغيير / التثوير لابدّ أن يشمل العمل النسويّ حتى في الأمكنة التي ينطلق منها وفي الخطاب الذي يتبنّاه. إنّها ثورة تكتسح كلّ الفضاءات فلابدّ من الاستجابة لقوانين الحركة و›رياح التغيير›.
ونتبيّن من خلال إلحاح مجموعة من الناشطات على تغيير قواعد الكتابة لتغدو معبّرة عن «جيل الثورة»› ورؤيته للحياة والكون أنّ من شروط الأمكنة النسويّة سواء كانت مادية أو رقمية أن تنتج خطابات جديدة وسرديات متنوّعة، وأن لا يقتصر الإنتاج على إصدار البحوث. فثمّة انشغال باللغة النسوية والترجمة النسوية، وثمّة انكباب على نحت مصطلحات وعبارات محليّة وأصيلة والتفكير في أشكال جديدة من التواصل.

وتطرح هذه الآراء إشكالية إنتاج السرديات النسويّة: من يتوّلى القيام بها؟ وما هو الزمن الملائم

للتفكير فيها وكيفيّة ترتيب الأولويات وطرائق انتزاع فضاءات جديدة تعبّر عن اهتمامات بعض المجموعات التي لا تعكس بالضرورة، أنماط التفكير السائدة في الجمعيات النسوية المعروفة ولا تصوغ الخطابات بالطريقة المألوفة أو باللغة المتداولة. ونلمس من وراء هذا الغضب أنّ «المستبعدات» يتحرّكن بقوّة لفرض وجودهن. فلطالما كُتمت أصوات الشابّات ولم يُستمع إليهنّ وهمّشت مقترحاتهن، ومعنى هذا أنّ من سمات الأمكنة النسوية أن توفّر فرصة للتعبير الحرّ وأن تأخذ آراء الشابّات مأخذ الجدّ.

ونظرا إلى أنّ الفضاء الرقمي يشجّع روّاده على الابتكار فإنّ الشابّات لا يكتفين بإنتاج محتوى يدعم الثقافة الحقوقية ويكشف عن الحيف الجندري والاضطهاد والتمييز و... بل نلمس لدى هؤلاء حرصا على تمكين بقية النساء من كلّ الوسائل المتاحة لحماية أنفسهن داخل هذا الفضاء ولجعل فاعليتهن مرتبطة بمعايير السلامة الرقمية، وثمّة أيضا محاولة للابتكار لا يمكن تجاهلها تُناقض التهم المتداولة حول جيل الناشطات اللواتي يستهلكن معلومات وينقلن مهارات صاغها الغرب فيثبتن بذلك «تبعيّتهن للإمبريالية».

تتحدث ‹ليلى منكبي› عن تجربتها في هذا المجال فتقول:» استعملنا مثلا « الميمز»Meems وهو تحدي آخر فكيف ننتج ميمز مراعي لحقوق الإنسان دون ذكورية»؟ وتوضّح ‹منال الأسود› تجربتها قائلة: «أقوم بانتاج بودكاست نسوية أنجزها بشكل فردي رفقة زميلاتيا من الدراسة، اسمها «هدرة» وهي بودكاست نسوية. والبودكاست الثاني أنجزتها مع YPeer اسمها «داهية « تتناول العنف المبني على النوع الاجتماعي المسلّط على النساء.» وبالإضافة إلى ذلك تسعى «منال» إلى تبسيط المعلومات للأخريات مبرّرة سبب هذا الاختيار. تقول: «بحكم دراستي في العلوم السياسية والحقوق، دائما ما أتعامل مع مادة نخبوية « كلام صعيب، مرجعيات صعبة، معايير صعبة». وفي المقابل، أنا أحب جدا مجال تخصصي. بالنسبة لي في وسائل التواصل الاجتماعي، استطيع نشر هذا المحتوى (النخبوي) بطريقة مبسطة وسهلة النفاذ. ولهذا السبب من المهم جدا أن أكون متواجدة على social media. هذه الفضاءات متاحة أكثر للجميع»موش الناس الكل تقرا،موش الناس الكل تنجم تقرا، موش الناس لكل تفهم الحاجات المعقدة الأكاديمية».

تعكس هذه الآراء مدى اهتمام فئة من الناشطات في الفضاء الرقمي بتمكين جميع النساء ومحاولاتهن المستمرّة لتوفير المعلومات وصياغة المحتوى الذي يتجاوز ‹صاحبات الشهادات العليا› ومن هنّ في صدارة التراتبيات الهرمية ليصل إلى كلّ تونسية ترغب في تغيير واقعها والمشاركة في الشأن العامّ. ويمكن القول إنّ الناشطات استطعن تجاوز المعايير التقليدية (السنّ/الطبقة/المستوى الثقافي والتعليمي/ الجهة/...)التي كانت تمثّل عقبات تحول دون انتفاع جميع التونسيات بفرص تنمية القدرات والفعل في الواقع من أجل تغييره وحاولن توفير معرفة تتلاءم مع ‹المنسيات› و‹المهمّشات› و‹المستبعدات› في سياسات التنمية. وهنّ إذ يشرن إلى هذا المعطى يلفتنا انتباهنا إلى أنّ من سمات الأمكنة النسويّة أن تكون غير نخبوية، مفتوحة لجميع النساء مهما اختلفت مستوياتهن التعليمية وانتماءاتهن الطبقية واختلفت أسنانهن. فهل بإمكان النسويات أن يتقاسمن هذا التصوّر الذي صاغته، في الواقع، ‹‹نسوية القاعدة›› و››النسوية الشعبية›› ومورس في عدد من بلدان الجنوب؟

نخلص إلى القول إنّ تركيزنا انصرف إلى رصد الأمكنة التي تعتبرها المشاركات نسويّة بدرجات تتفاوت من ناشطة إلى أخرى، ومن مجموعة إلى أخرى. فكانت في البدء مادية: أماكن لها تاريخ ورمزية وتحتل موقعا في المخيال النسويّ الجمعيّ وفي ذاكرة المناضلات ولكن سرعان ما لاح فضاء آخر رقميّ بدا في نظر أغلب الشابّات، المكان النسويّ المفضّل أو البديل لأنّه الأكثر تعبيرا عن طموحاتهن وأحلامهن واحتياجاتهن، وعن خطاباتهن المقاومة للتراتبية والإقصاء

والتمييز والطبقية...ولكن لا يمكن أن نتغافل عن حدود هذا الفضاء الرقمي إذ لا نحسب أنّ النشاطية مُتاحة لجميع النساء والشابّات نظرا إلى وجود ‹فجوة رقمية معرفية › متفاوتة من امرأة إلى أخرى ومن مكان جغرافي إلى آخر ونظرا أيضا إلى تأثير الوضع الاقتصادي على شريحة كبرى من النساء مما يجعلهن غير قادرات على التفاعل مع ما يُقدّم من مضامين في هذا الفضاء.

ولا يمكن أن نتجاهل أنّ إقبال الناشطات على الفضاء الرقمي يتساوق مع التضييق على الحريات بعد 25 جويلية 2021 و»› الهجوم على المناضلات كبشرى بلحاج حميدة، والتغير الملحوظ في مواقف الحلفاء التقليديين وتنازلهم عن الثوابت النضالية، وأزمة التمويل وانحسار الأفق»› على حدّ قول ‹سعيدة قرّاش›، وهو ما جعل الفضاء الرقمي يتحوّل إلى ملجأ لتحصين الذات من الإحباط والشعور بالاستنزاف و›الإرهاق النسويّ›.

وإلى جانب الفضاء الرقمي الذي يُعدّ حسب بعض المشاركات» البديل عن النسوية القديمة»› عثرنا في خطاب فئة من الشابّات على مكان آخر يحتويهنّ. فتغدو المشاركة فيه ذات طابع خصوصي، وهو البيت/الغرفة/قاعة الجلوس/المطبخ، وهي فضاءات ما عادت تُعتبر امتدادا للأمكنة النسوية بل صارت عند بعضهن، هي المكان النسويّ الأثير.

2/4-الفضاء الخاصّ: مكان نسوي بامتياز

بالتوازي مع هذه الفاعلية في الفضاء الرقمي أو داخل الجمعيّات النسويّة تُبدي الشابّات أهميّة للّقاءات الخاصّة والحميمة حيث تُبنى العلاقات على التضامن والرعاية واحترام تنوّع المرجعيات والتجارب. وتُعدّ هذه الفضاءات الخاصّة، في نظر المؤمنات بها، مصنّفة ضمن الأمكنة النسوية أو هي امتداد لها. وتومئ هذه الفضاءات الخاصّة إلى مدى شعور الشابّات والنساء بالحاجة الماسة إلى مكان مجندر، وهي حاجة لا تعكس دخلنة (intérioriser)»فضائل» نظام منع الاختلاط، الذي أرساه المجتمع البطريكي بل هي وليدة اختيار نسائي لفضاء مجندر(volontary gendred space)يلبّي حاجة الشابّات اليوم، الى فضاء آمن. تقول ‹هيفاء دويب›:» نحكيوا في داري على راحتنا ... فكرة الأمان، فكرة امتلاك الفضاء... متاعنا ... داري 100% متاعي ماينجم يفكها حدّ.... هذا زادة مش باش يطردني منها حد، في البلايص الي خدمت فاهم ... في أي وقت يجيك واحد يقلّك أيّا.... فكرة الاستقلالية، هو فضاء مستقلّ... هنا أي حد يقول ويعبّر على أي حاجة بشكل حرّ».

ولكنّ هذه الفضاءات التي تريدها الشابّات من إنشاء النساء ولكلّ النساء الباحثات عن فضاء بديل عن الأماكن التي وفّرتها الجمعيات النسويّة تطرح إشكالا. فإلى أي مدى تُعدّ هذه الفضاءات الخاصّة آمنة وعاكسة لوجود ثقة تامة بين العضوات؟ ألم تُبدي بعض المشاركات ك›خولة الكسيكسي› تحفّظا ومخاوف بخصوص هذه الفضاءات؟ ثمّ ألا تتعارض هذه الدعوة إلى الرجوع إلى البيت مع مقومات الحركة النسوية إذ ناضلت النساء منذ حقب تاريخية عديدة في سبيل الخروج إلى الفضاء العامّ والمشاركة في الشأن العامّ؟

وبالإضافة إلى ما سبق أتاح لنا الرجوع إلى آراء بعض المشاركات إلى الانتباه إلى تباين المواقف. فبينما اعتبرت فئة من الناشطات أنّ مقرّ الجمعيّة النسوية هو البيت الحقيقي بالنسبة إليهنّ(دارنا) وقفنا على ما يفيد أنّ المكان الأثير بالنسبة إلى فئة أخرى من الشابّات هو البيت/المطبخ/قاعة الجلوس، وهو أمر ملفت للانتباه يجعلنا نعتبر أنّه كلّما كثر التوتّر والصراع ارتدّت النساء إلى ‹الداخل›، إلى ‹الرحم› طلبا للحماية والسكينة والاحتواء. ولاشكّ في أنّ هذا التعلّق بالفضاء الحميمي وتحويله إلى فضاء يوازِي الأمكنة النسويّة أو يكمّلها يؤكّد مرّة أخرى، سبب تمسّك أغلب الجمعيّات النسويّة ب»خصوصية» الأمكنة النسويّة، وأن تظلّ حكرا على النساء مُلبيّة حاجات خاصّة لديهن، وفي مقدّمتها الحماية والأمان.

وبالإضافة إلى الأمكنة التي توفّرها الجمعيات والفضاءات الرقمية التي تسعى مجموعة من الناشطات إلى الحضور فيها باعتبارها الفضاء النسويّ الأمثل، وكذلك الفضاءات الحميمة التي تهرب إليها بعض الناشطات باعتبارها تمنحهن الأمان لاحظنا أنّ المشاركات، اللواتي تزامن التزامهن بالنسوية قُبيل الثورة أو بعدها، يعقدن صلة بين مختلف الأمكنة ‹النسويّة› والساحات العامّة والشوارع فتتسع النشاطية ويبدو الحنين إلى صخب الثورة واضحا.

2/5 الأمكنة النسوية وعلاقتها بالشارع

استرعي انتباهنا في إجابة المشتركات عن سؤال يتصل بعلاقتهن بالأمكنة النسويّة ميل أغلب الشابّات إلى الحديث عن علاقتهن بالشارع، أي الفضاء العامّ. فهل ضاقت الأمكنة النسوية على صاحبتها فجعلت بعضهن يهجرنها إلى فضاء أرحب؟

توضّح ‹ريم بن رجب› سبب ابتعادها عن مجموعة «شمل» التي كانت تُعدّ بديلا عن الجمعيات المُمأسسة. تقول: هذا « فضاء ماعادش نحس أني نقدم فيه او ماعادش يشبهلي في جانب الآخر متاعي الغاضب والثائر والمتمرد ولي يحب يخرج للشارع ويحب يعيط... في اطارالنقاش لي تفتح حول العابرات ماكانش فما انفتاح وتشبيك ويدخلو نساء اخرين مختلفات علينا وأنه نتعرفوا على تجارب أخرى، اللحظة فارقة جدا في علاقتي بالمجموعة وبعد في علاقة بالشارع». وبالرغم من أنّ المشرفات على الجمعيات أو المبادرات لا يكترثن، في الغالب، بمن قرّرت الانفصال أو تغيير فضاء النشاط فإنّ دراسة أسباب الخروج من الجمعيات مهمّة، في تقديرنا، لأنّها توضّح ما المفقود في الأمكنة النسوية وما الذي يجعلها تفقد صفة الجاذبية. إنّه

الركود والجمود والرتابة والافتقار إلى الجرأة...

لقد حضرالشارع في خطاب الناشطات باعتباره المكان المفضّل لديهن لفتح النقاش والتحرّك والاحتجاج، خاصّة بعد تحريره في سنه 2011 .تقول ‹ريتا›: «راهي الشوارع لمتنا. فكينا الشارع وهذا خلق حلقات نقاش فيها برشا نساء وبرشا مواضيع كيما برشا رجال اخرين. النقاشات وراتني النساء اللي انا نراهم من بعيد ما يمثلونيش، تلقى ثم مشترك وقتها قلت هاو فما شبه بيناتنا المشاكل نفسها النقاشات خليتني نشوف انهم يخموا في نفس اللي نخمم فيه وقتها قابلت بنات كيفي نفس العمر والمسار والمشارب خلقنا حلقات تغذينا باش نتواجد في الشوارع لقيت روحي في نفس المظاهرات مع نفس النساء ونلقى النساء وقتها في الصف الاول. اللي نخمم فيه لقيته اللي كنت نطمع فيه شفته».

وتلحّ عدد من المشاركات على أنّ الشارع يمثّل تطلعاتهن ويلبّي احتياجات لديهن. تقول ‹ريتا›: «ما امتنعتش على الشارع نحس انه فما اثر فيه. ثم التغيير. اعباد فهمت .تتخلق مسافات جديده تعبي بلايص جدد. المجال اوسع ارحم من برشا تنظيمات وبرشا اطر تتخنق فيها. نحس فيها صوتي ما يوصلش. نحس روحي صوت مقابل مجموعه من الاصوات قاعده تشد التالي. الشارع لم نسويات ما كانوش يتلموا في فضاءات مغلقه الشارع خلقت توليفه من النسويات. الشارع مؤثر وثري ويعطيني طاقه ونمشيلو شغوفه.››

وتدفعنا نبرة الحنين إلى الشارع والفاعلية على الأرض إلى التساؤل: هل فقدت الأمكنة النسوية رمزيتها فلم تعد تستهوي الشابات اللواتي انبثق وعيهن بالعدالة والمساواة وثقافة الحقوق عند النزول إلى الشارع بدءا من ديسمبر/جانفي 2011 أو أثناء «غليان الشارع» في مرحلة الانتقال الديمقراطي؟ هل الحنين إلى الشوارع هو تعبير عن أزمة التعبئة التي تمرّ بها جميع مكونات المجتمع المدني بما فيها الجمعيات النسوية وكذلك التحركات المناصرة للقضية الفلسطينية؟ وهل الحديث عن أهميّة الشارع في تواشج مع السياق الحالي: سياق ما بعد 25 جويلية 2021 حيث تسييج الفعل في الفضاء العامّ؟ وهذا يعنى أنّ الحنين إلى الشارع لا يعبّر بالضرورة عن موقف من الأمكنة النسوية المعروفة؟

تُجيب ‹هيفاء ذويب› عن هذا التساؤل بقولها: « الشارع ماعادش ينجم يستوعب مخاضاتنا..2012 وفي 2013 كنّا نجموا نتلاقوا في قهوة في الحبيب بورقيبة ونخوضوا نفس النقاشات. كانت مقاهي تحتوينا وتحتملنا. في 2019 ماعادش الأمر كذلك ... آخر مرة خرجت للشارع في حكومة المشيشي وقت توقّف الشباب. ونتذكر البرلمان وصل للحظيظ وعنف ... وصلنا لمشهد سياسي قبيح .... تلمينا كجمعيات وأفراد وجمعيات وحركات ... صبوا علينا الماء.» وعلى هذا الأساس يكون المناخ العامّ مساهما في انبثاق هذه المشاعر التي توضّح علاقة المشاركات بالأمكنة النسوية. فكلّما ضيّق الخناق على المسيرات والاحتجاجات، التي تمثّل امتدادا للأمكنة النسويّة، أصبح الشعور بالغربة مهيمنا، ولم يعد الفعل المتوهّج منبعثا من الأمكنة النسويّة بالرغم من أنّها لم تتوقّف عن مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ولكن لتنظيم الحملات والوقفات الاحتجاجية والمسيرات رونقها الخاصّ وهي التي تصنع البهجة وتحمّس الناشطات وتُظهر التزامهن بالعمل النسويّ وتمسكهن بمشروع «المجتمع المساواتي ».

3- الأمكنة النسوية ونوعيّة القضايا المطروحة للنقاش

لا يخلو حديث المشاركات عن الأمكنة من إشارات ضافية إلى القضايا والمواضيع التي تُثار فيها، والتي تضفي معنى على تجارب الناشطات وتؤثّر في تقييمهن لها. فإذا تأمّلنا في نوعيّة القضايا المطروحة للنقاش في هذه الأمكنة النسوية المادية والرقمية، بدا الاختلاف أوّلا: بين المواضيع التي تُثار في الجلسات العامّة أو الندوات أو الاجتماعات وتلك التي تُعرض على هامش هذه

اللقاءات، أي في الكواليس، وثانيا: بين المواضيع التي تُتناول في الجمعيات وتلك المتداولة في الفضاء الرقمي أو في الفضاء الحميم. تذكر ‹خولة الكسيكي› في هذا الصدد، «أنّ المجموعات غير المهيكلة ك»فلقطنا» استطاعت إثارة مواضيع مهمّة تتعلّق مثلا بعاملات الجنس، وحثّت مجموعة «أصوات النساء التونسيات السوداوات » مثلا «المعينات المنزليات» على تقديم شهاداتهن في صفحة فايسبوكية خاصّة «فرّغ قلبك» للحديث عن التمييز العنصري.» ولا يخفى ما لتمكين «نساء لم يأخذن الكلمة أبدا› من أهميّة في التحرّر من مشاعر الخوف والإحساس بالخجل، والإهانة...

أمّا ‹شمس› فقد أفصحت عن أهميّة الفضاء الحميم إذ فيه تتعرّى الواحدة فتكشف عن تجاربها في الحياة وتتحدّث دون أدنى حرج أو خجل، ودون ممارسة أية رقابة ذاتية عن تجربتها الجنسية ومشاعرها المضطربة وما خلّفه الاضطهاد من أثر في نفسها إلى غير ذلك من المواضيع المندرجة في الواقع اليومي للنساء.

وبينما تغافلت المشاركات عن ذكر دور الجامعات النسوية غير الرسمية (الجامعة النسوية إلهام المرزوقي، والجامعة النسوية لينا بن مهني، والنوادي النسوية أو الجندرية في بعض الجامعات) في مناقشة بعض المواضيع وتمكين الشابّات والشبّان من أدوات التحليل والمعرفة الحقوقية والنسوية أشارت كلّ من ‹فاطمة الزهراء اللطيفي› و›خوخة ماكوير› إلى دور الجامعة الكويرية في طرح أسئلة جوهرية تخصّ هوية الجمعيات ورؤية الناشطين/ات للنضال وللمواضيع التي ينبغي التركيز عليها مستقبلا لاسيما بعد السياق السياسي التونسي الخاصّ والسياق العالمي.

وبصرف النظر عن الدور الذي تسعى الجامعات النسويّة إلى أن تقوم به فإنّنا نقدّر أنّ الحركة النسوية تحتاج إلى إنشاء أمكنة نسويّة كثيرة تلبي حاجة الأجيال المختلفة وقد يكون في عقد الشراكات مع الجامعات التي أنشأت ماجستارات للدراسات الجندرية والأقسام التي خصّصت مسائل لدراسة الفكر النسوي [74] ما يحقّق فائدة أنجع. فثمّة إمكانات للعمل المشترك من أجل تطوير الإنتاج المعرفي وتوفير قاعدة بيانات عن النسويات وتبادل الخبرات والتجارب في مجال الدفاع عن ثقافة المساواة والعدالة...وثمّة فرص لتجاوز الإكراهات التي تفرضها «الدوكسا» في المجال الأكاديمي على الأساتذة وثمّة فرص للتفكير معا في السياسات التي تفرضها وزارة التعليم العالي فتقيّد مجال التجديد والابتكار.

نخلص إلى القول إنّنا درسنا الأمكنة النسوية باعتماد تصنيف قائم على التمايز الحاصل بين الخاصّ والعامّ، والمادّي والرقميّ، والرسميّ وغير الرسميّ إلاّ أنّ هذا الاختيار كان إجرائيا إذ لا وجود لفصل صارم بين الأمكنة سيما في العقدين الأخيرين، فأغلب المشاركات هنّ اليوم، فاعلات وإن بدرجات متفاوتة، بين الأماكن المادية حيث تتجلّى النشاطية على الميدان، وبين الفضاء الرقمي، وكذلك بين الفضاء الحميم، وهذا العبور المرن من مكان إلى آخر جعلنا نصف التعامل مع مختلف الأمكنة بأنّه «بَينِي»، فهل باتت النسوية /النشاطية التونسية تنحو منحى›البَينية ‹؟ ولاحظنا أنّ تعدّد الأمكنة النسويّة يعكس أوّلا: التطوّر التاريخي الذي مرّت به الحركة النسوية التونسية، وثانيّا: طبيعة علاقة النساء والشابات بالأمكنة النسوية وتمثلهن لها، وثالثا: تنوّع حاجات النساء من عصر إلى آخر. ويمكن أن نستجلي من خلال حديث المشاركات عن الأمكنة مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر فيها منها: أن تكون في تعارض تامّ مع الأمكنة التي تسود فيها علاقات الهيمنة والتسلّط، وأن تُمكّن النساء من عرض القضايا الخاصّة بهنّ بكلّ حريّة وجرأة، وأن تجسّد حريّة التفكير والتعبير وأن تُثمّن الغيرية وأن تشجّع على ابتكار الأفكار، وأن تكون قادرة على أن تتجدّد وأن توفّر الأمان وأن تسود فيها قيم التضامن وأن تكون منطلقا لتحقيق التغيير المجتمعي.

74 نشير على سبيل المثال إلى درس سميّة المستيري، قسم الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

4- وظائف الأماكن النسوية: بثّ للوعي النسويّ ونشر لثقافة الحقوق والمساواة

كانت أماكن اللقاء في مقرّات الاتحاد العام التونسي للشغل وبعض الأحزاب اليسارية وغيرها من الفضاءات فرصة أمام المناضلات لتبادل وجهات النظر حول عدّة قضايا تشمل الحقوق السياسية وحقوق العمّال والديمقراطية والحريات، والمنوال الاقتصادي وغيرها. ولم يكن من «المعمول به» آنذاك، تفصيل القول في قضايا تخصّ ربّات البيوت والأمّهات العازبات والمطلقات وغيرهن، الأمر الذي جعل المناضلات يتساءلن عن مواقعهن داخل هذه التجمعات المختلطة وعن تغييب قضاياهن وتصوّراتهن. وكان من تبعات هذا الوعي تأسيس نادي الطاهر الحداد باعتباره فضاء يسمح بالتأمّل في الواقع المعيش للنساء، وتحليل أشكال الاضطهاد والتمييز من مختلف الزوايا، ويلبّي في الوقت نفسه، حاجة النساء إلى إثبات استقلاليتهن والتعبير عن أفكارهن ومشاعرهنّ دون أن ينتابهن إحساس بأنّهن مراقبات.

وقد تميّز نادي الطاهر الحداد، حسب المناضلات، بخصوصية ساعدتهن على ممارسة حرّية التعبير. ففيه تجلّت تعددية الآراء والرغبة في تغيير الواقع وذلك من خلال تقديم مقترحات لتغيير القوانين وممارسة الضغط عبر بناء التحالفات مع الاتحاد العام التونسي للشغل الذي كان حسب ‹زينب الشارني› «السند النضالي الاجتماعي السياسي. وكانت رمزية الطاهر الحداد وفكره القائم على الجمع بين قضايا العمّال وقضايا النساء والمجتمع محفّزة على توطيد العُرى وبناء علاقات قائمة على التضامن بين جميع المناضلين/ات النقابيين والسياسيين والحقوقيين وغيرهم.

وقد تجلّى هذا ‹البعد التقاطبي› في مسار عدد من المناضلات وخير دليل على ذلك ‹هادية جراد› فهي حسب ‹زينب الشارني›، ‹›مناضلة ونقابية ذات دراية بالواقع العمالي والواقع النسائي وذات تجربة نضالية هامّة›› تعلّمت فيها حسن الإصغاء وآداب النقاش وأشكال التفاوض، وهو ما أهّلها بعد ذلك، لأن تترأس جمعيّة نسويّة.

وعلاوة على ما سبق كان› نادي الطاهر الحداد› مكانا للتدرّب على النقاش والاطلاع على مواقف وآراء متباينة تعكس اختلاف النساء. فهنّ لا يمثّلن كتلة منسجمة ومنمّطة كما كان يُروّج آنذاك، بل إنّهن يختلفن من حيث المرجعيات والتجارب والخطابات... يضاف إلى ذلك أنّ هذا المكان النسويّ كان مكانا للعمل معا والابتكار وإنتاج الأفكار والمشاريع وغيرها.

أمّا ‹جمعيّة النساء الديمقراطيات› فلا ينكر أحد ما قدّمته من خدمات داخل الأماكن التي أسّستها للتكوين وتطوير المهارات والتعريف بقضايا النساء ومشاكلهنّ، وحثّهن على المشاركة في أهمّ المسارات والضغط من أجل تغيير التشريعات (انطلاقا من 87) فضلا عن مساندة الفلسطينيات بعد اجتياح بيروت، والعراقيات وغيرهن من النساء المنتهكة حقوقهن ممّا يجعل نضال الجمعيّة متنزّلا أيضا في إطار النسويّة العابرة للقوميات.

ونظرا إلى أنّ من مزيّة الأمكنة النسويّة تشجيع النساء على التدبّر في أوضاعهن ومشاكلهن بعمق والتدرّب على حلّ الخلافات بطريقة ديمقراطية فقد كان من المتوقع أن تتطرّق المشاركات إلى كيفية تجاوز العراقيل. ولم تُنكر بعض المناضلات وجود خلافات حول فهم النسوية، وطريقة طرح الاشكاليات ومعالجة القضايا واتخاذ بعض المواقف، وهو أمر تفسّره ‹هادية جراد› ب‹›اختلاف الحساسيات بين النسويات المنتميات الى التيار الراديكالي والنسويات الوسطيات والنسويات غير المنضويات تحت تيارات معروفة في تونس››. وهذا التباين راجع من وجهة نظرها، إلى›› اختلاف وجهات النظر من اللائكية، والحرّيات الفردية وامتلاك الجسد والحرّية الجنسية، وفي طرائق عرض هذه المواضيع، وكذلك لاختلاف المرجعية والبحث عن

الذات.» يُضاف الى ذلك «اختلاف حول وجاهة اعتماد الاجتهاد من داخل المنظومة الاسلامية. فالبعض يرى أنّ الاعتماد على المرجعيّة الكونية أهمّ، والبعض الآخر يرى أنّ الفكر التنويري للحدّاد من داخل الثقافة التونسية قادر على تحقيق المراد».

تُوّفر الأمكنة النسوية إذن فرصة أمام المناضلات حتى يكتشفن الآراء والنظريات المتنوّعة، ويستمعن إلى وجهات نظر مغايرة فينتبهن إلى طرائق فض النزاعات وتجاوز الخلافات. فإذا نظرنا في المواضيع الخلافية التي طرحت عند تأسيس الجمعيات النسوية، انتبهنا إلى أنّ مسألة تحديد هويّة الجمعيّة وتوجهها أخذت حيّزا كبيرا من النقاش. وكان الحرص على السمة السياسية التي تربط النضال النسوي بالبعد السياسي وترسيخ الديمقراطية مهمّا بالنسبة إلى «جمعية النساء الديمقراطيات» فضلا عن البعد اللائكي الذي أثار بدوره، جدلا كبيرا في فترات تاريخية مختلفة. ويرجع النقاش الحادّ حول اللائكية في نظر ‹هادية جراد›، إلى أنّها « كانت تثير مخاوف فئة من النساء المحافظات».

ثمّ إنّ تشريك الرجال المناصرين للفكر الحقوقي /النسويّ، وفتح باب العضوية أمامهم، كان أيضا موضوع نقاش ولكنّه سرعان ما حسم بعد إقتناع العضوات آنذاك، بوجاهة الحجج المقدّمة للحفاظ على هوية الجمعية التي تجعلها تهتم بحقوق الإنسان للنساء وتعمل على تغيير واقع اتسم بالعنف واللاعدالة والتمييز. يُضاف إلى ذلك خشية العضوات من فسح المجال أمام بعض الأعضاء الذين قد يعنّ لهم فرض آرائهم بالقوّة أو الدفاع عن امتيازاتهم أو الاستحواذ على الكلمة.

وتفسّر ‹هادية جراد› هذه المسألة من خلال السياق الاجتماعي والسياسي حيث كانت العلاقات قائمة على «الهيمنة الذكورية وتهميش المشاركة النسائية إن كان على مستوى طرح الأفكار والتصورات والمبادرات أو على مستوى القيادة ولذا تمسّكت الجمعية بحقّها في أن تكون جمعية في خدمة حقوق النساء والدفاع عنهن، وإن كان لها مناصرون نسويون فإنّهم يعدّون حلفاء وأصدقاء لا أعضاء...إذ ينبغي أن تكون القرارات بيد النساء».

وعلى عكس هذا التوجه ارتأت مُؤسسات»جمعيّة أصوات نساء» أن تفتح الجمعية أبوابها لفئات متعدّدة وأن تكون إدماجية وضدّ الإقصاء والتمييز على أساس الجندر والعرق والانتماء الأيديولوجي...كما أنّهن اعتبرنّ أنّ التعبير عن تجارب العنف متاح للجميع» بقطع النظرعن الجندر والطبقة والعرق...». وقد أدركت المؤسسات الرهانات والتحديات المطروحة فذهبن إلى»أنّ الهويّة الأولى للجمعيّة أنّها نسوية وللنساء، واختيار الإسم «أصوات نساء» دال على ذلك. أمّا من حيث المنهج المعتمد في الانخراط «والمشروع الكبير فهو إدماجي مع اعتماد الفكر النسوي التقاطعي.» ومن المهمّ في هذا الصدد، أن نورد موقف ‹أحمد مقدّم ‹من هذا الموضوع باعتباره عضوا في ‹أصوات نساء› وناشطا تقاطعيا. فهو لا ينكر أنّ أغلب الرجال ينساقون وراء الرغبة في ممارسة الهيمنة الذكورية فيتعمّدون مقاطعة النساء في الاجتماعات أكثر من مرّة أو يحتكرون الكلمة أو يسمحون لأنفسهم بفرض الوصاية على النساء. يقول:»الرجال يحتكرون فضاء كبيرا ولكن الصراع يجب أن يكون مع الحاملين والحاملات للفكر الذكوري من الرجال والنساء. وأعتقد أنّ المساواة قيمة جامعة للنسويات والمعركة الحقيقية هي في الممارسة.» ويعكس هذا الاختيار توفير فرصة للرجال حتى يكتشفوا أثر التنشئة الاجتماعية وتبعات بناء رجولة تنزع نحو ممارسة الهيمنة. فعن طريق الإصغاء إلى تجارب النساء وتحليل بنى الاضطهاد يغدو اختبار مسارات التغيير ممكنا للجميع.
وتفسّر ‹سنية بن ميلاد›[75] الأسباب التي جعلت ‹أصوات نساء› تتخذ موقفا مرنا.تقول :«» إنّ الرجال هم أيضا ضحايا النظام البطريكي ونحن نقبل انضمام الحلفاء معنا الذين يشتركون معنا في نفس المبادئ. ويعدّ الانفتاح استراتيجية إذ لا يمكن أن تشتغل النساء مثلا على ملف العنف بمعزل عن الرجال فهم الذين يؤسسون علاقات القوّة ولا يؤمنون بالمساواة

75 لقاء مع اللجنة المسيرة في مقر أصوات نساء بتاريخ 2023-12-15

بين الجنسين».[76] ويؤيد عزيز الطرابلسي[77]هذا الرأي فيقرّ بأنّه يُعامل داخل الجمعيّة باعتباره» إنسانا» ولا يشعر بالتمييز الممارس ضدّه إلاّ في «الخارج». فأن تكون رجلا ناشطا في جمعية نسوية معناه أن تتعرّض للوصم وتُتهم بأنّك «مخنّث»، ومعنى هذا أنّ من الرجال من يتعرضون للعنف والتمييز والاضطهاد وهم بحاجة إلى ممارسة نشاطيتهم والدفاع عن حقوق النساء وسائر الأقليات لأنّهم اختبروا النتائج المترتبة عن رفض الاختلاف. أمّا ‹عائشة ذياب› فإنّها ترى أنّ إقصاء الرجال بدعوى أنّ «القضية لا تعنيهم» هو حجّة على عدم التخلّص من «الصور النمطية».

ويكتسي اختلاف الرأي حول هذا الموضوع أهميّة في نظرنا، لأنّه يثبت أنّ النسويات لا يُمثّلن كتلة منسجمة تتبنّى المواقف ذاتها، بل إنّهن يخترن ما يتلاءم مع مرجعياتهن المتنوّعة ويخضن معركة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة من خلال خطابات وممارسات واستراتجيات متعدّدة وعلى هذا الأساس تختلف التحالفات، ويُعاد النظر فيها بعد ان تختبر في ساحة النضال.

والواقع أنّ الأمكنة النسوية لم تُخصّص لعقد النقاشات حول أشكال النضال والتضامن والتعهّد بالنساء المهمّشات والمنسيات وغير المرئيات في السياسات العمومية، ووضع الخطط والاستراتيجيات فقط، إذ كانت بعض الجمعيات مهتمة بإجراء البحوث ونشر المعرفة النسويّة. وفي هذا الصدد، تؤكد ‹زينب الشارني› على أنّ مقرّ«جمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية» كان فضاء لإنتاج البحوث والدراسات والتدرّب على الكتابة المشتركة التي تبحث في تحليل موقع المرأة في الحياة اليومية من حيث الأدوار والقيود التي تكبّلها، والتمييز الذي تتعرّض له دون التغاضي عن تحليل أوضاع المثقفات اللواتي كنّ ينتقدن التهميش والاستبعاد ويُعانين في الوقت ذاته، من التمييز في مواقع العمل. وتوضّح ‹زينب الشارني› أنّ غاية المناضلات (كحبيبة الزاهي بن رمضان وآمال بن عبّا، وعلياء بالقاضي، ومليكة حرشاني وأخريات) كانت تكثيف البحوث حول المرأة والتنمية للتمكّن من معرفة الواقع الاجتماعي، والنظر في تبعات التمييز والاضطهاد حتى تُحدّد المطالب وتُقدّم الحجج التي من شأنها إقناع أصحاب القرار بضرورة وضع سياسات عادلة.

وعلى خطى «جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية «صارت «جمعية النساء الديمقراطيات» منخرطة بدورها، في إجراء بحوث ذات صلة بالواقع الاجتماعي للتونسيات وتقديم قراءات نسوية نقدية للنصوص القانونية ودراسات تعنى بتحليل ظاهرة العنف وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أنّ وعي النسويات باتساع دائرة العنف جعلهن يسعين إلى توفير أمكنة آمنة للنساء ضحايا العنف. فبادرن بإنشاء فضاءات للإنصات إلى الضحايا وتقديم الدعم النفسي والقانوني لهنّ يُضاف إلى ذلك إنشاء فضاءات الإيواء وتمكين ‹الضحايا› من فرص تعلّم مهارات وفنون وحرف تسمح لهنّ بالخروج من وضع الهشاشة. وهي مشاريع مندرجة ضمن محور الإدماج الاقتصادي الذي اهتمّت به خاصّة «جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية» ثمّ تلتها جمعيات أخرى كجمعيّة ‹بيتي›، وجمعيّة ‹أمل›، وجمعيّة ‹سبيل› وغيرها.
وفي هذا الإطار تشير كلّ المنتميات إلى «جمعية النساء الديمقراطيات»، و»جمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية» وغيرها من الجمعيات المهتمّة بقضايا العنف المبني على النوع الاجتماعي ك»جمعية تيقار›التي أنشأت بدورها «مركزا لإيواء النساء ضحايا العنف ومركز إنصات، في القصرين» إلى أنّ وزارة المرأة استفادت من الأطر النسويّة فوجّهت إليها ضحايا العنف، وكان ذلك حسب ‹سعيدة قرّاش›، «للتغطية على تقصير الدولة في القيام بواجبها». وهكذا باتت فئة من النساء المعنّفات عوّالات على «جمعية النساء الديمقراطيات» لحلّ مشاكلهن ويقصدن المراكز التي أسّستها في مختلف المدن « وما كان هذا ليحدث لولا بناء الثقة بين الجمعيّة وشرائح متنوّعة من النساء.

76 لقاء مع اللجنة المسيرة في مقر أصوات نساء بتاريخ 2023-12-15
77 لقاء مع جمعية أصوات نساء ضمن المجموعة البؤرية الثالثة2023-12-15

وفي سياق عسُر فيه على النساء «المعنّفات» التوجّه إلى مراكز الشرطة بسبب الضغوط العائلية والصور النمطية للمرأة التي تتظلّم من الزوج والإكراهات الاجتماعية وغيرها من العوامل تبقى النسبة التي تعترف بأنّها تتعرض للعنف قليلة جدّا ولذلك استأثر هذا الموضوع باهتمام أغلب الجمعيّات. ولعلّ ما تقدّمه جمعية ‹أصوات نساء› من خلال نشاطها المكثّف والمتنوّع حول الموضوع جدير بأن يوثّق. إذ نجد مواكبة لأسر قُتلت فيها النساء، وحرصا على مساءلة الدولة وعدم إفلات المجرمين من العقاب ونعثر على أنشطة توعية متنوعة تحاول تقديم تحليل لمختلف أبعاد ظاهرة العنف.

وبالإضافة إلى طرح قضايا العنف في سياق حرصت الدولة على التعتيم عليها، كانت «جمعيّة النساء الديمقراطيات» سبّاقة إلى طرح قضايا ذات صلة بالمساواة بين الجنسين وتطوير حقوق النساء، وقد أنجزت المناضلة سعاد التريكي[78] من ‹جمعية النساء الديمقراطيات› أكثر من بحث تناولت فيه استغلال النساء في مختلف القطاعات وتحمّلهن أعباء كثيرة في البيت وفي مواطن العمل ساهمت في التأثير على صحتهن المعنوية والجسدية. وفي السياق نفسه اهتمّت منية بن جميع[79] بتحرير مقترح قانون من شأنه أن يحدّ من ظاهرة العنف وعملت الجمعيّة أيضا على إنجاز بحوث وعقد مؤتمرات مع الجمعيات النسويّة المغاربية المهتمّة بقضايا المساواة وتغيير التشريعات وغيرها.

فليس من المستغرب إذن أن تُعيد»جمعيّة النساء الديمقراطيات» بعد الثورة، المطالبة بالمساواة في الإرث في سياق «هيمنت فيه القوى المعادية للنساء ولحقوقهن وانتشر فيه الإرهاب» على حدّ قول «قرّاش». وبفضل المهارات التي توفّرت لدى العضوات والقدرة على الاستدلال والضغط تمكّنت الجمعيّة وكلّ الجمعيات المساندة لقضية المساواة من تشكيل› ديناميكية نسوية› لفتت نظر السلطة. فما كان من رئيس الدولة إلاّ الاستجابة لهذا المطلب النسويّ. وهكذا ولدت»مبادرة الباجي قائد السبسي» وتأسّست لجنة الحريات الفردية والمساواة» برئاسة بشرى بلحاج حميدة(2017) التي يُعزى لها الفضل في فتح النقاش العامّ حول الموضوع لا في تونس فقط بل في عدد من البلدان العربية والإسلامية.

وإذا اعتبرنا أنّ الفضاء الحميم مكان نسويّ ينشر المعرفة ويُحفزّ على تبادل الخبرات والتجارب أدركنا أنّ مواضيع النقاش التي تثار فيه تتصف بجرأة أكثر من المتعارف عليها في فضاءات أخرى. وتتجاوز هذه المواضيع الجنسانية والميول الجنسية والأقليات ...لتنفتح على مواضيع أكثر تعبيرا عن احتياجات النساء إلى الرعاية والإحساس بالتضامن والاحتواء حتى يتسنّى لهن تجاوز حالات الهشاشة والاكتئاب والقلق والتوتر وغيرها.

ويمكن القول إنّ من سمات الأمكنة النسويّة أن لا يقتصر العمل فيها على الاهتمام بقضايا النساء من حيث السعي إلى تغيير التشريعات وممارسة الضغط وتنظيم الحملات وكتابة البيانات وتوعية الجمهور فحسب بل ينبغي أن يكون الفضاء النسويّ قادرا على استيعاب الجميع مهتمّا بالمنخرطات فيه وبالصحّة النفسيّة للعاملات فيه. وفي ظلّ غياب بحوث ميدانية حول أوضاع المنتدبات/ين للعمل داخل الأمكنة النسويّة وتمثّلهن لها ونظرتهن إلى الوظائف التي تؤديها لا نملك إلاّ الإصغاء إلى بعض الملاحظات التي تبديها المشاركات.
لقد ساهمت مقرّات «جمعية النساء الديمقراطيات» و»جمعيّة النساء التونسيات للبحث والتنمية» و»جمعيّة أصوات نساء» وجمعيّة بيتي› وغيرها من الجمعيات وكذلك المجموعات غير المهيكلة في نشر المعرفة والتكوين والتدريب والتنسيق مع مختلف الفاعلين من أجل

---

78 Souad Triki, une féministe pourla démocratie en Tunisie Propos recueillis parThérèse Locoh, Monique Meron Dans Travail, genre et sociétés 2017/2 (n° 38), pages 5 à 25.

79 Droits des femmes et féminisme dans la Tunisie post-2011 Entretien croisé entre Monia Ben Jemia et Saida Ounissi Cahiers d’études africaines [En ligne], 242 | 2021, mis en ligne le 15 juin 2021, consulté le 17 -12023. URL : http://journals.openedition.org/etudesafricaines/34529 ; DOI : https://doi.org/10.4000/ etudesafricaines.34529

إرساء ثقافة حقوق الإنسان واحترام الحرّيات الفردية، وبناء التحالفات وتنظيم أنشطة ثنائية أو جماعية مشتركة. وترتّب عن ذلك انفتاح المقرّات على بعضها البعض واكتساب العضوات معرفة جديدة من خلال تبادل التجارب، فضلا عن وعيهن بضرورة مراعاة خصوصية كلّ منظمة أو جمعيّة وانتباههن إلى اختلاف الأهداف والأولويات وتفاوت الخبرات المختلفة المتوّفرة لدى عضواتها.

ومن خلال تبادل الخبرات تفطّنت الناشطات إلى تنوّع المشاريع والمبادرات من حيث الموارد المتوفرة أو البيئة المحلية التي تعمل فيها الجمعيات. تقول» حياة حليمي» في هذا الصدد:» كلّ الحقوق ذات أولوية بالنسبة لي لكن الفرق في القضايا وحاجيات النساء في الوسط الريفي تختلف عن العاصمة مثلا الحقوق السياسية التي كثيرا ما أدافع عنها لا تعتبر على غاية قصوى من الأهمية مقارنة بالحق في الصحة والماء... في القصرين هناك عديد من القضايا التي تتمحور حول العنف الاقتصادي، الفقر وتأنيث الفقر، الحرمان من الماء، الحرمان من النفاذ للصحة لأن تكلفة الصحة تختلف بين المرأة في الوسط الريفي والمدن. الفرق بين المرأة في الوسط الريفي والوسط الحضري يتمثل في أن كل المشاكل مضاعفة: العنف، الفقر، الوضعيات مختلفة من ذلك النفاذ للتعليم، للنقل، للصحة ... «. وفي السياق نفسه تتحدّث ‹آمال العرباوي›[80] عن الأسباب التي جعلت جمعيّة ‹جسور المواطنة بالكاف› تصرّ على العمل الوقائي والتوعوي. «فالقيود التي يفرضها المجتمع الذكوري وواقع التمييز يفرضان الاهتمام بضحايا العنف من حيث توفير مراكز الإيواء والإدماج الاقتصادي، وبالشبّان أيضا وذلك من خلال إنتاج مسرحيات ذات مضمون توعوي ومناقشة الأغاني التي تكرّس الصور النمطية» إلى غير ذلك من الأنشطة التي تتلاءم مع السياق العامّ والمناخ الاجتماعي.

وبقطع النظر عن اختزال النسويّة في معالجة القضايا الخاصّة بحقوق النساء وبتر بعدها السياسيّ تطرح هذه الآراء إشكالية بشأن الجمعيات التي تأسست في سياق تهافت فيه الجميع على إنشاء الجمعيات دون أخذ الوقت الكافي للنقاش حول المعرفة النسويّة والمرجعيات. وهنا تختزل النسويّة مرّة أخرى، في بعد عمليّ برغماتي وتفصل عن بعدها النظري. وهنا يجوز التساؤل: هل من متطلبات العمل النسويّ أن يتلاءم مع السياق المخصوص ويتكيّف معه أم أنّ مهمّته الأساسية تكمن في تغيير العقليات وتدريب النساء على تحليل واقعهن وتغييره؟ ونظرا إلى غياب البحوث حول الموضوع لا يتسنّى لنا الجزم هل أنّ وظائف الأمكنة النسائية/ النسوية مختلفة من جهة إلى أخرى؟ وهل أنّ طريقة معالجتها تختلف من جمعيّة إلى أخرى؟ لاشكّ في أنّ طرائق توظيف الأمكنة لصالح النضال النسوي تضفي عليها طابعا مميزّا فتغدو «أمكنة نسوية» باعتبارها فضاءات تهتمّ أساسا بالنضال من أجل تغيير واقع النساء والمجتمع ككلّ وذلك من خلال تنمية الوعي ونشر ثقافة حقوق النساء والعمل على تكريس قيم ومبادئ نسوية[81]. ولا يقتصر الأمر على هذه الأنشطة فقط، إذ ثمّة إرساء لمشاريع تهدف إلى تلبية احتياجات فئات متنوّعة من النساء.

ونستشفّ من خلال إجابات المشاركات، أنّ الأمكنة النسوية تكتسب صفتها من خلال ما يجري داخلها من نقاشات وتوافقات ومواجهات ...وما يُنجز فيها من خطط وبرامج ومشاريع تعبّر عن مواقف سياسية وتصورات وطموحات نسويّة. كما أنّ بعض الأمكنة تكتسب رمزّيتها من خلال الشخصيات الحاضرة فيها والتي تميّزت بتاريخ نضالي وإنتاج معرفي متميّز. نشير مثلا إلى جمعيّة «بيتي» التي ارتبطت في ذهن أغلب المشاركات، ب›سناء بن عاشور›.
إنّ السمة المميّزة لبعض الأمكنة النسوية سواء كانت مادية أو بَينية أنّها تجمع في الوقت نفسه، بين اللقاء في الفضاء الرقمي وبين عقد النقاشات في المنازل أو في المقاهي وغيرها وقد نجحت في مساعدة فئات من الشابّات والنساء على امتلاك الصوت والتعبير عن الأوجاع والأحلام، ومشاعر الانكسار والاعتزاز ونشوة الانتصار..ولذا لا يمكن بأيّ حال، التقليل من شأن

80 لقاء عن بعد تمّ بتاريخ 2024-12-19
81 Imen Yacoubi, SOVEREIGNTY FROM BELOW: STATE FEMINISM AND POLITICS OF WOMEN AGAINST WOMEN IN TUNISIA, The Arab Studies Journal , Spring 2016, Vol. 24, No. 1 (Spring 2016), pp. 254-274 Published by: Arab Studies Institute.

النضال الذي تقوده الناشطات من خلال الفضاء الرقمي حيث نما الوعي النسوي، وتدرّبت الشابّات والنساء على الحوار والاستدلال والتفاوض وتقديم التنازلات ...

تقول ‹منال الأسود› في هذا الصدد:» هناك العديد من المسائل التي تضرّ القضايا النسوية، مثل المتاجرة بالنسوية من خلال الإعلام. هناك ظاهرة درست عنها مؤخرا اسمها bimbo feminism وهو ملئ بالميزوجينيا. bimbo feminismgنطاقها social media فقط ويتمثل في التعويل على امرأة جميلة لتبسيط محتوى نسوي. المعيب في الأمر هو كيفية تبسيط المعلومة الذي يصل إلى حدّ التتفيه والاستغباء. عندما أقوم بصياغة سيناريو البودكاست دائما ما أوجه كلامي لأشخاص «عاديين موش أغبياء». Bimbo feminism يتوجه أساسا للنساء ويتعامل معهن من منطلق أنّهن أغبياء. وهي تستبطن المعايير الذكورية.»

وينمّ هذا الوعي بأهمّية استهداف جمهور»النساء العاديات» على رغبة في تلبية احتياجات فئات هي في الغالب، مُغيّبة عند وضع الاستراتيجيات أو المشاريع التي تخصّ عددا من الجمعيات النسوية. كما أنّه يعبّر عن رغبة في تغيير ملامح الأمكنة النسوية حتى لا توصف بأنّها «نخبوية»، وتمارس فيها ‹سلطة النخبة›. تقول ‹منال الأسود›: « مع الأسف، النسوية مازالت تدور في فضاءات نخبوية فأغلبية الأنشطة النسوية والدورات التكوينية تتم في تونس العاصمة وسوسة وصفاقس على عكس ولايات الجنوب مثلا.›› ولذا فإنّها حرصت على أن تصوغ رؤية لتوظيف الفضاء الرقمي بطريقة إيجابية ومنصفة فلا يلبّي حاجة لديها أو لدى شابّات مثلها بقدر ما يتحوّل إلى» متنفس للنساء حتى يشاركن تجاربهن وما يتقاسمنه مع النساء الأخريات مثل الأمهات اللاتي يتقاسمن تجاربهن مع أمهات أخريات... هو أيضا فضاء للحديث عن مواضيع لا يتم مناقشتها في الحياة اليومية أو المواضيع التي لا نجد لها فضاء للحديث عنها.»

لقد سمح لنا الحديث مع المشاركات عن الأمكنة النسوية بالوقوف عند مجموعة من الوظائف والأدوار التي تضطلع بها الأماكن التي خُصّصت لممارسة النشاطية، وهي في نظر المشاركات، متعدّدة ومختلفة ومركّبة وذات تاريخ ورمزية. ففيها التقت النسويات حول مجموعة من ‹الثوابت النسوية› وأنجزن «التدخل النسوي» (l'intervention féministe)، وهي ممارسة تجمع بين النضال والتدريب وتنمية القدرة على التحليل والتفكير والبحث والعمل الاجتماعي وغيرها من الأنشطة التي تهدف أوّلا: إلى مرافقة النساء والشابّات في مسار التحرّر، إذ لا معنى لتحرّر النسويات دون تحرّر جميع النساء، وهو توجّه يعكس الانتقال من التفكير في التحرّر الفردي إلى التأمّل في أشكال التحرّر الجماعي. أمّا الهدف الثاني فيكمن في مناهضة التراتبيات والتصدّي لأشكال الاضطهاد التي تتجلّى في الحياة اليومية ومن خلال الممارسات›العادية›. يُضاف إلى ذلك محاولة إرساء علاقة بالدولة تدفعها إلى الإقرار بحق النساء في نقد السياسات وإبداء الرأي في الخطابات الرسمية والتصورات التي تتجاهل في الغالب، آرائهن ومطالبهن ولا تعترف بأنّهن فاعلات سياسيات.

ولا يمكن التغاضي عن وظيفة أخرى من الوظائف التي اضطلعت بها الأمكنة النسوية وتتمثّل في كسر الحواجز والقيود المضروبة على النساء والتي تمنعهن من التعبير. وبناء على ذلك باتت النقاشات داخل بعض الأمكنة النسويّة تتميّز بجرأة الطرح والشجاعة في تناول القضايا الجديدة والقدرة على تحيين المواقف ومواجهة المشاكل التي تطرأ بين الحين والآخر، بين العضوات بسبب اختلاف وجهات النظر. فليس من السهل مثلا إثارة مسألة الاندماج التي اعيد طرحها من جديد، بعد الثورة ومطالبة أغلب الناشطات بمراجعة مبدأ منع الرجال من الانخراط في الجمعيات النسويّة. وفي هذا الصدد اعتبرت ‹مي العبيدي›[82] أنّه «من المهمّ تشريك الرجال وأصحاب الهويات الجندرية اللامعيارية وهذا هو النقاش الأكبر اليوم في الساحة. فالعابرون مثلا يمكن أن يكونوا نساء رغم عدم تمتعهم بأجساد أنثوية وحتى في علاقة بالرجال

82 لقاء تم بتاريخ 21 ديسمبر 2023

اعتقد أن هناك رجالا نسويين ويتبنّون حقوق النساء وأنا ضد إغلاق الباب في وجوههم بل مع تشريكهم». أمّا ‹منيرة البلغوثي› فقد رأت أنّ هذا الإجراء إقصائي ويعكس»منطقا مغلقا يجب مراجعته لاسيما بعد الاطلاع على التجارب النسوية المختلفة في العالم إذ صار الاختلاط وتشابك النضالات واستراتجيات العمل المشترك قاعدة».

ولئن كان منطلق الناشطات الشابّات في دعوتهن إلى مشاركة جميع الجنادر في العمل النسوي إيمانهن بتقاطع النضالات وتجاوز الخصوصية النسويّة المنغلقة على جندر واحد فإنّ ‹أحمد مقدّم› يُنزّل المسألة في إطار المرجعية التقاطعية والحقوقية إذ يرى أنّ «مبدأ المساواة جاء لمناهضة التمييز واحترام التنوّع» وعلى هذا الأساس لا يمكن للجمعيّات أن تمارس الإقصاء والتمييز. وتفسّر ‹سارّة بن سعيد› سبب انفتاح الجمعية قائلة:» إنّ الحرمان من الاعتراف هو الذي يجعلنا نفتح أبوابنا أمام المهمشين/ات ولدينا تفكير واعي في التعامل مع الفضاء النسوي. نحاول أن نقطع مع الفضاءات التي يمارس فيها العنف اللفظي والعنف الرمزي والتراتبية. فحقّ الكلام متاح للجميع والمواضيع لا يمكن أن تحتكر الجمعيات حق النطق باسمها...إنّنا نتعلم من الأجيال الأخرى ونحاول أن لا نورّث الإقصاء...واستطعنا كسب ثقة الشابّات لأنّ أصوات نساء تلبّي حاجة نشر ثقافة نسوية صحيحة وهي فضاء آمن للجميع. إنّ الرجل هو أيضا ضحية مجتمع بطريكي.»

وتختلف منطلقات تبرير إدماج الرجال المناصرين لحقوق النساء ومنحهم العضوية في الجمعيات النسويّة ف»سلوى كنوّ› تعتبر أنّ تشريك الرجال في المشاريع التنموية ضروري نظرا إلى «معرفتهم بالميدان ووجود فئة منهم تعاني هي أيضا من الهشاشة وترغب في النضال ضدّ الاستغلال والتفقير...». والجدير بالذكر أنّ الاحتكاك بمجموعة من الفلاحين، بحكم عملها، هو الذي قادها إلى اتّخاذ هذا الموقف لا المرجعيّة الحقوقية والاطلاع على الحركة الكويرية.
وتفسّر «سعيدة قراش» الموقف المتخذّ من العابرات فتقول:» في مستوى الممارسات التمييزية هناك اختلاف. فالعابرات يعانين من التمييز على أساس الخيارات الجنسية وعلى هذا الأساس فإنّ النضالات مختلفة وكذلك الأجندا. وقد كان لدى المناضلات شعار forge toi un espace libre أي ينبغي أن تنطلق كلّ حركة من ضبط الحدود والخطابات والأنوات وترتيب الأولويات واختبار الحلفاء والاستراتيجيات وهذه une démarche interne لتفادي الوقوع في التبعية. والمهّم في بناء التحالفات هو احترام الاختلاف. ثم إنّ لهذا المسار مزايا فهو يعلّم الجمعيات المدافعة عن حقوق مجتمع ميم عين «كيف تحمي نفسها فهذا ليس إقصاء بل فرصة أمام المجموعات لتتكونّ داخل فضائها الخاص، وهو فضاء حرّ ينفلت من رقابة المختلف un espace libre» . ونقدّر أنّ موقف ‹سعيدة قراش› هو محصّلة تجربة طويلة تدربّت فيها على الإصغاء ومحاولة الفهم والتحليل وإبداء الرأي والبرهنة على المنطق الداخلي لبناء الموقف إلى غير ذلك من المهارات التي اكتسبت داخل فضاءات متعددة ، وفي مقدّمتها الأمكنة النسوية. ومهما يكن الأمر فإنّ ما نخلص إليه هو أنّ هذه النشاطية ارتبطت بصفة جليّة بأماكن مادية متنوّعة أو بالفضاء الرقمي وأثّرت في أصحابها. فكلّ ركن وزاوية في مقرّات الجمعيات يشهد على تعاقب الأجيال وتنوّع المشاريع وثراء المبادرات وصخب النقاشات... وكلّ صفحة من صفحات الفايسبوك تتضمّن صورا ونصوصا تُوثّق النقاشات وتواريخ إنشاء المبادرات والحملات وغيرها من المشاريع والأنشطة التي تعكس مختلف الوظائف والأدوار التي نهضت بها الجمعيات النسوية انطلاقا من أمكنتها الخاصّة. وعلى مرّ السنوات يحدث التراكم وتنتج مجموعة من الممارسات الفضلى.

5- بعض الممارسات الفضلى السائدة في الأمكنة النسوية

تبيّن من خلال أجوبة المشاركات، على اختلاف انتماءاتهن وأشكال فاعليتهن، تقديرا لبعض الممارسات الفضلى المتمثّلة في مجموعة من المعايير والأساليب التي تجعل طريقة العمل أكثر جدوى وفاعلية وذات أثر. ويمكن أن تكون هذه الممارسات بسيطة أو معقّدة وهي تعتمد

على نظام اتصال قويّ وفعّال، وفِرَق وضع الخطط وقياس المخاطر والتقييم التي تلتزم بعقد اجتماعات دورية وتوثيق المحاضر...وتجدر الملاحظة أنّ هذه الممارسات ارتبطت بسياق زمني، وهو حسب البعض، زمن البدايات والتأسيس حيث يكون الحرص على الالتزام الأخلاقي والتطابق بين المبادئ والسلوك والممارسات والعمل من أجل الصالح العامّ، والحرص على صناعة صورة النادي أو الجمعيّة أو المبادرة، وعضواتها. وهو تصوّر موصول إلى المتخيّل الدينيّ الذي يفاضل بين الأزمنة ويجعل إسلام البدايات والسلف أنقى وأكثر التزاما بروح الرسالة المحمديّة وكلّما تقدّم الزمن ضعف امتثال المسلمين للتعاليم الدينيّة.

وبالرغم من أنّ فترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي اتّسمت بالمواجهة مع السلطة فإنّ المناضلات استطعن تخطّي»التضييق» فانتقلن إلى أماكن متعدّدة واشتركن مع المعارضة في طرح قضايا تتصل بحرّية التعبير، وبالانتهاكات التي شملت عددا من المنتمين الى المعارضة، وهي مرحلة دفعت بالنسويات الى تنسيق تحركاتهن مع المنظمات الحقوقية وبناء معرفة حقوقية وتنويع أشكال المقاومة. وهذا يعني أنّ انفتاح الأمكنة على بعضها البعض، والعمل مع بعض الجمعيات الحقوقية والمنظمات أتاح للمناضلات فرصة هامّة حتى ينقلن التجارب من فضاء إلى آخر وينتقين أفضل أدوات العمل والمهارات والخبرات، ويقارنّ بين أشكال المقاومة المختلفة.

ومن الممارسات الفضلى التي كرّستها بعض الجمعيات ك»جمعيّة النساء الديمقراطيات»، تحويل المكان حسب «قرّاش»، إلى «فضاء لممارسة حرية التعبير» ومن آيات ذلك «طرح مسألة الجسد والجنسانية بعيدا عن التقييم الأخلاقي و»السنسرة» التي كانت موجودة في أطر أخرى». ولاشكّ أنّ «غياب التابوهات مهّم للخروج من الهيمنة الذكورية» والتمرّن على قبول اختلاف الرأي، واكتساب الوعي.» ومن المهمّ، في نظر»قرّاش»، «أن يساعد المكان الناشطات فيه على التحرّر من عبء القيود والضوابط والرقابة. فمتى فعلن ذلك استطعن إنجاز المشاريع والحملات ومختلف الأنشطة.»وطالما أنّ الجمعيّة تحافظ على هذا المبدأ فإنّها تكرّس تقليدا تسير عليه بقية الأجيال.

وتعتبر المنضويات تحت «جمعيّة أصوات نساء» « أنّ الجمعيّة استطاعت أن تجعل من مقرّها مكانا نسويا آمنا حيث تُكتشف الذات والمفاهيم، وتتغير العقليات من خلال النقاش وتُكتسب المعارف والمهارات» بفضل الدورات التكوينية. وما كان للعضوات حسب ‹رحمة العيدودي›، مساءلة ‹›المعارف الجاهزة›› والتفكير في البديهيات لولا تنظيم الجمعيّة عدّة دورات تدريبية تُخصّص للحكي›› ‹احكي قصتك»story feminist telling والتعبير الحرّ دون خجل»[83] وتساعد العضوات على›› تثمين أفكار الآخر وأخذ مقترحاته مأخذ الجدّ.»

وتلتقي ‹ص ب› مع بقية المشاركات/ين في أنّ جمعيّة ‹أصوات نساء› وفّرت التأطير والتكوين وبناء المعرفة النسوية، وحثّت الجميع بمن فيهن المسؤولات، على التدرّب على قبول الآخر واحترام الغيرية. فلم تعد العلاقات مبنيّة على التراتبية بل على الاحترام ‹الصادق» إذ «لا وجود لتناقض في السلوك». وتذهب ‹عائشة ذياب› إلى أنّ التشجيع على ممارسة ‹النقد اللبق› يُعدّ من أهمّ الممارسات الإيجابية التي تعلّمتها في الجمعيّة إذ لا يجوز أن نستمرّ في إصدار الأحكام ووصم الآخرين والتنمّر عليهم بل علينا أن نتعلّم ونتدرّب على القطع مع كلّ أشكال العنف حتى يتحقّق ‹›التطور الذاتي››.
وفي سياق تعداد الممارسات الفضلى تشير ‹حياة حليمي› إلى أنّ طريقة العمل التشاركية التي حاولت «جمعيّة تيقار بالقصرين» اعتمادها، جعلت القرارات الصادرة عنها معبّرة عن «رؤية مجموعة وليست رؤية فرد». وهذا يتجلّى في الحديث في وسائل الإعلام بضمير الجمع «نحن» لا الفرد»أنا» وفي التنبيه إلى دور الفريق ككلّ في إنجاح التظاهرات أو الوقفات الاحتجاجية وغيرها. وتسترسل «حليمي» في الحديث عن الممارسات الفضلى التي سعت «جمعية تيقار»

83 لقاء المجموعة البؤرية الثالثة أصوات نساء

إلى ترسيخها من ذلك «تشريك الأمنيّات والقاضيات في الأنشطة التي تخصّ التصدّي للعنف ضدّ النساء وهناك العديد منهنّ حصلن على انخراط في الجمعية». وتضيف قائلة:» اعتمدنا اسلوب» المثقف النظير» في صفوف النساء. وعندما نتوجه مثلا للعمل في الوسط الريفي، نقوم بتكوين مجموعة من النساء « مرا والا اثنين ونركز عليها» حتى يتمكنّ بدورهن، من ارساء هذه الثقافة. هذا الأسلوب ليس معمولا به كثيرا وهي ميزة لجمعيتنا. وهو ما جعل «تيقار» معروفة على المستوى المحلي» وعندها سمعة».» أمّا ‹آمال عرباوي› فإنّها ترى أنّ»الاشتغال على التراكم وتطوير الخطط ووضع الاستراتيجيات هو في حد ذاته، من بين الممارسات المحمودة.»

ولئن كان اعتماد النسويات على اليقظة ووعيهن بطبيعة العلاقات السائدة والرهانات المطروحة قد جعلهن حريصات على تفادي المشاحنات والصدام من خلال ‹دمقرطة ‹العمل وتفعيل مهارة التفاوض والإقناع بالحجّة فإنّ حكمة بعض المناضلات دفعتهن إلى تبنّي منهج تسود فيه المرونة العقلية والرصانة وتفهّم الفروق بين النساء. ولذا كانت ‹هادية جراد› تصرّ على أهميّة مراعاة تفاوت المستويات التعليمية والثقافية وفهم تبعات الانتماءات الأيديولوجية ذلك أنّ ‹»التقارب المعرفي صعب›› و»من الضروري منح الوقت الكافي للمنخرطات الجدد حتى يفهمن ويستوعبن المطالب التي تتمسّك بها المناضلات.» وتضيف: «نستناو بعضنا خير ما نتسرّعو في اصدار الاحكام». وتدعم «سعيدة قرّاش» هذا الرأي إذ تؤكّد أنّ بعض النقاشات الحادّة والمواجهات كانت سرعان ما تحسم بفضل وجود سلطة تعديل و»ديناميكية تدفع بك إلى التخلّص من الأيديولوجي›› وتجاوز المشكلة.

ونقدّر أنّه ليس من السهل أن تفصح المناضلات عن تفاصيل تخصّ طريقة تسيير «الجمعيّة النسوية» إذ للأمر صلة بعمل الذاكرة: ما حُفظ وما تلاشى أو ما نسي...وهو عامل يُبرّر أهميّة التوثيق باعتباره عملا أساسيا لحفظ ذاكرة النضال النسويّ. وإذا كان سرد تفاصيل تخصّ طريقة العمل داخل نادي الطاهر الحداد أو الجمعيات ‹العريقة› غير محرج بالنسبة إلى المناضلات لأنّهن يتحدثن عن التجارب التأسيسية الأولى التي سمحت للحركة النسويّة بأن تستمر وتتطور فإنّ الجمعيات المحدثة بعد الثورة تجد عسرا في الحديث عن هذا الموضوع في سياق تميّز بكثرة المنافسة وبتوتر العلاقات بين أكثر من جمعيّة واستدعى كتم معلومات تخصّ تجارب التسيير والعمل. وقد يعود الأمر إلى أنّ المرحلة لم تكن كافية لتطوير الممارسات الفضلى التي تيسر التعاون وتبادل المعلومات إذ لا يخفى أنّ الأمكنة النسوية تقوم على التضامن والتعاون. ونذهب إلى أنّ الاستئناس بهذه الآراء، على قلّتها، مفيد لأنّه يشير إلى التطوّر الحاصل اليوم في أداء عدد من الجمعيّات ويتجلّى في اعتمادها معجما سياسيا صار شائعا كالحوكمة الرشيدة والمساءلة والمحاسبة وغيرها، ووعيها بالممارسات المكرّسة للسلطة والعلاقات الهيمنية والتراتبية. فما كان يُقبل منذ عقود، ويُعدّ من الممارسات الفضلى كاللجوء إلى سلطة تحكيم»الكبار» عملا بالقاعدة ‹»نوقروا كبارنا›› واحترام آراء ‹الكبار›› ما عاد معمولا به اليوم لأنّه بات أمارة على ترسيخ التراتبية وعلاقات القوّة.

وبالإضافة إلى ما سبق نجد في بعض الإجابات ما يشير إلى حرص المناضلات على التعديل الذاتي باعتباره من الممارسات الفضلى. فقد مكنّ الحضور النوعي للمناضلات في الاجتماعات والمؤتمرات الخاصّة ب»جمعية النساء الديمقراطيات» و»جمعية النساء التونسيات للبحث حول التنمية»حسب ‹زينب الشارني› من تحصين بعض الجمعيات من الانزلاق في ‹الزبونية» والانهمام بالذات... وتذهب أغلب المناضلات إلى وجود بعض الأسماء التي مثلت «حارسات» المبادئ والقيم التي جمعت النسويات فكنّ الصوت الرادع، الحريص على ترسيخ ما اعتبر من «ثوابت العمل النسويّ» . غير أنّ معايير اختيار هذه الشخصيات تبقى مجهولة مثلها مثل التفاصيل التي تخصّ هوية الشخصيات التي بيدها أخذ سلطة القرار وترتيب الأولويات وتحديد طرائق الردّ على الانتقادات.

والظاهر أنّ هذا التركيز على دور ‹المُؤسِسات›› في ضبط بوصلة النضال لم يستمرّ طويلا، ممّا جعل فئة من الشابّات اليوم، حريصات على ممارسة الضغط من أجل إعادة «روح النضال›› بعد أن تمّ تناسيها في ظلّ التنافس الشرس من أجل «التكسّب من البحوث والمشاريع»، وعلى التذكير ب»الأخلاق النسوية والمبادئ» بعد أن استشرت ‹›العلاقات البرغماتية القائمة على النفاق والإقصاء وles complots». فهل نفهم من وراء هذا الحرص، عودة إلى آلية التعديل الذاتي وإلى تفعيل سلطة الرقابة الداخلية؟ قد يكون الأمر كذلك ولكنّنا نرجّح أنّ هذه السلطة لا تمارسها قيدومات الجمعيات بقدر ما تتحوّل إلى حقّ تمارسه المنخرطات فينتقدن ويطالبن بتصحيح المسار فهو ضمانة حقيقية للمحافظة على المبادئ النسوية وأخلاقيات النضال.
ولا يمكن، ونحن نرصد الممارسات الفضلى، التقليل من شأن محاولات إرساء تقاليد بناء التحالفات والجبهات إذ سعت مجموعة من الجمعيّات والروابط والمنظّمات إلى تمكين الناشطات من فرص التدرّب على الحوار مع عضوات ينتمين إلى جمعيات مختلفة والالتزام بآداب النقاش العامّ، والتنسيق بين المواقف والتقيّد بالقرارات المتفق حولها، وهو أمر ليس سهلا. تقول ‹حياة حليمي›، وهي المنتمية إلى الديناميكية وإلى الجبهة إنّها راضية عن موقعها داخل الجبهة ‹›في جبهة المساواة وحقوق النساء مثلا، أشعر أنّنا نتمتع بنفس الصوت ويتم الاستماع إلينا.»

أمّا ‹رحمة العيدودي› فإنّها تعتقد أنّ جمعيّة ‹أصوات نساء› استطاعت أن ترسي «ثقافة بناء التحالفات» بالرغم من كلّ الصعوبات ذلك «أنّه من السهل ‹على جمعيّة أصوات نساء› القيام بأنشطتها بمفردها ولكن ثمّة إصرار من العضوات على بذل مجهود أكبر لبناء التحالفات وفرض العمل المشترك البنّاء دون الوقوع في محاولة التأثير في الجمعيات الأخرى. هناك اعتراف بالنشاط الذي تقوم به الأخريات وفق علاقات مهنية لا وفق منطق الإقصاء».

ولئن فضّلت بعض الجمعيات التي تأسست بعد الثورة، الانخراط في الديناميكية النسوية أو في «جبهة المساواة وحقوق النساء» فإنّ من الناشطات من حاولن تأسيس مساحات خاصّة بهنّ داخل الجمعيات توفّر احتياجات محدّدة كالأخاوتية والأمان و...قد لا توفّرها الأطر المهيكلة. تقول ‹هيفاء ذويب› متحدّثة عن ‹خلق فضاء نسوي شبابيّ› داخل «جمعيّة النساء التونسيات للبحث حول التنمية» وتجربة تدرّب الشابّات على العمل مع بعضهنّ البعض: «ولينا بنات الجمعيّة، أذاكا بِيرُونا وأذاكا فضاءنا، ماثماش خدمة ثابتة. كل وحدة على مشروعها، أنا وحدة من الناس كان عندي فكرة على المشاريع الكل، نعاونوا بعضنا، بعد مشيت لمشروع كبير إقليمي ... كتبناه وخدمنا عليه... الأمور كانت تتحرّك بسلاسة إلى حدّ ما، وقتها اكتشفت أنه في فضاء نخدموا entre femmes هي بيدها تجربة متفرّدة ويتحكى علاها وحدها... C'était un espace qui était dédié uniquement aux femmes، في وقتها ماكانش الواحد يعرّفوا.»

وتلتقي ‹هندة الشناوي› مع عدد من المشاركات في التذكير بأهميّة قيمة التضامن. تقول إنّ «شمل» تميّزت أيضا بإرساء مبدأ التضامن النسويّ ...بخلاف أنه فمّا إحساس بالانتماء لنوع من النسويّة لي تشبّهلك وكان يفرهد زادة ياسر، وكان فما تضامن، بدينا نمارسوا في التضامن النسوي بطريقة باهية، واعيه ومختلفة.» وفي السياق نفسه تعتبر ‹سارّة بن سعيد› [84]أنّ» النسوية ممارسة ويلزمها برشا محبّة وبرشا solidarité».

وعلى خطى ‹شمل› تخصّصت عدّة صفحات فايسبوكية في تجسيد قيم التضامن السياسي والعاطفي والمعنوي بين العضوات المنتميات إلى عدّة مجموعات مستقلة(فلقطنا، شمل، أنا زاده...) وجمعيات (كدمج وغيرها) وكذلك مع كلّ ضحايا العنف والاضطهاد، في تونس وفلسطين واليمن وسوريا وغيرها من البلدان، وهو أمر مفهوم للإيمان بعدالة القضايا وبالحقوق الكونية ولقناعة أساسية بأنّ النضال ضدّ قوات الاحتلال والنظام الامبريالي والقوى القمعية وغيرها أمر لا مفرّ منه. ويخضع التفاعل في الصفحة لميثاق (charte) خاصّ يوضّح قواعد التعامل. فصفحة «Signali féministment»التي تُعرّف بأنّها فضاء آمن يعمل على توفير الحماية لجميع النساء وأصحاب/ات الهويات اللانمطية، يُمنع فيها نشر آراء تعبّر عن التمييز العنصري والتعصّب الجنسي ومعاداة الكويرية وغيرها من أشكال التمييز.

لقد تكرّر ذكر الناشطات لقيمة التضامن النسائي والأخوتية بما يوحي بأنّه يشترط في الأمكنة النسوية أن تساعد النساء على التصدّي للتمثلات السائدة التي تلحّ على استحالة تحقق التضامن بين النساء، وأن توفّر لهنّ إمكانية العمل معا بعيدا عن عدوى تضخّم الأنوات ومركزية الذات وتحثّهن على التعاطف ورعاية الأخريات ومساندتهن متى اقتضى الأمر ذلك. وهي مساندة غير مشروطة وغير مقرونة بالرياء الاجتماعي. ولنا أن نتساءل ما هو تعريف المشاركات للتضامن؟ وهل التضامن آلية مطلقة وينطبق على جميع النساء؟ وهل اطلعت الناشطات على الأدبيات التي انتقدت «التضامن النسائي» باعتباره يقف في مواجهة التضامن الذكوري ويكرّس الآليات التي يرّوج لها المجتمع البطريكي؟

ومن التقاليد التي عملت «شمل» على إرسائها التدرّب على النقاش مع نساء وشابّات لا ينتمين إلى نفس التيار الفكري النسويّ أو السياسي ولا يحملن نفس الأفكار ولا المرجعيات الأيديولوجية، وهو تمرين على قبول الاختلاف في جميع تجلياته الفكرية والهووية... كما أنه تجسيد للنسوية باعتبارها طريقة للنظر إلى الذات وإلى الآخر وإلى العالم، وهي قابلة للتطور. وفي هذا الصدد تقول ‹هندة الشناوي› متحدّثة عن الخصائص المميّزة ل»شمل»: «من بين الحاجات إلي هي مكسب الحقيقة، أنّا خلقنا الفضاءات النسويّة المختلفة، إلي يصير فيها النقاش، .. خارجة من منطق الحسابات السياسيّ، وشنية باش نعملوا مع الإسلام السياسي، والأحزاب والانتخابات... لا نحن كنا في مسار تفكيكي لكلّ شيء، العلاقات العاطفيّة مع الرجال، الجنسانيّة.. الفضاء العام، الحركات الاحتجاجيّة وعلاقتنا نحن بها، كنسويات الكتابة، اللغة...

84 لقاء مع اللجنة المسيرة لأصوات نساء في مقر الجمعية تم بتاريخ 2023-12-15

كل شيء، ويظهر لي أنو الحاجة الي عشناها تابعة موجة كاملة في العالم ماناش وحدنا عشناها كتونسيّات...وبعد زادت تعزّزت في mouvement me too، ومازالت متواصلة، اعتمدت أساسا على الفضاءات النسوية العشوائيّة إلي مش مقننّة، ماهيش تابعة جمعيّات أو أحزاب ... وماعندهاش لون سياسي واحد، شمل مثلا تلقى فيها النسوية اليساريّة والي تقول إلي هي اشتراكية، وتلقى الليبراليّة زادة إلي المرجع متاعها الوحيد هي الحريات الفردية، وتلقى فاها لي مش متسيسة جملة لي تنجم هي زادة تكون ليبراليّة، وتلقى فاها زادة التقاطعيّة، وبرشة أنواع متع نسويّة، وشمل كانت نقطة انطلاق لبرشة بنات فينا... صارت فلقطنا. بعد صارت مبادرات أخرى، أهمّ فضاء بالنسبة ليّا وبالنسبة لتجربتي الحقّ متع ربي هي› شمل»».

ولا تتجاهل ‹هندة الشناوي› الممارسات الفضلى التي أرستها بعض المنظمات الدولية لجمع النسويات وفتح المجال أمامهن حتى يستمعن إلى وجهات نظر مختلفة وأحيانا متباينة، ويُناقشن القضايا بهدوء ورصانة ويكتشفن بعضهن البعض. وتفسّر ‹الشناوي› هذا الأمر قائلة: «فمّا زادة فضاءات تخلقت للتشبيك، شاركت فيهم منظمات دوليّة، ... فلقينا رواحنا ولاقاو رواحهم ... في قاعات.. وجات قضايا ...قرّبت الجمعيّات وناس ماكناش نتصوروا أنهم يقعدوا ويخدموا حاجة مع بعضهم. ناس اجتمعت، النسويّة المستقلّة لي شوكتها واقفة، النسويّة القديمة، الكويريّة، والقديمة لي تقلّك وقتاش جيتوا ومنين جيتوا؟ تلمّت الناس وبدات تتعرّف وتخدم مع بعضها.»

لقد تعمّدنا إيراد هذا الشاهد رغم طوله لأنّه يعكس اهتماما بحفظ الذاكرة إذ ثمّة سرد للتفاصيل وعرض للنتائج المترتبة عن هذه الممارسات الفضلى على المستوى الشخصيّ والجماعيّ. وفي الشاهد أيضا ما يُنبّهنا إلى طرائق العمل داخل الأمكنة النسوية. فبينما تؤثر أغلب المناضلات ومُسيّرات الجمعيات التعامل مع «المثيل» و«الشبيه» تخوض مشاركات أخريات تجربة التحاور مع «الآخر»، وهو تمرين صعب لا تُقدم عليه إلاّ من رغبت في كسر الحدود بين الأنا /الآخر ومن آمنت بأنّ المرأة سُيّجت منذ القدم في إطار الآخرية otherness وكان عليها أنّ تفارق هذا التسييج. وعلى هذا الأساس لا يجوز لها بعد أن تحرّرت أن تُعامل المُغايرات على أنهنّ يُمثلن الآخر الذي لا يُتعامل معه إلاّ متى استدعت التحالفات ذلك ويجب أن نبقى على مسافة/حذر منه.

أمّا في ما يتعلّق برصد الممارسات الفضلى فقد انتبهنا إلى وجود فارق على مستوى أنماط التفكير والتصورات الخاصّة بالعمل النسويّ وأهدافه، وهو راجع إلى الأطر: جمعيّة في إطار مهيكل «رسميّا» وأخرى مبادرات مستقلة لا تريد أن تتقيّد بضوابط الأطر الرسمية التي تبدو في نظرها، «تقليدية» وهي تتموقع باعتبارها تُمثل النشاطيّة في «الفضاءات العشوائية» وهو أمر يستتبع تصنيفا جديدا. فثمّة أمكنة تقليدية «قديمة» وأمكنة «عصرية» ، وثمة أمكنة مهيكلة تخضع لبنية تراتبية وتوزيع للسلطة وفق المتعارف عليه (الرئيسة/ المكتب التنفيذي الذي يأخذ القرارات...) وتعمل وفق تصور لأمكنة النشاط (الفنادق، ...)يُحافظ فيها على امتيازات البعض (الرئيسة التي تفتح النشاط بكلمة،ثمّ المحاضرات...). وفي مقابل هذه الأمكنة النسويّة «القديمة» تمّ اختيار طرائق أخرى للعمل والنشاطية اعتبرت ممارسات فضلى بامتياز لأنّها تقطع مع التراتبيات والامتيازات وغيرها.

ويُحفّزنا الحديث عن المساحات التي تخلقها النسويات بإرادة فردية، لنشر ثقافة المساواة والمشاركة وتغيير الواقع الاجتماعي والسياسي للبحث عن تجارب أخرى ساهمت في تكريس بعض الممارسات الفضلى لم يرد ذكرها في إجابات المشاركات ولكنّنا نزعم أنّها حاضرة في الأذهان. فلا يمكن التغاضي مثلا عن دور بعض النسويات الجامعيات في فتح النقاش في قاعة الدرس لتناول مواضيع كانت ولازالت تعدّ من الطابوهات كالجنسانيات والعنف الممارس ضدّ النساء وأصحاب/ات الهويات اللامنطية ودعوة بعض المناضلات إلى تقديم المحاضرات وتنظيم ورشات التفكير وإطلاق مبادرات تأسيس النوادي الخاصّة بطرح القضايا النسويّة.

ويمكن القول إنّ ميل بعض الجامعيات إلى استعمال لغة إدماجية وتعويد الطالبات/ة على احترام الآراء المختلفة وتثمين التجارب المتنوّعة هو شكل من أشكال النضال والعمل على تغيير الأكاديميا التي يُسيطر عليها الفكر الذكوريّ وتشعر فيها عدد من الجامعيات /الناشطات بأنّهن مطالبات بخوض معارك متعددة لفكّ الحصار المضروب على الفكر النسويّ.
لقد مثلت بعض الجامعات مكانا تنطلق منه بعض المبادرات في مجال ترجمة النصوص النسوية، وخاصّة تعريبها إذ اجتهدت بعض الجامعيات في نحت بعض المصطلحات وفتح النقاش حول بعض المفاهيم والمصطلحات المتلائمة مع الفكر النسوي وثقافة المساواة أو استعمال الحياد اللغوي... وبناء على هذه المبادرات اعتبرت بعض الجامعات أمكنة لإنتاج معرفة بديلة، وفضاء للتدرّب على بعض الممارسات النسويّة الفضلى على مستوى التصدّي لاستعمال عبارات ‹شواذّ جنسيين› «قوم لوط»واستعادة الصور النمطية المكرّسة للدونية وممارسة الوصم والتنمّر أثناء الحوار..

ولئن ارتكز نشاط صاحبات هذه المبادرات على المكان المادي: الجامعة، وذلك من خلال افتكاك مساحة لممارسة الالتزام النسوي، وابتكار ألفاظ وعبارات تُثري المعجم النسويّ فإنّ بعض المبادرات الشبابيّة المستقلّة سعت إلى الربط بين الإنتاج الفكري والنشاط القاعدي وفتحت سلسلة من النقاشات حول أهميّة الكتابة باللغة الدراجة، وإنتاج ثقافة نسوية محلية ومعرفة تونسية. تقول ‹منال الأسود› في هذا الصدد: «أنا بصدد متابعة عدد من النسويات مثل «خطيرة» « نقطة « « شريكة ولكن» « تقاطع « وهي صفحات تشتغل على انتاج محتوى نسوي. في تونس توجد محاولات ولا يوجد مبادرات دائمة وأعتقد أنه في المستقبل،أي في غضون سنتين سيكون هناك شبكة نسوية على social media إلى جانب» أنا زادة « التي اصبحت اضافة إلى عرض شهادات النساء تقوم بصناعة محتوى نسوي.»

وفي هذا الإطار جاز لنا التساؤل: هل سيتحوّل الحرص على توفير مضمون نسويّ مبتكر ومعجم نسويّ تونسيّ إلى تقليد راسخ في العمل النسويّ؟ وهل سيصبح التفكير الاستراتيجي في إنتاج معرفة نسويّة محلية تفكّ الارتهان بالفكر الاستعماري من الممارسات الفضلى التي ستوليها النسويات الناشطات في مختلف الأمكنة الأهميّة الكبرى؟

وتجدر الإشارة إلى أنّ طرح سؤال يتعلّق بتعداد الممارسات الفضلى المعمول بها داخل الأمكنة النسوية لم يكن متوقعا في نظر أغلب المشاركات إذ بدت حيرتهن واضحة. وقد عثرنا على تفسير جاء في إجابات ‹هندة الشناوي› ف» النضال النسوي في تونس، راهو مازال في أوله وفي بداياته، مازال يددّش، مافماش مدرسة نسويّة ترجعلها هكة، لا على المستوى الفكري لا على المستوى النضالي السياسي على أرض الواقع. فالهدف الكل توّة، على مستوى شخصي يعني هو بناء معرفة نسويّة، تشبيك أكثر ما يمكن، خلق أكثر فضاءات نسويّة متنوّعة وخلق ممارسات أو des traditions .» أمّا ‹شمس› فإنّها تربط هذا التردّد بعدم تمكّن الجمعيات الجديدة إلى حدّ الآن، من مراكمة التجارب وتقييمها والتوقّف عند الممارسات الإيجابية على عكس الجمعيات «العريقة» التي صارت واعية بالممارسات التي كرّستها.

ولكن هل تقاس الممارسات الفضلى من خلال عامل الزمن أم من خلال الوعي، والقدرة على إحداث التغيير من خلال الممارسات؟ وهل يمكن اعتبار الرأي الذي عبّرت عنه «الشناوي»مجانبا «للصواب» وغير منصف؟ ألم يتحقّق التراكم المعرفي والنضالي ونُقلت التجارب والممارسات من جيل إلى آخر؟ ثمّ ما هي الأسباب التي تجعل تقييم الممارسات الفضلى مرتهنا للانطباعات الشخصية ولبنية العلاقات بين الناشطات وكذلك للتنافس بين الجمعيات؟ ألا يُعدّ الاعتراف بنجاح بعض الجمعيات أو المبادرات المستقلّة في ابتكار أدوات عمل جديدة وناجعة هو أيضا تقليد من التقاليد الإيجابية؟

وبالإضافة إلى هذه الاستنتاجات الواردة في شكل تساؤلات أتاح لنا الحوار مع النساء والشابّات

حول الممارسات الفضلى التي ساهمت الأمكنة النسويّة في ترسيخها إلى تبيّن مسألتين: أولا أنّ هذه الممارسات تبدو في نظر أغلب الناشطات، محدودة ولا تفي بالمطلوب، وثانيا انزياح الإجابات باتجاه عرض الممارسات السلبية التي باتت معلومة للجميع، وخاصّة بعد دخول طرف ثالث وهو المنظمات العالمية المموّلة للجمعيّات إذ ثمّة إقرار شبه تام بأنّ الأمر ازداد تعقيدا بعد الثورة، وتحكّم هذه الجهات المموّلة حسب أغلب المشاركات، في أجندا العمل النسويّ. وتُعدّ الأنجزة 'NGOization حسب إصلاح جاد[85]، سمة مميّزة للنسويّة العربية عموما، وللنسويّة التونسية بعد الثورة. وتُفسّر كثرة الجمعيات والمنظمات غير الحكومية وغيرها على أنّها حجّة على فشل الدولة الحديثة في تحقيق التنمية التي وعدت بها.

6-الأماكن النسوية: عقبات أمام ترسيخ ثقافة الحوار والعمل معا

لا يخلو حديث عن العمل النسويّ من ذكر الممارسات السلبية قبل الإيجابية. ومن المهمّ، في تقديرنا، فهم العقبات التي تحول دون التزام بعض الناشطات بالمبادئ النسويّة أو تلك التي تجعل خطابهن في تعارض مع «الثواب النسوية». فهذه السلوكيات والممارسات تُلحق ضررا فادحا بالنضال النسويّ وتجرّد بعض الأمكنة من صفتها النسويّة. ويُعتبر هذا العمل التفكيكي من ضمن الأولويات التي يجب منحها الأهميّة التي تستحق حتى يتطوّر النشاط النسويّ ويغدو أكثر نجاعة وحتّى نجمع الدروس المفيدة. وليس الغرض من هذا الرصد والتحليل الذمّ والهجاء وتصيّد أخطاء الجمعيّات بل البحث عن استخلاص الدروس المفيدة.
إنّ ما يسترعي الانتباه في إجابات المشاركات أنّ الحديث عن الصعوبات التي تحول دون اضطلاع الأمكنة النسوية بدورها الرئيس في نشر ثقافة الحقوق والمساواة والديمقراطية والعدالة يتنزّل في إطار مجموعة من الثنائيات: الممارسات الفضلى/الممارسات السلبية، الجيل ‹القديم› /»الجيل الجديد› ، الهدم/البناء.... وهو أمر يؤكّد هيمنة هذا النمط من التفكير على خطاب المناضلات والناشطات الجدد، على حدّ سواء. فإمّا أسود أو أبيض بينما تُثبت التجارب وتراكم الخبرات وتطور المعارف ونظريات ما بعد الحداثة أنّ الحياة تشتمل على متناقضات كثيرة وديناميكيات متعدّدة لا تتصارع بالضرورة بل هناك تجاور. فبين الأسود والأبيض نجد الرمادي وغيره من الألوان التي تمكنّنا من أن نبصر ونتدبّر في أبعاد وزوايا متنوّعة وبطرائق مختلفة.
ولئن كانت الأسئلة التي طرحناها منفتحة على الجمعيات/المجموعات النسويّة في المطلق وتخصّ الأمكنة النسوية عموما ولا تخصّ جمعيّة بعينها فإنّ إجابات أغلب المشتركات ركّزت على الممارسات السائدة في بعض الجمعيّات دون غيرها، وهو أمر ملفت للنظر. فالانتقادات»الداخلية» التي كانت توجّه لبعض الشخصيات في الاجتماعات المغلقة بدعوى»عدم نشر الغسيل الداخلي» أمام الأغراب وفي الخارج، صارت اليوم، تُقال في العلن ومتنزّلة في إطار إمّا ممارسة النقد الذاتي، أو باسم الغيرة على الجمعيّة التي لا تُعدّ ‹ملكا خاصّا للنخب›، وهو تحوّل في نمط التفكير قد يكون معبّرا عن وعي بضرورة تحمّل المسؤولية التاريخية لاسيما إذا كان هذا النقد من الداخل، أي من عضوات منتميات للجمعية.

ولمّا كانت غايتنا، من وراء طرح سؤال: ما الذي يحول دون ارتقاء العمل النسويّ وتحويل الأمكنة النسويّة إلى أمكنة ميسّرة لاحتلال النضال النسويّ موقعا يسمح للعضوات بالتفاوض مع الدولة على قاعدة النديّة؟ غاية تفهميّة تروم فهم العوائق حتى يتسنّى بعد ذلك تجاوزها فقد ارتأينا، في هذا الموطن من الدراسة، حجب أسماء المشاركات وعدم تضمين الشواهد حتّى وإن حصلنا على إعادة تأكيد أصحابها على نشرها، وهو إجراء نعتمده لسببين: أوّلهما الالتزام بتحقيق أهداف الدراسة التي تسعى إلى رصد ملامح الأمكنة النسويّة وكيفيّة تمثّلها وتحديد وظائفها وطرائق عملها وتسييرها بالتركيز على الممارسات الفضلى حتى تستفيد منها بقية الجمعيات وحتى يفتح النقاش حولها. أمّا السبب الثاني لحجب الأسماء فيكمن في الالتزام بإيتيقا البحث النسويّ فهو ليس تأجيجا للصراعات بل حوارا معقلنا ورصينا ينشد بناء جسور

85 Islah Jad, The 'NGOization' of the Arab Women's Movements,Al Raida 8 Volume XX, No. 100 Winter 2003, p38.

العمل الجماعي المنظّم والاستراتيجي في سياق مفصليّ تمرّ به البلاد، وهي بحاجة إلى قوّة وازنة وطاقات فاعلة قادرة على إحداث التغيير وعلى أن تترك أثرا يجعلها داخل التاريخ لا خارجه. ويقودنا التأمّل في آراء المشاركات إلى الوقوف عند مجموعة من الملاحظات اخترنا تبويبها في هذه النقاط، وهي ملاحظات جامعة لا تخصّ جمعيّة بعينها:

-1خفوت الحسّ النضالي الذي كان يدفع المناضلات إلى البذل والعطاء والتطوع ويجعلهن يُقدّمن النضال على تحقيق المصالح الخاصّة أدّى إلى عدم التحمّس إلى إطلاق المبادرات وتكلّس العمل النسويّ. وهو أمر راجع حسب أغلب المشاركات، إلى ‹مأسسة› العمل النسويّ والجمعياتي ككلّ ما جعل النشاط يسير حسب مقتضيات المؤسسات لا وفق مرتكزات الفكر النسوي الضامنة لاستقلالية الأمكنة النسوية.

-2استتبع هذا التحوّل في طرائق العمل وأنماط التفكير ظهور سلوكيات لم تكن مألوفة كالتمركز على الذات، والبحث عن الوجاهة والامتيازات وتحقيق ‹المغانم› وخدمة المصالح الشخصية أو خدمة ‹النخب› والتموقع الضيّق. يُضاف إلى ذلك استغلال «صاحبات الحقّ› وعدد من الناشطات المبتدئات، وهو أمر يتعارض مع خطاب مقاومة الاستغلال واضطهاد النساء. ولا يخفى أنّ نزعة التمركز على الذات مرتبطة بالسلطة والصراع من أجل الاستحواذ على القيادة النسائية :الفردية والجماعية.

-3 أدّى الانزياح عن ‹الثوابت النسوية› والقيم والمبادئ والمُثل إلى انتشار علاقات قائمة على الولاءات وأخرى قائمة على التوتر والصراع أثّرت على العمل وجعلت النقاشات تنحو منحى ‹تصفية الحسابات› على حساب معالجة القضايا المطروحة للبتّ فيها. وأفضى ذلك إلى الامتعاض من النقد وتناسي دوره في تكريس تقاليد التشاركية والتعددية واحترام حريّة التعبير.

-4ترتّب عن هذا الانزياح/الانحراف ميل إلى مخالفة قواعد التسيير التي من المفروض أن تقدّم الممارسات الديمقراطية على مراعاة المصالح، وبذلك لم تعد أغلب الجمعيات وفيّة لمبادئ الحوكمة والمساءلة والمحاسبة ...التي طالما طالبت النسويات الحكومات المتعاقبة باحترامها. ونجم عن ذلك التحايل على قواعد العمل الديمقراطي في مسألة الانتخابات واختيار ممثلات الجمعيات في الخارج أو في التفاوض مع الحكومة أو حتى في منح›الخبيرات› فرصة إجراء البحوث...

-5 أدّت سيطرة العقلية البيروقراطية إلى ‹انحسار العمل النسويّ› وتقلّص حجم ابتكار أفكار جديدة وتصورات متنوّعة بحيث لم تعد كلّ الأمكنة النسويّة «خلاّقة›› ومولّدة لأدوات تحليل مبتكرة ولاستراتيجيات طريفة أو معبّرة عن نظرة استشرافية.

-6مثّل المعطى الأيديولوجي عائقا أمام ترسيخ تقاليد العمل معا فظهرت الصراعات وأثّرت على سير النشاطية وعطلت مسار البحث عن المُشترك. وبدا الاختلاف حول أيّ نسويّة نريد؟ واضحا وعسر الخروج من منطق الاتهام بخدمة ‹النسوية الليبرالية›› والجنوح نحو استرجاع ‹نسوية الدولة› في ثوب جديد، والخضوع ل››النسوية البيضاء›› وغيرها من التهم.

-7أدّى التنافس من أجل الحصول على فرص تمويل البحوث والدراسات والمشاريع المتنوّعة إلى عدم تخصيص الوقت الكافي لمناقشة ما يعرض أو التنازل عن بعض الشروط الضامنة للاستقلالية والمهنيّة واستتبع ذلك ظهور صراعات جانبيّة أثّرت على طاقة الابتكار والتجدّد وولّدت ممارسات تتعارض مع شروط التعامل مع الآخر. فصار›المكان النسويّ› منتجا لأشكال مختلفة من العنف كاحتقار المقترحات الصادرة عن المنخرطات الجدد أو الناشطات في الفروع أو شتم الناشطات المنتميات إلى

جمعيات منافسة وغيرها. ولاشكّ في أنّ هذه السلوكيات أصبحت مضرّة بالعمل الجماعيّ وبالصحة النفسية للناشطات ومؤثرة على بناء التحالفات.

-8 لئن نجحت بعض الجمعيات في التشبيك وتأسيس التحالفات فإنّ هذا الأمر بقي غير محدّد بطريقة واضحة. ومن ثمّة كانت بعض التحالفات ثمرة علاقات صداقة ببعض الشخصيات بينما كان معيار التحالف في مناسبات أخرى هو البرغماتية وما يحتّمه السياق. وقد ترتّب عن ذلك ظهور بعض الانتقادات أو تبادل التهم على أرض الميدان ...وهو أمر أدّى إلى إعادة النظر في جدوى عقد التحالفات.

-9لم تلتزم أغلب الجمعيات بالقيام بالمراجعات وتحيين المعارف المتداولة لدى عضواتها ولم تكترث بالأدبيات النقدية. وقد أثّر ذلك، حسب المشاركات، على مواقفها من إدماج العابرات وساهم بعد ذلك، في انبثاق وعي لدى الكويريين/ات بوجود صراع هوويّ بين الحركة النسوية والحركة الكويرية كانت له انعكاسات على مستوى بناء التحالفات. ولم تكترث أغلب الجمعيّات بقضيّة العنصرية المرتبطة بالسوداوات التونسيّات بالرغم من تأكيدها على تقاطع النضالات، وأهميّة الاعتراف بالفئات المهمّشة والمقصية، وهو أمر كانت له انعكاسات على مستوى توحيد النضال.

-10 يُعدّ «الصراع الجيلي»، في نظر عدد من المشاركات، من أبرز العوامل التي أعاقت العمل معا من أجل تطوير الحركات النسويّة لأنّه لا يسمح ببناء علاقات سويّة وتترتّب عنه مجموعة من المشاكل تعوق سير العمل المشترك. وبالرغم من أهميّة التشبيب فإنّ أغلب الجمعيّات لم تشتغل على «استقطاب الشابّات» ولم تكن مقرّاتها فضاء لاحتواء الأصوات الجديدة. يُضاف إلى ذلك بروز «صراع على أساس الطبقة» فثمّة»نساء الصالونات» في مقابل «نساء الجهات» وثمّة جماعة المرسى في مقابل الأخريات ...وتشير المشاركات إلى أنّ أغلب الجمعيات لم تتجرّأ على فتح النقاش حول سبل تجاوز هذه الصراعات على أساس السنّ/الطبقة/الانتماء الجغرافيّ/اللغة/...

-11 أدّى طغيان الفردانية وما تبعها من ممارسات تُعلي من شأن الانتهازية ولا تبالي بالتشابك بين الروابط المعرفية والروابط الأخلاقية والتواصل بين مختلف الأجيال إلى انتشار حالة من الغضب والاستياء والامتعاض تقتضي المعالجة لأنّها مولّدة للعنف ومعرقلة لعمليّة البناء المشترك والتواصل الإنسانيّ.

-12 لا تؤدي الأمكنة النسوية، حسب أغلب المشاركات، كلّ الأدوار والوظائف المتوقعة منها بسبب مجموعة من الأزمات. وهي ليست الفضاءات الوحيدة التي تشكو من «الانحراف» و»التعطيل». ف»الممارسات السلبية» لا تظهر في مستوى الجمعيات النسوية فحسب، بل نجد لها حضورا في الجامعة التي اعتبرت «فضاء لبناء المعرفة». ثمّ إنّ ما يجري داخل المجتمع المدني وفي الجمعيات النسوية غير منفصل عمّا يحدث في المجتمع التونسي ككلّ. وهذا يعني أنّنا نواجه أزمة مركّبة قد لا تجعلنا قادرات/ين على التفاعل مع خصوصية المناخ العام السياسيّ « السائد ما بعد 25 جويلية 2021 من موقع المسؤولية المواطنية/الديمقراطية/النسويّة.

ونعثر في حديث المشاركات عن العوائق ما له صلة ب»المفقود»، أي ما الذي ينقص حتى تتحوّل هذه الأماكن إلى أماكن نسويّة ملبيّة لحاجات الناشطات، ومعبّرة عن أحلامهن وطموحاتهن وكذلك ما له علاقة ب»المنشود» إذ تتمثّل فئة من المشاركات الأمكنة النسوية على أنّها فضاءات لاكتساب الوعي النسوي واكتشاف الذات وبناء علاقات متنوّعة وتطوير المهارات والخبرات وتحيين المعارف. وهذه الأمكنة تُشكّل الإطار الملائم لعرض القضايا ومناقشة

الخطط والاستراتيجيات لمناهضة السياسات المؤدية إلى اللامساواة واللاعدالة وتحليل تشابك بنى الاضطهاد.

ويدفع هذا التصوّر الناشطات إلى ممارسة الرقابة ثمّ التعبير عن مخاوفهن من تحوّل الأمكنة النسوية إلى أماكن النقاشات الحادّة، و»الحارة» والتوتر والصراعات الأيديولوجية والتنازع حول التوجهات والاستراتيجيات والمشاريع المموّلة... وتزداد المخاوف عندما تلوح ممارسات وخطابات لا تمُت بصلة إلى المبادئ والثوابت النسويّة والقيم، وتظهر سلوكيات تتعارض تماما مع الشعارات التي ترفعها النسويات ومع الأهداف التي تعمل عليها الجمعيات النسويّة. وهو أمر يعرقل، في نظرهن، مسيرة تطوّر العمل النسويّ، ويؤدّى إلى هجرة بعض الناشطات إلى فضاءات أخرى أو انسحابهن من الحضور والنشاط.

وقد تُفسّر المخاوف التي تنتاب الناشطات عند نشوب التوترات وتذمرهن من الصراعات بالتصميم على القطع مع الصور النمطية التي تلحّ على وصم النساء لأنّهنّ غير قادرات على العمل معا بحكم «أسطورة كره المرأة للمرأة». وقد تعبّر هذه الخشية عن الحاجة الماسّة إلى مكان آمن تتجلّى فيه الأخواتيه والاحتواء والتعبير عن التعاطف والمحبّة والمودّة وغيرها من الأحاسيس المفتقرة في عالم تسوده الفردانية وتضعف فيه الروابط العائلية.

ولاحظنا، في ‹الحكم› على هذه الأمكنة مدى إلحاح عدد من المشاركات على أنّها لا «تشبهُهن› أو لم تعد تعبّر عنهنّ وليست ‹»آمنة»› بل هي أماكن مضرّة بالصحّة النفسية ولا تتحقّق فيها «الاستضافة «على حدّ قول ليفناس Emmanuel Levinas إذ تُمارس فيها علاقات القوّة والنفاق والرياء الاجتماعي وبذلك فقدت صفة ‹الملجأ› و›الحضن الدافئ›...
غير أنّ تقييم أثر الخلافات والصراعات على الأمكنة النسويّة ليس محلّ إجماع. فهو في نظر فئة أخرى من المشاركات علامة على وجود ممارسات ديمقراطية، وحجّة على التعددية والتنوّع في المواقف والآراء. فلو كانت طريقة التسيير تسلطية لما أمكن الإعلان عن هذه الآرء والمواقف النقدية. ولكن هل يكون إصرار المناضلات على أنّ الخلافات لا تمثّل عائقا كبيرا وأنّها «علامة صحية» وتماديهن في التقليل من شأن العنف الذي تمارسه الناشطات شكلا من أشكال الهروب من مواجهة ما آل إليه الأمر، والاستمرار في حالة الإنكار: إنكار سوء التصرّف وتغليب المصلحة الخاصّة على العامة... ؟

ويتوجب هنا التمييز بين الخلافات الشخصية، التي تُفسّر من خلال علم النفس السلوكي والتحليل النفس -الاجتماعي.... أو الخلافات الأيديولوجية وبين الخلافات النظرية والفكرية. إذ أثبتت الدراسات أنّ الصراعات قد تكون إيجابية ومنتجة لأنّها تساعدنا على اكتشاف ذواتنا وتَبيُّن قدرات الأخريات على التفكير في المستقبل. وأكّدت الدراسات التاريخية للحركات النسويّة في العالم على اختلاف مشاربها، وجود خلافات جوهرية عكست تباين المواقف من قضايا مختلفة كالعمل الجنسي وحقوق المثليات والعابرات والسوداوت وغيرها دون أن ننسى الصراعات الفكرية الكبيرة بين النسوية السوداء والنسوية البيضاء وحتى داخل التيارات نفسها. ونعثر أيضا على خلافات حادّة بين المنظّرات نذكر على سبيل المثال الخلاف بين النسوية الكونية(التي دعت إليها سيمون دي بوفوار) والنسوية الجوهرانية، ومع ذلك بقي الفكر النسويّ حاضرا بقوّة ومؤثرا في كلّ الأجيال.

إنّ امتلاك النساء الصوت بعد قرون من التصميت، وانبعاث الضجيج من قاعات النقاش، يُفهم في تقديرنا، على أنّه مؤشر على انتقال النساء من الحكي إلى التفاعل القائم على الاستدلال والمحاججة والإقناع... وهي كلّها مهارات اكتُسبت عندما تحوّلت النساء إلى ذوات فاعلة ومواطنات موجودات بالقوّة في الفضاء العامّ Agora الذي أراد الفكر الذكوري أن يعتبره فضاء خاصّا بالرجال ومعبّرا عن التدبير السياسي المعياري. ومن هذا المنطلق نعتبر أنّ الغاية من النقاش والحوار داخل الأمكنة النسوية ليست تحقيق الإجماع بل تعلّم طرائق التفاوض

والاقناع وكيفية تقديم التنازلات عندما يقتضي الأمر ذلك، والتدرّب على تحليل الظواهر والنصوص والإحصائيات بعمق قبل اتّخاذ القرار. ولا يمكن لهذه الغاية أن تتحقّق دون تشريك أغلب الشابّات والنساء في هذا التمرين و»منح الصوت لمن لا صوت لهنّ» وحسن الإصغاء إلى صاحبات التجارب المغايرة والآراء المختلفة، وفتح المكان النسوّي ليكون فضاء لممارسة الحريات.

لقد أشارت المشاركات في غضون حديثهن عن العراقيل، إلى مجموعة من الآراء المعبّرة، في نظرنا، عن المنشود والمتوقّع كاستعادة الحسّ النضالي وإحكام التخطيط ووضع الاستراتيجيات واحترام التعددية والرأي المخالف وابتكار أدوات التحليل وغيرها. ولذا بدا لنا من المفيد طرح سؤال اعتبرناه أساسيا لارتباطه باستشراف المستقبل: ما هي مواصفات الأماكن البديلة التي تتوق المشاركات إلى إنشائها لتعبّر بالفعل، عن تصوّراتهن وطموحاتهن؟

-6أمكنة نسويّة بديلة وطموحات مشتركة

ما دامت الأمكنة النسوية المتاحة لا ترضي أغلب المشاركات لا من حيث عددها أو نوعيّة الوظائف التي تنهض بها أو طرائق العمل السائدة فيها أو سلوكيات الناشطات المنتميات إليها، فقد كان لابدّ من البحث عن تصوّرات جديدة تجعل هذه الأمكنة أكثر تعبيرا عن النساء وملبيّة لاحتياجاتهن. وكان لا بدّ أيضا أن نختم الدراسة ب»إيقاع إيجابيّ» يبثّ فينا الأمل في سياق طغى فيه اليأس والإحباط.
والواقع أنّه ليس بوسع الناشطات على اختلاف انتماءاتهن، أن يمتنعن عن التعبير عن أحلامهن وطموحاتهن حتى في أحلك اللحظات ذلك أنّهن اخترن المقاومة والصمود والمواجهة عن اقتناع. ومن هذا المنطلق تأمل ‹كوثرعبّاس› في ‹أن يتحقّق التغيير وفك الارتهان بالموروث واتخاذ مسافة نقدية صادقة لا توظف أيديولوجيا أو سياسيا› ولبلوغ الغاية لابد من ‹»الخروج من منطقة اللاأمان وثقافة الخوف حتى يتسنّى لنا مواجهة مشاكلنا بكلّ شجاعة وتصحيح المسار› وتشاطر ‹زينب الشارني ‹عبّاس› هذا الرأي فترى أنّه»يمكن التعويل على الشخصيات الفاعلة خارج الأطر التقليدية لتقديم رؤية صادقة». أمّا ‹رحمة عيدودي› فإنّها تطمح إلى أن تتمكّن الديناميكية النسوية من وضع تصوّر «تولى فيه الأهمية إلى القرب من النساء في جميع الجهات، وأن تكون لها القدرة على تغيير العقليات والإفادة من المعارف المبثوثة لدى الجمعيات» ويجب أن تكون للجمعيات كذلك «القدرة على المحافظة على استقلاليتها». ونظرا إلى تحيّز الدول ‹العظمى ضدّ الفلسطينيين /ات فإنّه «لابدّ من إعادة التفكير في المموّلين والتركيز على النسوية الإقليمية».

ولا تتوانى ‹خوخة ماكوير› عن التعبير عن آمالها إذ تتوق وتتعطّش إلى الفضاءات المفتوحة والتشاركية حيث يتجلّى»الوعي بوجود الآخرين والتمرّن على وضعية الإنصات واقتسام المساحة لا افتكاكها، والاقتناع بأنّ الحراك النضالي لا يحتاج إلى مثل هذه الصراعات» وتُضيف متسائلة: «لِم لا تحسم النزاعات وتنتهي مرحلة الحرب الباردة ؟» أطمح في أن يتمخّض عن هذه الصراعات ما يمكّن الحركات من بناء ذاتها كقوّة وطاقة لا أن تفكّر كلّ جمعيّة في أن تبني نفسها بمعزل عن الأخرى. فالصراعات في الولايات المتحدة الأمريكية كانت مغذيّة وبنّاءة».

ولا تكتفي ‹ريتا› بالانتقاد بل تقترح البديل الذي يُمكّن الجمعيات من تقديم أفضل الخدمات للنساء، ويتمثّل في" انا نستخدمو أدوات اتصاليه قادره توصل للناس مهما كانت بلاصتهم، وانك اليوم تحط صاحبات الحق في الصف الاول...خليهم يحكيوا. يعرفوا يحكي ويحكيوا عليه(قطاع النسيج) بالباهي، ويعرفوا احتياجاتهم قد قد. وينجم يكون احتياج بسيط وما يخطرش على بال الناس اللي قاعده تقرر اليوم في بلاصتهم. تمثيليه النساء في مختلف في القطاعات ضروريه لسن مشاريع. تو راو ما فماش ناس تعرف تكتب قانون وناس ما تعرفش راهو القانون هو الاحتياج اللي نصوغه انا وانت وغيرنا وغيرنا. ..اعطي المجال وحضر مقرات قريبه نقربوا فيها

الخدمات ويصير تبادل تجارب اقرب وخير برشا من اني نقعد في بلاصه ونقدم مطالب ما حاجتهمش بها.»

وفي مقابل طرح القضايا والخوض في النقاش الداخلي في الأمكنة المغلقة تقترح ‹ريتا› عقد مجالس لعموم النساء والانطلاق منها لفتح الحوار والتفاعل.›› فالحمامات والحجامات ولحظات تقطيع الحلالم راهي مجلس نساء. ولحظات تفكير راهو قيد التفكير مش فعل لازمك يكون عندك باك سبعه باش تنجم تعملوا ولازم قريت قريبه للعاصمه. راهو يتعمل خاطر فما نساء القرب منهم مهمّ. ثم احتياجات لمّتهم وتصور لمّهم. التعاونيه اللي تتخلق بالنساه راهي تصور مجتمعي ومن ثم فإنو المشاريع والافكار ينبغي ان تخرج من صاحبات الحق».

ولمّا كانت النشاطات التي تُعقد في مقرّات الجمعيات النسوية لا تكترث بأهميّة متابعة النساء ‹العاديات› لهذه النقاشات ومشاركتهن فيها فإنّ الناشطات بادرن بإنشاء فضاءات خاصّة لتقديم القراءات ومناقشة الأفلام ومشاركة التجارب والنقاش وحلّ بعض المشاكل. وبناء على ذلك تعترف عدد من الناشطات خارج الأطر الرسمية، بصعوبات العمل فأن تكون الواحدة نسوية مستقلة معناه أنّها تفتقر للمظلّة التي تسمح لها بتنظيم أنشطة وأن تستمتع بالحماية القانونية والدعم.

ولكن من الناشطات من تعتبر أنّ موقعهن كنسويات مستقلات هو الذي يمنحهن حريّة أكبر، وقدرة على ابتكار مبادرات وعرض طرائق عمل مختلفة عن السائد. وانطلاقا من هذا التصوّر كان التفكير في تأسيس اطر جديدة. تقول ‹ريتا› في هذا الصدد متحدّثة عن تجربتها في إنشاء مكان بديل:›› هاو ما يرجعش بالنظر للاطر النسويه وخلقنا فيه ناس تفكر ومتصالحه وموجات متاع النسويه. يعني مش ضروري أن الاطر لوحدها هي اللي تخلق لك الفضاءات هذه. يزينا من الموائد المستديره والندوات. خلي الناس تتفاعل. استهدفوا ناس اخرين.»

يندرج هذا المقترح في تصوّر مختلف عن السائد يشمل مختلف الأمكنة التي يُعهد لها بنشر ثقافة الحقوق الإنسانية للنساء إذ يتعيّن على مختلف الفاعلات تغيير برامجهن وصياغة أنشطتهن بطرائق تقطع مع المتعارف عليه ومع التصوّر التقليدي والمكان ‹المغلق›.

ومن طموحات الناشطات حسب ‹فرح المسعودي›[86]»استبدال الزعامة بفكرة الفريق المشترك الذي يعمل لصالح المصلحة العامّة. هناك متعة مشتركة في أن نفكّر معا ونشتغل وننتقد معا في كنف الاحترام الثنائي.»وترنو ‹جليلة بن ناصر› إلى وجود «مزيد من الانفتاح على الاختلاف ومناقشة قائمة على حرية التعبير، وفضاء مفتوح قادر على بناء معرفة دون الارتكاز الكلي على سلطة التمويل وما تفرضه أحيانا من أوامر.» وتتفق كلّ من ‹سيرين› و‹انتصار قصارة›[87] على أهميّة «بناء معرفة ذات صلة بالواقع» و»ضرورة انتاج دراسات وبحوث تسلّط الضوء على النسويذة الرقمية باللغة العربية وتأخذ بعين الاعتبار التطور الحاصل في مستوى الممارسات. نعم هناك رغبة في المزيد من حرية التعبير بخصوص القضايا الحقوقية مع التركيز على قصص النجاح والتجارب الايجابية››.

أمّا ‹مها عبد الحميد› فتُثير مشكلة ‹الإنتاج النسويّ المحلي» تقول: «معضلتنا في المفاهيم المستوردة والتأثّر بالنسوية السوداء. فنحن لا نملك تقاليد البحث المحلي ولذلك نقوم بالاسقاطات. وهنا حُقّ التساؤل: كيف يمكن لنا إنتاج معرفة محلية من منطلق تجربة محلية؟ هذا هو التحدّي الفعليّ. « ومادامت» النسويّة لم تنطلق من المعرفة الذاتية ومن الوعي بتجارب النساء في البيئة المحلية ومن استحضار تجارب النساء والكتابة فإنّ خطاب النسويات

86 لقاء المجموعة البؤرية الأولى نادي الجندر بتاريخ 18 نوفمبر2023
87 ناشطة شاركت في المجموعة البؤرية عدد 2 الخاصة بالنشاطات في الفضاء الرقمي. عقدت عن بعد بتاريخ 28 نوفمبر 2023.

سيظلّ متناقضا».

وتطرح ‹خوخة ماكوير › مشكلة تتصل بالتعاون بين مختلف الجمعيات والأطر المعرفية من أجل بناء معرفة مشتركة. تقول: «تتجه الفضاءات النسوية نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي على مستوى المعرفة والممارسات فلا وجود للتشاركية في بناء المعرفة.» وعلى هذا الأساس فإنّ المنشود هو إنجاز بحوث مشتركة والتدربّ على العمل الجماعيّ وفق مناظير متنوّعة. وتشرح ‹هيفاء ذويب› علاقات الارتهان للغرب وللمركزية الأوروبية التي ينطلق منها أغلب الممولين فيهيمنون على الشعوب ويفرضون بقوّة المال الأجندا النسائية الخاصّة بهم، والحال أنّ الناشطات يمتلكن معرفة مهمّة. تقول: «هوما ما يمتلكوش السياق متاعي... مايمتلكوش سرديتي، تجاربي ميداني... وباش نتحرروا منهم .. نمتلكوا خطابنا ومعرفتنا .. خصوصا المعرفة، لي مايمتلكش المعرفة ماهوش حرّ.. والمعرفة النسوية لازم تكون حرّة خارجة من سياقاتنا ومن سردياتنا من المنطق الاستعماري الأبيض ومن المنظومة الرأسماليّة ... من الأبويّة والذكورية... المركبة والمتعاقبة... تحارب بالمعرفة. «

إنّ امتعاض فئة من المشاركات من نوعيّة البحوث والدراسات التي انجزت وفقهنّ، تحت الضغط، والإملاءات الدولية، وموقفهن من الدولة التي لا تموّل الجمعيّات النسويّة فتجعلهن «تحت» سلطة المموليـن يجعلنا نتساءل: إلى أي مدى كانت الأمكنة النسوية مشجّعة على بروز كفاءات جديدة قادرة على إنتاج نسويّ بعدسات مختلفة ؟ ثمّ ما هي الطرائق الجديدة التي تقترحها الناشطات لانتزاع مكانة في مجال بناء المعرفة النسويّة في الفضاء المغاربي والفضاء العربيّ عموما؟
فباستثناء مجموعة قليلة من الناشطات اللواتي خضن تجربة الكتابة المغايرة وحاولن كسر القيود المفروضة على الكلمة الحرّة لا يُعدّ هذا الموضوع مطمحا رئيسا لدى الناشطات والنساء. ونرجّح أنّ السبب يعود إلى اختلاف آليات المقاومة من جيل إلى آخر وعلاقة النساء بالكتابة إذ أنّ ما يستهوي أغلب الشابّات هو النضال في الشارع: صراخا وغناء وهتافات وإعلانا عن الغضب ...إنّها أجساد تتحرّر من القيود والأغلال فتتحوّل إلى أداة للنضال.

ورغم اختلاف الرؤى والتصورات فإنّ أغلب المشاركات متمسّكات بالبعد النضالي النسوي، وبأهميّة توفير أمكنة أخرى للنقاش والعمل معا، سيما في هذا السياق الاجتماعي-السياسي المفصلي إذ تقرّ أغلب المشاركات بأنّ تباين مواقف النسويات من منعرج 25 جويلية 2021 بسبب هيمنة الأيدولوجي السياسي على النضال أدّى إلى تشظي الحركة النسويّة وهدر الوقت والطاقة في النقاشات الأيدولوجية على حساب المراكمة والترميم. ولاشكّ في أنّ وعي المناضلات بأنّنا إزاء ‹هدم ما تم بناؤه›› أصبح محبطا على حدّ قول ‹سعيدة قراش›.

وبناء على قراءة هذا الواقع وضعت الناشطات مجموعة من الشروط التي من شأنها أن تُغيّر ملامح الحركة النسويّة لعلّ أهمّها أن تتفق العضوات على تغيير أنماط التفكير وطرائق العمل حتى تبدو أكثر التزاما بالنفس النضالي. ولن يتسنّى إنجاز هذا التغيير الراديكالي إلاّ بتغيير رؤيتنا للمكان النسويّ الذي يجب أن يكون حسب ‹فريال شرف الدين› [88]›فضاء safe&brave، للنساء وبنظرة نسوية وفيه تكون sisterhood بين جميع النساء عاملا مهمّا للنجاح›› وتوظّف فيه أدوات نضال وتفكير جديدة.›› وبالإضافة إلى ما سبق تتمنّى ‹فريال شرف الدين › أن تكون الناشطات في مستوى المسؤولية حتى لا «يتمّ توريث الأجيال القادمة الخصومات والممارسات السلبية ‹›.

وتعترف عدد من المشاركات بأنّ المسار يتطلّب مدّة زمنية طويلة تقول ‹آمال العرباوي:› إنّ «الأمكنة النسويّة تحتاج إلى سنوات طويلة حتى تتحوّل إلى فضاءات آمنة. نحتاج إلى تكوين حتى نتخلّص من المنافسات ونحتاج إلى تضامن». ولذلك فإنّها تعوّل على «الأجيال الجديدة

88 اللقاء الرابع مع ‹الديناميكية النسويّة›(جمعية أصوات نساء وجمعية كلام و...)

حتى تأخذ المشعل وتقود الديناميكية النسوية».

جماع القول : لقد تعمّدنا إيراد كلّ هذه الشواهد المعبّرة عن أحلام وطموحات وتصوّرات المشاركات، وخاصّة الشابّات حتّى نكون في وضع التقبّل ومحاولة الفهم. ولاحظنا أنّ هذه الآراء تتضمّن «خارطة عمل» أو خطة مستقبلية ليس بإمكاننا التكهّن بمدى جاهزيّة الجمعيات النسوية لتطبيق جزء منها سيما وأنّها عرضت البدائل. وقد استوقفتنا مواصفات الأمكنة النسويّة المنشودة (بصيغة الجمع).فهي «مفتوحة» و»»منفتحة على بعضها البعض»و»متنوّعة» و»تشاركيّة» و»آمنة» و»منتجة» و»متجدّدة» وتضجّ بالحيويّة والحماس والجرأة ...إنّها الحياة في تجلياتها الصاخبة.

وبقطع النظرعن اختلاف أشكال تمثّل الأمكنة النسوية الحالية، وتنوّع تصورات الأمكنة البديلة والمنشودة فإنّنا نرى في الاختلاف ما يثبت تعدديّة الأفكار وثراء المقترحات المقدّمة بشأن مستقبل النضال النسويّ والأمكنة المرتبطة به، وهي تصورات تتجاوز حدود التسييج التقليدي وفق الجندر والسنّ والطبقة والهوية و...، حتى وإن كان الظاهر يوحي بعكس ذلك. فالحسّ النضالي يجعلنا بالضرورة نحلم بمجتمع مساواتي مُؤنسن تسود فيه الحرّية والعدالة والكرامة و... ويتم فيه «تجذير الممارسة التشاركية والاستثمار في التجارب السابقة والإقرار بأهميّة المراكمة» على حدّ قول «سعيدة قرّاش».

وتحذّرنا «درّة محفوظ «و»نبيلة حمزة» و»حفيظة شقير» و»فريال شرف الدين»، و»سارّة بن سعيد» و»رحمة عيدودي» وأخريات من الانخراط في سردية «جلد الذات» إذ يتعيّن علينا كنسويات أن لا نحمّل أنفسنا أكثر من طاقتها وأن نقنع الآخرين بأنّ مسألة حقوق النساء معقّدة وهيكلية ومرتبطة بالدولة والوسطاء. وتلّح هؤلاء الناشطات/المناضلات على أنّه»»لا خيار لنا اليوم إلّا التوحّد» و»ضرورة التفافنا حول أنفسنا كمنظّمات» وأنّ سياق 25 جويلية 2021 بات يفرض علينا «توحيد الرؤية السياسية» و»وضع معايير» لاستكمال بناء الفضاء النسويّ الذي تأسس بعد هذا التاريخ المفصلي من خلال» الديناميكية النسوية».

وفي السياق نفسه توضّح «هيفاء ذويب» تصوّرها. تقول: «مالازمش نحطوا الحمل الكل على الفضاءات النسوية وحدها، لأنّها هي زادة علاها حمل كبير.. أنا نحط مسؤوليّة مشتركة... في علاقة ب synergie بين مختلف هذه الفضاءات ومجموعة التدخلين والمتفاعلين.... الدولة والإعلام الفضاء العام...... بالنسبا لي ..... c'est un fardeau كبير.. وهذا ريناه في قضيّة رفقة الشارني في أنا زادة... في برشة أحداث».

ولئن كان الصراع من قبل، من أجل مرئية الجمعيات وبروز القياديات وانتزاع الاعتراف والشرعية (التاريخية ، الثورية...)فإنّ المرحلة التاريخية التي نمرّ بها تقتضي منّا جميعا، كلّ من موقعها، أن نتشارك الخبرات والتجارب والمعارف والممارسات الفضلى من موقع التكامل والتنافس الشريف، والتضامن...وأن نقتنع بأنّ «عدونا واحد». تقول «خوخة ماكوير» منتقدة «حب البروز والسيطرة:»هي ممارسات غير إيتيقية إذ لا يمكن أن نتطوّر ونحن نتصارع من أجل افتكاك المساحة بدل أن نقتسم المساحة، وأن نمارس الاستبعاد والإقصاء بدل العمل معا.»
ونتفق مع «زينب الشارني» حين اعتبرت أنّ «الفكر النسويّ والممارسات النسويّة تشكّل أرضية اجتماعية ثابتة منذ ما قبل الاستقلال ومنذ النهضة العربية وهي تمثّل أرضية إذ يجب أن تجد كلّ واحدة منّا في ذاتها ما يجعلها قادرة على إعادة إنتاج القدرة على المقاومة.» زد على ذلك أنّ النسويّة استطاعت تحقيق «رأس مال هامّ وإرساء مجموعة من المكاسب والبحوث والدراسات، وعليها اليوم إعادة النظر في هذا الإرث والمضامين والانجازات المعرفية والخطابات حتى لا يُعاد إنتاج الأزمات والمآزق. إنّ العمل يرتكز على الداخل إذ لنا القدرة على بناء ذات صامدة. والتعويل على الأنثوي كما يقول الحدّاد، هو السبيل لتجاوز المآزق. كما أنّ العمل الجماعي الذي يطرح الاشكاليات وتذوب فيه الأنوات كفيل بتحقيق المراد.»

III -الاستنتاجات الكبرى

كان مدار الدراسة على›› الأمكنة النسوية ومدى تأثيرها في نشر ثقافة المساواة››، ومن هذا المنطلق تعيّن طرح سؤال يخصّ تعريف النسوية، لاسيما وأنّها تتواتر في حديث أغلب المشاركات وأضحت اليوم في طور المراجعة. ونحن إذ نطرح هذا السؤال إنّما نسترجع ما نادت به ‹إلهام المرزوقي› حين قالت:›› من المواضيع الجديدة بأن تطرح على طاولة النقاش: تعريف نظري وواضح وشموليّ لمفهوم النسويّة››.[89]

وتبيّن لنا أنّ النسوية تُفهم لدى أغلبهن، على أنّها ممارسة تطبيقية وفعل في الواقع، أي نسويّة الفعل (un féminisme d'action)، وهي ذات أهداف منها: تحصيل المعرفة من خلال التجربة واكتساب مهارات الحوار والاستدلال والإقناع والتفاوض، وتقديم التنازلات في اللحظة المناسبة، وصياغة البرامج والمشاريع والقدرة على التخطيط والأغدارة والتسيير والحوكمة والتغيير.

ولكن إلى أي مدى يمكن الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي؟ وهل أنّ الفجوة القائمة بين القول والممارسة هي التي جعلت مفهوم النسويّة ينحو منحى الارتباط بالممارسة اليومية؟ ثمّ لِمَ احتلت النقاشات حول العمل الميداني حيّزا كبيرا من اهتمام المشاركات على حساب الطروحات الفكرية والنقاش حول بعض المصطلحات والمفاهيم واتجاهات البحث النسوي؟ فهل للأمر صلة بتأثير الميديا الاجتماعية في نمط الحياة إذ لم يعد الفرد يتحلّى بطول النفس ولا صبر له على قراءة المقالات الطويلة والمعمّقة وذات الحمولة الفكرية المعقّدة؟ أم أنّ الأمر يُفسّر في ضوء المعطى الاقتصادي وارتفاع ثمن الكتاب وأحيانا عدم توفّره في السوق وتأثير الأزمة الاقتصادية على ترتيب الأولويات والاحتياجات؟

89 إلهام مرزوقي، مرجع مذكور، ص29.

ويمكن في هذا الاطار رصد تبعات برامج التعليم التي لم تساهم بالقدر الكافي، في بناء معرفة مساواتية تحظى فيها النساء في العلوم السياسية والقانونية والتكنولوجيا والهندسة والجغرافيا والتاريخ وغيرها من المجالات بمكانة تحقّق مرئيتهن وتكشف عن مساهمتهن في بناء المعرفة.يُضاف إلى ذلك غياب البرامج الثقافيّة التي كان بإمكانها أن تنهض بدور هامّ في مستوى تعميم المعرفة النسويّة وقضايا الفكر النسويّ وغيرها.

لكلّ هذه الاعتبارات السابقة نُذكّر بأنّ الفكر النسويّ باعتباره فلسفة ورؤية وتصورات ينبع من خبرات النساء الفكرية والثقافية تجاه موضوعات وقضايا ومشكلات فكرية واجتماعية وسياسية وثقافية، ومعنى هذا أنّ التنظير مرتبط بالواقع، وأنّ كلّ جهد عملي هو في تفاعل عضوي مع الجانب النظري. ونذهب إلى أنّنا بحاجة إلى كلّ النسويات(Les féminismes): نسوية الميدان، ونسوية التفكير ونسوية الأكاديميا ونسوية النضال السياسي...فهي التي تحفّزنا على المضي قدما.

وعلاوة على اختزال النسويّة في الجانب العمليّ، ربّما للحاجة إلى تناول القضايا الشائكة واتّخاد مواقف منها تستدعي سرعة الردّ، لاحظنا أنّ أغلب المشاركات لا يكترثن بتحديد التيار النسوي الذي تتبنّاه كلّ واحدة منهنّ، ونادرا ما تتموقع هؤلاء ضمن تيّار من التيارات المعروفة كالتيّار النسوي الحداثي أو النسوية ما بعد الحداثية وغيرها، باستثناء ‹زينب الشارني› التي عرّفت نفسها بأنّها نسوية اشتراكية أو بعض الناشطات اللواتي عرّفن أنفسهن بأنّهن نسويات تقاطعيات. أمّا الإشارة إلى ‹النسوية العلمانية› أو ‹ النسوية الليبرالية› و‹النسوية الفرنكفونية› فإنّها ترد في مقام نقدي، أي عندما تُوجّه مجموعة كبيرة من المشاركات انتقادات للمناضلات اللواتي يرفضن التحاور مع نساء يحملن أفكارا تتعارض مع توجهاتهن الخاصّة بدعوى الخوف من تهديد هوية الجمعيّة وتوجهها اللائكي أو الزعم بأنّهن مهدّدات بالاختراق.

وبالرغم من الاعتراف العالمي الذي انتزعته النسوية الإسلامية، وتَشكُّل مجموعة تعلن عن انتمائها إلى هذا التيار في تونس (ألفة يوسف، زهية جويرو...) وترى أنّها تعمل على تغيير واقع النساء والدفاع عن حقوقهن وترسيخ ثقافة المساواة والعدالة الاجتماعية من داخل المنظومة الدينية فإنّ العيّنة التي شاركت في الدراسة، تبدو غير مكترثة بهذا التيار[90] ربّما لأنّ سنّ مجلّة الأحوال الشخصية وفرض سياسات التحديث كان لهما أثر في ترسيخ فهم محدّد للنسوية التونسية قائم على الفصل بين البعد السياسي والمكوّن الديني، والتسويق لها باعتبارها نسويّة معلمنة ولائكية (وفق الطرح الفرنسي). وقد يعود الأمر إلى أنّ السياق الذي اجريت فيه الدراسة يعكس شغفا متزايدا بالتقاطعية واهتماما أكبر بالنسوية ما بعد الاستعمارية.

ولئن لم توّفر الأمكنة النسويّة فرصا كثيرة لتنظيم ورشات تفكير حول تعريف واضح ودقيق للنسويّة وفهم النساء التونسيات لها، ولم تُحدّد الشروط والمعايير التي تجعل المكان «نسويّا» فإنّ بعض النقاشات داخل المجموعات البؤرية أبانت عن وجود محاولات فردية لإعادة النظر في النسويّة التونسية والتفكّر في ملامحها الخاصّة. ونقدّر أنّ هذا التفكّر هو مؤشر هامّ في مسار انطلاق المراجعات ذلك أنّ النسويّة هي قبل كلّ شيء، إطار تحليليّ وطريقة للنظر إلى الذات وإلى الآخر وكذلك إلى الحياة والكون، وهي تتموضع تاريخياً وسياسياً وجغرافياً وثقافيا، وتُبنى لغويا (الفرنسية، العربية/الدارجة/ الانجليزية) ونظريّا وتُمارس يوميّا وتتشكّل وفق التجارب التي نمرّ بها/ والمسار الذي نقطعه فإذا بنا نتوقّف بين الحين والآخر، لنتساءل ونعيد النظر في عدّة مفاهيم ومصطلحات ونظريات وأفكار...

90 وفي المقابل جلست النسويات في المغرب ومصر على اختلاف مرجعياتهن، على طاولة الحوار. فعندما اقتضى السياق توحيد النضال والمطالب لم تتأخر النسويات على تلبية النداء وتركن خلافاتهن وتعلمنا مبادئ العمل معا لفائدة تغيير واقع من لا صوت لهنّ.

ولاحظنا، في معرض الحديث عن النسويّة والتموقع النسويّ والفعل النسويّ...عدم استحضار لبعض الشخصيات القدوة والمؤثرة إلّا لماما (باستثناء أحلام بلحاج وصفية فرحات، وصوفي بسيس) بينما غابت نسويات أخريات عرفن بنضالهن قبل الثورة وبعدها. ولفت انتباهنا في هذا المقام،عدم استحضار الناشطة ‹لينا بن مهنّي› في خطاب الناشطات المنتميات إلى «الجيل الجديد»: جيل النشاطية الرقمية والميدانية. فهل معنى ذلك أنّ كلّ الشخصيات الفاعلة على الميدان أو في مستوى الأكاديميا لا تمثّل نماذج قدوة قادرة على احتلال موقع في الذاكرة النسوية للشابّات والنساء؟ وهل أنّ هذه الشخصيات تُتمثّل بالفعل، على أنّها ‹من تركة الماضي› بالحمولة الأيدولوجية والأخطاء التاريخية أو هي شخصيات «المكسب والخسارة» ؟ وهل يندرج الأمر ضمن رفض كلّ النماذج القدوة لأنّها تحيل على سلطة معيارية ما . فهذه الأجيال ترفض السلطة مهما كان مأتاها؟

وبالرجوع إلى تعريف المشاركات للمكان النسوي اتّضح لنا أنّ الحركة النسوية انطلقت تاريخيا من الفضاء الخاصّ(البيوت، المجالس النسائية..) لتنتقل بعد ذلك إلى الفضاء العامّ حيث تأسّست الجمعيات الخيرية والاتحادات والمنظمات... وقد ارتبط هذا الحراك أوّلا بالنخبة: نساء سليلات الأسر ‹العريقة› والمحافظة اللواتي اعتبرن المكوّن الديني براديغما إلى جانب نساء انتمين إلى الحزب الشيوعي، وثانيّا بجامعيات وطالبات انتمين إلى «نادي الطاهر الحدّاد» لم يفصلن بين النظري والتطبيقي أو بين التنظير والممارسة. ولكن يبدو من خلال أقوال المشاركات، أنّ ‹الكفة صارت أكثر ميلا إلى الجانب العملي› الذي يُعنى بقضايا»صاحبات الحقّ». كما أنّ هؤلاء الناشطات صرن بحاجة ماسّة إلى فضاء نسويّ خاصّ وحميمي قد يكون ماديا أو رقميا، لا تهيمن فيه النخب الجامعية. فهل تدلّ هذه الحاجة على أنّ الأمكنة النسوية لم تعد تحقّق الغرض المأمول وصارت عاجزة عن تحقيق الألفة والإشباع المعرفي؟

ويترتّب عن طرح السؤال إقرار بأنّه يتعيّن على ‹النخب النسويّة» اليوم، مراجعة تموقعها ومواقفها وتصوّراتها وممارساتها وسلوكاتها وخطاباتها..

وإذا كان التصوّر التقليدي يفرض مناقشة المواضيع المتصلة بالشأن العامّ أو السياسة في الفضاء العامّ حيث الحيادية والعقلنة والموضوعية... فإنّ الناشطات النسويات استطعن تغيير هذا النمط من التفكير إذ جعلن الفضاء الخاصّ منفتحا على كلّ النقاشات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية وفق قاعدة الشخصيّ هو أيضا سياسيّ(All is politics). وإذا كان التصوّر المحافظ في بعض المدن لا يستسيغ حضور النساء في المقاهي، ومقرّات الأحزاب وغيرها من الفضاءات التي يحتكرها الرجال فإنّ من الشابّات فئة نجحت في اختراق كلّ الأمكنة وحوّلت الشوارع والساحات والزوايا والأركان إلى أمكنة للنقاش النسويّ.

ونخلص من كلّ ما تقدّم إلى تعريف المكان النسويّ بأنّه كلّ مكان/فضاء space/place يُخصّص للنضال من أجل تغيير واقع النساء والدفاع عن حقوقهنّ وبناء معرفة تخصّهن هو جدير بأن[91] يوسم بأنّه»نسويّ›: أي للنساء ومن أجل النساء. ولكن بما أنّ صيغة الجمع (نسوّيات) بمعنى التعدّد هي الواردة أكثر في خطاب المشاركات فقد استوجب الأمر استعمال أمكنة نسويّة متنوّعة تعكس اختلاف النساء التونسيات وتعدّد أشكال التعبير عن نسويّتهن وأنشطتهنّ. وضمن هذا الفهم برزت جمعيّات كسرت الحدود التقليدية وحاولت الانفتاح على أفق أرحب والانطلاق في مغامرة خوض تحديات هووية جديدة فرضتها الثورة التونسيّة. فكانت الجمعيات الداعية إلى الإدماجيّة تجربة ‹فريدة من نوعها» في العالم العربي ولكنّها في موضع التحديق والاختبار. تقول ‹سارّة بن سعيد›: «كان الحلم بالنسبة إلينا تأسيس جمعيّة نسويّة مشتركة تجمع بين الجنسين وفتح مكان يمنح الصوت للجميع ويساعدهم على التجرّد من الهيمنة

91 لا تذكر مقرات الجمعيات النسوية باعتبارها فضاء يوفر فرصة الاطلاع على الكتب والمقالات إذ لم تشر أية مشاركة إلى وجود مكتبة مكنتها من بناء معرفة نسوية أو البحث. فباستثناء الكريديف لا نجد اهتماما بتخصيص مكتبة رقمية أو إنشاء نظام إعارة الكتب داخل الجمعيات حتى تساعد العضوات على الاطلاع على ما انجز من دراسات محلية وعالمية.

الذكورية وسلوك الاستحواذ على السلطة.» ولكن مادام عدد الذكور كما لاحظنا نزر فإنّ التجربة لا تعكس، في تقديرنا، هذا التوّجه الإدماجي بقدر ما تعبّر عن استئناس بحضور فئة من الرجال ممن استطاعوا إعادة النظر في مسار بناء رجولتهم والاشتغال على أنفسهم حتى يحوّلوا هذه الرجولة إلى رجولة مساواتية. ويترتّب عن هذه الملاحظة الإقرار بأنّ المكان يبقى نسويّا وللنساء ومؤنّثا حتى وإن حضر فيه بعض الرجال(اللذين يغيّرون قاعدة التخاطب).

ونظفر في شهادات بعض المشاركات على ما يدل على أنّ الأمكنة النسوية كانت ولازالت في تعالق مع فضاءات يسارية وأخرى مرتبطة بالدفاع عن حقوق الإنسان أو حقوق الأقليات أو الحقّ في الاختلاف وغيرها، وهذا يعني أنّها فضاءات احتوت الفاعلين/ات في المجتمع المدني الذين اقتنعوا بضرورة تغيير نظام الحكم والبنى الاجتماعية والذهنية والمنوال الاقتصادي... وقد نجم عن ذلك التداخل إفادة الناشطات من النقاشات المُلهمة واطلاعهن على مواضيع مختلفة وتجارب متنوعة وطرائق متعددة في التشبيك وبناء التحالفات وغيرها من المهارات. ودلّت كلّ هذه التجارب على أنّ الأمكنة النسويّة ليست مغلقة أو معزولة عن غيرها من الفضاءات التي تناضل من أجل الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية وغيرها من القضايا. وهذا الانتقال من فضاء إلى آخر يمنح العضوات قدرة على بناء شبكة علاقات مهمّة يُستفاد منها عند الاقتضاء، وتطوير فهمهن للنسويّة واكتساب مهارات جديدة.

ونستشفّ تباين الآراء بشأن هويّة الفاعلات في الأمكنة النسويّة. فبينما قرّرت الجمعيات النسويّة قبول عضوية النساء فقط، حجّتها في ذلك أنّ ولوج النساء المكان النسويّ أسهل ولا يعرّضهن لتبعات الرقابة الذكورية، ويتلاءم مع البنية النفسية لبعضهن... طالبت الناشطات، وخاصّة الشابّات بأن تكون هذه الأماكن بالفعل لجميع النساء، وأن تُقبل انخراطاتهن بقطع النظر عن اختلاف انتماءاتهن الطبقية والعرقية والعمرية...، وأن تكون أيضا إدماجية ومفتوحة أمام العابرات، وغيرهن/هم من المنتميات إلى الهويات اللامعيارية. يُضاف إلى ذلك أن لا يمارس في هذه الأمكنة التمييز والإقصاء ضدّ بعض الفئات، إن كان في مستوى حضور الأنشطة أو قبول مطالب الانخراط... وأن يكون دفاع النسويات عن حقوق جميع النساء دون تمييز على أساس الأيديولوجيا والإثنية والعرق...

ويُفهم هذا الموقف من خلال تبنّي هؤلاء الناشطات للتقاطعية من جهة، وللثقافة الإدماجية، من جهة أخرى. فضلا عن إيمانهن بالمساواة في دلالاتها الشاملة وبضرورة تجاوز ثنائيات مختلفة المركز/الهامش، الأنا/الآخر....

يتنزّل تصوّر الأمكنة في نسق التمثيل (le systéme de représentation) إذ نجد تمثلات اجتماعية وثقافية ورمزية ودينية تخصّ الفضاء العامّ والأمكنة الموجودة فيه سواء كانت تخصّ الرجال أو النساء أو أصحاب/ات الهويات اللانمطية. وتعكس هذه التمثلات مكانة النساء والشابّات في المجتمع، وفي السياسات العامّة والتشريعات وغيرها فضلا عن دلالتها عن موقع الأنثوي في المتخيّل الجمعي وكيفيّة حضوره في الفضاء العامّ.

وإذا تأمّلنا في علاقة التمثلات بالأمكنة النسائية والنسويّة وجدنا أنّ الثقافة السائدة ترسّخ مجموعة من الصور النمطية والمعايير التي تؤدي إلى التمييز بين الأمكنة المخصصة للرجال والأمكنة المخصصة للنساء، وكلّ فرز يُفضي حتما إلى التمييز وبناء علاقات تراتبية هرمية. وليست «هندسة الفضاءات» في المجتمع المدني بمعزل عن هذا التصوّر. فأماكن الرجال هي أمكنة ذكورية حتى وإن اخترقتها النساء أو سُمح لهنّ بالعمل فيها ذلك أنّ السلوك والممارسات والخطابات والمعاملات تفضح الصور النمطية والتمثلات المهيمنة وتُذكّر النساء باستمرار بأنّهن وافدات على المكان ولسن صاحباته.

إنّ مقرّات الأحزاب السياسية تُتصور على أنّها مقرات التفكير الجدّي والعميق والاستراتيجي

والنقاش المثمر، وإن حدثت الاختلافات والمؤامرات... فإنّها تبرّر بأنّها عادية وضرورية في السياسة وهي بنّاءة ونتيجة دهاء سياسي... وكذا الأمر بالنسبة إلى الصراع من أجل السلطة والنفوذ وفرض الزعامة فهو مشروع إذ لا تستقيم الرجولة إلاّ في ظلّ مسار الاختبارات وفرض الذات ولا تترسّخ قواعد القيادة إلاّ من خلال علاقات القوّة.

وفي المقابل تُتمثّل أمكنة النساء على أنّها أماكن تسود فيها الفوضى والانفعالات كالعويل والبكاء والزغاريد والضجيج والتنافس وتدبير المكائد...فتغدو في نظر الرجال، عبارة عن «حمام نساء». فلا غرو أن تُنعت السياسيّات بأنّهن «حارزات حمام».

أمّا إذا نظرنا إلى تمثّل الأمكنة النسويّة فإنّها وفق المخيّل الذكوريّ العامّ، أمكنة الفسوق والانحلال وتحفيز النساء على الخروج على التقاليد والأعراف ونبذ قيم الطاعة والخضوع والحياء فضلا عن كونها أمكنة التخطيط الاستراتيجي من أجل القضاء على الرجال. أو لم تُرفع في احتجاجات النساء شعارات داعية إلى «قتل البطريكية ‹› « À bas le patriarcat ؟
وبالإضافة إلى ذلك تَتمثّل صاحبات الهويات اللانمطية الأمكنة النسويّة على أنّها مغلقة ومَعنية بتمثيل جندر واحد وإقصائية وتشقّها خلافات كثيرة، ولكن بعد 2013 صارت ‹جمعيّة النساء الديمقراطية› أكثر مرونة في التعامل مع الحركة الكويرية، ويتجلّى ذلك في تطرّقها إلى الحرية في اختيار الشريك لا الزوج وباتت التحالفات ممكنة وكذا الشأن بالنسبة إلى عدد آخر من الجمعيات.

وبين كلّ هذه التمثلات يبرز خطاب النسويات عن علاقتهن بالأمكنة النسويّة التي أنشأنها، وهو لا يخلو بدوره، من مجموعة من التمثلات.إذ تتمثل المشاركات في لجان التسيير أو في الهيئات المديرة والتنفيذية للجمعيات النسويّة أماكن عملهن على أنّها مُحصّلة نضال من أجل امتلاك الصوت وامتلاك الفضاء وتجسيد قيم الديمقراطية: دمقرطة الفضاء العامّ والمجتمع ككلّ. وعلى هذا الأساس تسود في خطاباتهن عبارات دالة على أنّ هذه الأمكنة الخاصّة بهنّ، هي في تعارض تامّ مع أماكن أخرى ذكورية وظيفتها حفظ الامتيازات الذكورية وترسيخ التراتبية الهرمية أو أمكان أخرى تتجلّى فيها السلطة القهرية. وقد اتّسع هذا الخطاب المقارن ليشمل نعوتا وصفات تُقرن بالأمكنة النسويّة كالاستقلالية والعلمانية والليبرالية والتمدّن (la civilité) وغيرها.

ومن مزايا هذه الأمكنة أنّها توفّر فرصة لمناقشة الاستراتيجيات الممكنة والمتاحة والخطابات وأشكال العمل الجماعي وبناء التحالفات داخل البلاد وخارجها، يُضاف إلى ذلك أنّها تمكّن العضوات وبعض الضيوف والضيفات من تبادل وجهات النظر حول مجموعة من القضايا كالعنف واللامساواة في الأجر وفي الميراث والصحة الجنسية والحقوق الفردية وغيرها.

أمّا تمثّل الشابّات للقياديات فإنّه لا يتطابق مع الصورة التي ترسمها المناضلات عن أنفسهن ويُردن من الأخريات تبنّيها. فقد وضّحت الدراسة أنّ مجموعة من التمثلات تفضي إلى اتهام بعض الرئيسات والخبيرات والمناضلات بالوقوع في شراك البطريكية وذلك من خلال إعادة إنتاج الممارسات الذكورية. ولاشكّ أنّ المنافسة الشديدة بين الخبيرات والصراع حول القيادة النسائية جعل بعض الفضاءات النسويّة تتحوّل إلى أماكن متماهية مع التصور الذكوري لاستغلال الفضاء لبسط السلطة وتثبيت امتيازات البعض على حساب البعض الآخر.

لقد بدت ردة فعل بعض الشابّات على تحوّل الأمكنة النسويّة الى فضائات تسود فيها علاقات القوّة والهيمنة راديكالية إذ يتعيّن من وجهة نظرهن، الانتقال إلى فضاءات أكثر تعبيرا عن تصوراتهن، حيث تُمارس «النسوية الرقمية» أو «النسويّة الشعبيّة» التي تتمثّل في إنشاء «مجالس خاصّة بصاحبات الحقّ» لا يجوز فيها منح الكلمة للنخب الأكاديمية والخبيرات اللواتي ليس من حقّهن حسب هذا الطرح، أن يتكلّمن نيابة عن الأخريات المهمّشات والمستبعدات

والمستغلات. وتتناسى صاحبات هذا الطرح أنّ استحضار تجارب النساء المهمّشات والمنسيات ...في المجال المعرفي هو أيضا، نضال بالكلمة من أجل لفت انتباه مقرّري السياسات العامّة الى واقع تتقاطع فيه بنى الاضطهاد وتُغيّب فيه فئات من النساء .فهو إذن نضال من أجل تحويل المنسيات إلى نساء مرئيات وحاضرات في الإنتاج المعرفي.

وقد تفسّر هذه الراديكالية في اتخاذ موقف من الجامعيات في ضوء الرهانات المرتبطة بسلطة المعرفة. فهل تُستمد المعرفة من النظريات والفكر أم من النساء ‹العاديات› اللواتي يجب أن يكن في الصدارة، وفي موضع المرئية التامة، وهو تصوّر يوحي بوجود صراع طبقي، وفي الوقت نفسه صراع جيلي قوامه إزاحة القديم وإحلال الجديد. ولكنّ هذا النمط من التفكير القائم على الإزاحة: إزاحة النخب لتحلّ محلّها فاعلات من «عامّة الناس»، وإزاحة «البلديات» في مقابل بروز الريفيات والقرويات ينمّ عن منطق إقصائي «شعبوي»: يَحذف ويَشطب بدل أن يجد طريقة لتجديد الخطابات حول الفعل النسويّ وإعادة هيكلة الفضاءات لتتسع للجميع. كما أنّه تصوّر لا يؤمن بأن تَجاور هذه الفضاءات والخطابات يمكن أن يُيسّر، على المدى البعيد، عملية التواصل وأشكال التنظم والعمل المشترك. ولعلّنا لا نبالغ إن اعتبرنا أنّ منطق الإزاحة يجرّ الناشطات إلى مربّع العنف، وهنّ المدافعات عن ضحايا العنف، ويزجّ بهنّ في دائرة فرض الرؤية الواحدة ومجتمع التنميط: أن تكوني معنا في الشارع وإلاّ أنت لست نسويّة بالقدر الكافي، وأن تتكلمي مثلنا وإلاّ فأنت لا تُشبهيننا، وأن تتبنّي سلوكنا ونمط عيشنا وإلاّ فأنت «قديمة»... وبالإضافة إلى ما سبق خلُصنا إلى وجود تفاوت بين الناشطات من حيث الجرأة على التعبيرعن بعض المواضيع والآراء، وفي مستوى الأداء والممارسات والسلوك، وهو أمر ارتبط بالفترة التاريخية، وبالمكان النسويّ الذي تشكّل بطريقة تسمح للناشطات فيه بأن يخضن في مواضيع محدّدة كالجنسانية والمثلية والبينية الجنسية وغيرها.

وفي المقابل كانت بعض الأمكنة مسيّجة إمّا بسبب الفجوة الجيلية أو بسبب الضغط المجتمعي الذي يجعل بعض العضوات يحسبن له ألف حساب. تقول ‹حياة حليمي›:» بالنسبة للفضاء في داخل الجمعيّة، جميع المنخرطات تشعرن بالأمان لكن الالتزام بين العضوات يختلف. مثلا، تستطيع بعض العضوات المشاركة في الأنشطة لكن ترفضن المشاركة في وقفة احتجاجية في الحديقة العمومية. أحيانا، تجد بعض الناشطات في محيطها الأسري ضغوطات. مثال آخر: تستطيع العضوات التوقيع على عريضة لكنّهن يرفضن المشاركة في وقفة احتجاجية أو مسيرة وذلك خوفا من نظرة الآخر ومن النقد».

وبناء على ذلك نستنتج أنّ الأمكنة النسويّة ذات صلة عضوية بالبنية الاجتماعية وبالمجتمعية (sociabilité) حيث تُبنى العلاقات بين العضوات،وهي في الوقت نفسه، مكان للتنشئة (socialization)على مجموعة من القيم والمبادئ وعلى مبدأ «العيش معا باختلافاتنا». يُضاف إلى ذلك أنّ حضور النساء في هذه الأمكنة النسائية/ النسوية في اتصال وثيق بكيفيّة توزيع الأدوار في الفضاء العائلي مما يدّل على أنّ صلة بعض الناشطات بالأمكنة وفاعليتهن تتأرجح بين ضوابط العمل في»الداخل» والمعايير التي تُفرض على حضور النساء في «الخارج» فتجعلهن تحت الرقابة الاجتماعية. ولكنّ التجارب في بلدان آسيوية وبلدان إفريقية أخرى تبيّن كيف تمكنّت النساء الريفيات من تغيير علاقاتهن الاجتماعية والزوجية والحدّ من الهيمنة من خلال الانتماء إلى الجمعيات. فالمعرفة التي توفّرها الجمعيات والمهارات والتدريبات... هي التي تدفع النساء إلى إعادة النظر في توزيع السلط والأدوار والموارد...فلِمَ لا تُستلهم هذه التجارب من أجل تغيير واقع النساء؟[92]

92 Justine Ehui, Prisca, Les associations féminines, un capital pour la visibilité sociale et culturelle des femmes rurales ivoiriennes, Revue internationale P.M.E. ,Volume 33, numéro 2, 2020, p. 83-103 ; Degorce, A. (2016). Négocier le genre par les .normes et le consensus : une association de femmes « rapatriées » à Ouagadougou. Recherches féministes, 29(2), 131-152

وهنا يطرح تساؤل حول أنماط التفكير وطرائق العمل والتموقع: ألا يعدّ هذا النشاط نسائيا لا نسويّا حتى وإن تموقعت صاحبة الخطاب نسويّا؟

وأمام غياب دراسات حول مفهوم النسويّة عند الناشطات في كلّ البلاد التونسيّة لا يسعنا إلاّ الترجيح.

وتبيّن لنا، من خلال هذه الدراسة، أنّ درجة انفتاح المكان النسويّ وقدرته على أن يكون حاملا للمشروع النضالي النسوي تخضع للمناخ العامّ السائد في البلاد، وطبيعة النظام السياسي، وكذلك حسب(نبيلة حمزة،حياة حليمي ...) للخصوصية الجغرافيّة (العاصمة، المدن الكبرى(سوسة،صفاقس)، «الجهات»...). وبقدر ما يعكس هذا الرأي اختلاف التجارب النسويّة وارتباطها بخصوصية الفضاء العامّ الذي يؤثر في تنظيم الحملات والوقفات الاحتجاجية وغيرها فإنّه يكشف عن نسق تمثيليّ. فإلى أي مدى تكون الأمكنة النسويّة في العاصمة والمدن الكبرى متيحة للفعل، والحوار المعمّق والتعبير بكلّ جرأة عن قضايا النساء؟

ونظرا إلى غياب بحوث حول الموضوع يحقّ لنا التساءل: ألا تعكس بعض هذه الآراء النظرة الطبقية والصور النمطية السائدة حول النساء العاديات، والنساء في الجهات، والنساء المهمّشات والمنسيات وغيرهنّ؟

وإذا نظرنا في طبيعة العلاقات التي تنشأ داخل الأمكنة النسوية ومعها أدركنا أنّ بعض الشابّات يتمثلن الأماكن النسويّة من خلال بعض الشخصيات الحاضرة فيها، وأنماط العلاقات السائدة فيها. فهي شخصيات تُهيمن من خلال خطابها وسلوكها ومواقفها ومعارفها، وحتى من خلال موقعها الاجتماعي والطبقي وامتيازاتها ولذلك تُعبّر أغلب المشاركات عن ضيق المكان المادي وانغلاقه و»قدمه» في إشارة واضحة إلى براديغم السنّ، وهو أمر يوحي بتمثّل تقليدي للسنّ البيولوجي على أنّه يُعيق النشاط ويؤثّر على الأداء الفعّال للمناضلات، ولذا نطقت ‹درّة محفوظ› معاتبة صاحبات هذا الخطاب: «أحنا الكبار قاعدين دزّوا فينا للباب». وفي مقابل هذا النمط من العلاقات ظهرت أصوات، على قلّتها، ترى أنّ حضور بعض الشخصيات(هادية جراد،حياة الجزّار...) أو استحضار ذكرى من غادرننا (صفية فرحات، أحلام بلحاج ...)في الأمكنة النسويّة هو ذو دلالة رمزيّة مهمّة، يبعث في النفس السكينة ويطمئننا على مستقبل النسويّة. ثمّ إنّ النظرة إلى المكان تتأثر بالسياق العامّ، والمناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد وبنية العلاقات والأزمات التي تمرّ بها تونس مما يؤثّر على درجة انفتاحه وقدرته على التعبئة. ففي ظلّ الهشاشة الاقتصادية يغدو التنقّل لحضور الندوات والاجتماعات والمشاركة في المسيرات والوقفات الاحتجاجيات ‹›ترفا›› لا تقدر عليه إلاّ من استطاعت سدّ جميع احتياجاتها، وفي وضع اقتصادي- سياسي صعب تتدنّى نسبة المشاركة السياسية والاجتماعية وكذلك النسويّة بل قد يؤثر هذا الوضع حتّى على اختيار الجمعيّة فيصبح المعيار: ‹قرب المسافة › من البيت ومدى تحقيق ‹السلامة والأمان›.

ونستنج من خلال هذه الدراسة، أنّ العلاقة بالأمكنة غير ثابتة وتختلف من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ووفق التحولات في منظومة القيم ونظام الحكم السياسي والطموحات...، بل إنّ حضور بعض الشخصيات قد يكون له أثر في تغيير النظرة إلى الأمكنة. فقد وضّحت ‹خوخة ماكوير› أنّ «التعويل يكون على الأشخاص لا على الجمعيات. هناك مساحات قد تُفتح بسبب الأفراد كما حدث مع مجموعة فلقطنا› إذ نجد المساندات والمدافعات››.

وفي سياق مُماثل أشارت ‹شمس› إلى أنّ ترؤس ‹يسرى فراوس› ‹جمعيّة النساء الديمقراطيات› كان له دور في تبنّي بعض المواضيع والأفكار التي عبّرت عنها الشابّات، وجعلتهن يُغيّرن مواقفهن من الجمعية «لأنّنا نشعر أنّ يسرى قريبة لنا في السنّ وفي طريقة التفكير، وهو أمر يثبت أوّلا: أنّ اختيار رئيسة الجمعيّة لابدّ أن يأخذ في الحسبان مدى قدرتها

على استيعاب الأصوات المختلفة واستعدادها الجادّ لتغيير طرائق العمل والخطاب، وثانيا أنّ العلاقة التي تجمع النساء بالأمكنة تخضع لبناء اجتماعي ولديناميكية الرهانات والتحديات المطروحة على الجمعيات.

وبالإضافة إلى ما سبق أبانت الدراسة أنّ للنساء علاقات ذاتية بالأمكنة سواء العامّة أو النسوية أو الخاصّة، أو البَينية، وهي علاقات تكشف، في الغالب، عن مدى وعي النساء باللاعدالة في امتلاك الفضاء العامّ وطريقة استغلاله وفق تصوراتهن. ولذلك فإنّهن صرن أكثر تمسّكا بأمكنتهن النسويّة لأنّها تذكّرهن بنضال طويل من أجل انتزاع الحقّ في مكان يخصّهن. وحتى تبدو هذه الأمكنة مرحّبة وملبّية للحاجة إلى السكينة والأمان كان لابدّ من ترك الأثر والبصمة واللمسة الجمالية (اختيار الورود، الفرش، الألوان، الكؤوس، الروائح، الشموع، الموسيقى...). والناشطات إذ يُنظّمن المسيرات والاحتجاجات وغيرها من الأنشطة النضالية في الشوارع وأمام الساحات وغيرها إنّما يعبّرن عن حقهّن في امتلاك الفضاء العامّ حقيقة لا مجازا ويُلفتن نظر المارين/ات في الساحات العامّة والشوارع إلى قدرتهن على انتزاع حق حريّة التنقل وفرض الذات الفاعلة ورفع الصوت عاليا.

ولئن لم تنصرف المشاركات إلى الحديث المستفيض عن علاقتهن بالأمكنة النسويّة وكيف أثّرت في بنيتهنّ النفسيّة وتشكيل عواطفهن، وكيف ساهمت في بناء هوياتهن فإنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن نتجاهل هذا البعد. فالعلاقات بالأمكنة المادية تُبنى وفق مسار، وأحداث ووقائع، وسياق زمنيّ مخصوص... فثمّة أحداث علقت بالبال واحتلت موقعا في الذاكرة البصرية، وثمّة بيوت فتحت أبوابها فكانت شاهدة على نقاشات «حارّة» أو لحظات تعاطف وودّ ومحبّة وفرح بنجاح مشروع تعديل قانون أو فكرة مثل بيت درّة محفوظ ونورة البورصالي وسعاد التريكي وأخريات حيث كان اللقاء والاحتفاء والعمل وتبادل الأفكار والآراء، وثمّة منازل ارتبطت بمشاعر الإحباط وبروز مخاوف تتعلّق بالتراجع عن حقوق اكتُسبت، وثمّة غرف ومكاتب وأركان قصيّة اتّصفت بالحميمية حيث اتيح فيها للشابّات الإفصاح عن آرائهن ومواقفهن وأحاسيسهن وتجاربهن.

ولكن ثمّة أيضا أمكنة نسويّة تقترن في ذهن من تعمل فيها أو تتردّد عليها، بالقهر والتبخيس والسخرية والصراع والاحباط والألم والإقصاء وباستبعاد كلّ اللواتي يقفن عقبة أمام حفظ المنازل والمصالح أو من «يدافعن عن ضرورة إدراج القضية الجندرية في الحركة الكويرية». فقد خاضت «خوخة ماكوير» معركة من أجل «خلق فضاء نسائيّ» سنة 2017 داخل جمعيّة «موجودين» حتى تتمكّن العابرات من الإفصاح عن تجاربهن وطرح قضاياهن كالعنف الممارس عليهن في الشارع ...ولكن حالت « la domination masculine, les dynamiques du pouvoir ونظام الامتيازات دون ذلك وبدا التحفظ ورفض النقاش حول الموضوع.»

فلا عجب إذن أن تتوق أغلب المشاركات إلى إعادة هيكلة طرائق تصرّفنا في الأمكنة النسويّة وأشكال حضورنا فيها حتى تغدو أماكن للاستقرار حيث يُستمتع فيها بممارسة حرّية التفكير والتعبير«خارج الصندوق» (out of the box) وخارج الأطر التقليدية والممارسات المألوفة. ونستشفّ من وراء هذه الرغبة في إعادة هيكلة الأمكنة النسويّة من منظور مختلف يراعي الاحتياجات المختلفة للشابّات والنساء، أنّ العلاقة التي تُبنى مع الأماكن تعكس، في الواقع، مجموعة القيم التي تطمح إليها النساء والشابّات كالمساواة في نيل الفرص، وفي التعبير الحرّ والكرامة والحرية... أمّا الجنوح إلى أمثلة(idéalisation) الأمكنة النسويّة حتى تكون خارج الحدود التقليدية والممارسات الاقصائية الكاشفة عن العنصرية والتعصّب الجنسي والطبقية ورفض الهويات النمطية فإنّه قد يعبّر عن طرح طوباويّ. utopique).(

ومن خلال الاطلاع على آراء المشاركات أدركنا أنّ الحديث عن علاقة النساء بالأمكنة يكشف عن نظام تراتبي هرمي وثنائيات عديدة كالخاصّ /العامّ، والمغلق /المنفتح، والسلطة /الخضوع،

والهيمنة /الطاعة وغيرها، كما أنّه يوضّح التعالق بين المكان والمجتمع والبطريكية. فالقضايا التي تهتم النسويّات بتحليلها لا تخصّ النساء بقدر ما تعبّر عن المجتمع، وهذا يعني أنّ قراءة التحولات المجتمعية وتفكيك البنى الاجتماعية والذهنية وبيان تأثيرها على الواقع اليوميّ للنساء يتم من منظور نسويّ وداخل الأمكنة النسويّة. فقد أدركت النسويات أنّ عليهنّ التصدّي للبطريكية التي تمتد سلطتها على كلّ الفضاءات والأزمنة فتؤثّر في نظرتنا إلى الأمكان وتتحكّم بطريقة استعمالنا لها، وتبيّن لهنّ أيضا أنّ التنشئة الاجتماعية تؤهل الرجال لأن يكونوا فاعلين ومسيطرين في كلّ الأفضية بينما تحدّ من حركة تنقّل النساء وتُخضع حضورهن في مختلف الأمكنة للرقابة.

ويقودنا تحليل آراء المشاركات ومواقفهن إلى الانتباه إلى هيمنة تصوّر قائم على الفصل بين العمل والبحث والتنظير والكتابة التي ما عادت تُرضي أغلب الشابّات. فالنشاطية في نظر أغلبهن، هي في الشوارع والساحات العامّة لأنّها أهمّ وأكثر تعبيرا عن تصوراتهن. ويُظهر هذا الفصل بين طرائق التخطيط والتفكير والنشاطية التمثلات التي تخصّ أماكن الفعل النسائيّ إذ يُنظر الى الباحثات والدارسات والخبيرات على أنّهن لا يشاركن في الاحتجاجات والوقفات والمسيرات وغيرها ويكتفين بالعمل في› أماكن مرفّهة» ذات صلة بامتيازاتهن وتتلاءم مع انتماءاتهن الطبقية ومواقعهن، ومعنى ذلك أنّها بعيدة في نظرهن، كلّ البعد عن واقع النساء اليوميّ حيث التمييز والعنف والقهر... ولذلك فإنّ دراساتهن وبحوثهن لا تعبّر عن تجارب النساء بقدر ما تقوم بإسقاط التوجهات النظرية للنسويّة البيضاء على واقع محلّي له خصوصيته.

وانطلاقا من هذا التصوّر لا تتورّع بعض الناشطات عن انتقاد هذه البحوث التي لا تُعدّ في نظرهن، نضالا حقيقيا مادامت مرتبطة بالبزنس(business)إذ لابدّ من الانطلاق من المعيش اليوميّ للنساء والتفاعل مع صاحبات الحقّ لفهم الواقع المركّب. ونعثر على موقف آخر من نشاطية الجامعيات والكاتبات في المواقع الرقمية يُقيم وزنا للأشكال المتنوّعة للنضال البَيني إذ يمكن أن يكون الفضاء النسويّ قادحا للنشاطيّة الرقمية والعكس بالعكس.

وبقطع النظرعن المرجعية التي تنطلق منها المشاركات فإنّ النشاطيّة مكرّسة في كلّ الأماكن ومتاحه للجميع، وهو أمر راجع الى اختيارات واستعدادات وسياقات وظروف وعوامل أخرى كالالتزامات العائلية أو المهنية أو ضعف القدرات الجسدية وغيرها. ولذا فإنّ الاختلاف في تقييم النشاطيّة وربطها بأمكنة نسوية «رسمية» أو «تقليدية» أو «مادية» أو «بينية» أو بطبقة لا يجب، في تقديرنا، أن يؤدي إلى التقليل من شأن من يُؤمنّ بأن" النضال في الفضاءات الأكاديمية لا يقلّ شأنا عن النضال في أفضية أخرى. فبروز علاقات القوّة وإخضاع النساء للمعايير الذكورية وغيرها من الممارسات التمييزية يجعل فئة من النساء أكثر تصميما على فرض وجودهن كذوات منتجة للمعرفة ويحثّهن على عدم الاكتفاء بأن يكنّ مواضيع للبحث العلمي، ويحفّزهن على الدفاع عن حقوقهن حتى لا يكنّ في وضع التابعات في المجتمع المعرفيّ الذكوريّ. وفق هذا الطرح تعتقد عدد من الباحثات النسويّات أنّ الكتابة هي أيضا فضاء للنضال ومكان نسويّ واختيار استراتيجي وموقف احتجاجي سياسيّ نسويّ يُقصد به إرساء المساواة بين الجنسين في الأكاديميا وفي كلّ الفضاءات.

ويلوح من خلال اختلاف وجهات نظر المشاركات حول أشكال المقاومة والأدائية وطرائق العمل وحسم النزاعات أنّ الأمكنة النسويّة تتسم بالتناقض والمرونة. إذ أنّنا بين فضاءات التحرّر والتسلّط، المقاومة/الخضوع، التصدّي للبطريكية/إعادة إنتاج الممارسات الذكورية، الانفتاح/الانغلاق، المرونة/التسلّط، الانضباط للمعايير النسوية والمواثيق/عدم التقيّد بها...وهو أمر راجع إلى أنّ رواسب البنية الاجتماعية القائمة على التراتب الهرمي والهيمنة الذكورية وعلاقات القوّة كثيرة.

واهمة من تظنّ أنّنا تخلّصنا منها بجرّة قلم. إنّنا في مواجهة يومية مع التنشئة الاجتماعية التي خضعنا لها ومع الامتيازات التي حصّلناها اقتصاديا واجتماعيا وقانونيا ومعرفيا والتي تجعلنا «نتقن » أداء أدوار على الركح الاجتماعي فنتكلّم وفق قواعد الآداب الاجتماعية ونتصرّف وفق اللياقة ونصوغ خطابا يعجّ بالمصطلحات النسوية /الجندرية، ونُقبل على برامج التدريب وتنمية القدرات ونخضع لجلسات العلاج النفسي...وكلّما ازدادت خبرتنا وراكمنا المعارف ازدادت المسافة بيننا وبين شرائح واسعة من النساء وارتفعت الجدران العازلة. ولأنّا نعي بكلّ ما يفصلنا عن «الأخريات» فإنّنا نسعى دائما إلى تجسيد قيم التضامن والأخوة وإضفاء صفة الأمان المنشود على أمكنتنا النسويّة. قد نتعثّر وقد نخطئ ولكن لنا شرف المحاولة والمثابرة... واتّضح من خلال الدراسة، أنّ علاقة الأمكنة النسويّة بالفضاءات الأخرى العامّة بين مدّ وجزر. ففهم النساء لاحتياجاتهن المركّبة وخصوصياتهن، وسعيهن المتواصل إلى فرض الحقّ إلى الاستماع إلى تصوراتهن ومقترحاتهن وحقّهن في عرض مشاكلهن وتجاربهن يساعدهن على ممارسة النقاش في أمكنة أخرى تتصل بالتعلّم والعمل وتحمّل الأعباء الأسرية والتفاعل مع أنظمة الاضطهاد من موقع النضال، وهو أيضا شكل من أشكال مناهضة سياسات إقصاء النساء من المشاركة في النقاش في الشأن العامّ، وحرمانهن من إمكانات طرح قضايا تتعلّق بالعنف والتحرّش الجنسي في مواقع العمل وغيرها من المواضيع في الفضاء العامّ وكأنّه لا مجال للنساء لطرح قضاياهن إلاّ في الأمكنة النسائية المغلقة والخاصّة، والحال أنّ الأمكنة النسويّة يجب أن تُهيأ النساء للتفكير والاستدلال والتعبير والتخطيط...حتى يتسنّى لهنّ نقل قضاياهن التي ترتبط بالدولة وبالنظام البطريكي والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي... إلى الفضاء العامّ.

وبالاطلاع على ما تحلم به المشاركات وجدنا أنّهن يطمحن إلى تأسيس أمكنة نسويّة مساواتية مُحرّرة ومنتجة ومتجدّدة وتشاركية وآمنة حيث يكون مبدأ المشاركة المنصفة معتمدا في كلّ وقت، وهي مشاركة على قاعدة الندية على حدّ قول «فرازر»Fraser وفي صلة متينة بالديمقراطية المساواتية، وهو أنموذج لا تكتفي فيه النسويات بمنح الكلمة وضمان حقّ الجميع في المشاركة في النقاش فقط، بل إنّهن يتحوّلن إلى «حارسات» للمبادئ والقيم النسويّة وحريصات على أن تكون مساهمة الجميع معترفا بها ومثمّنة لاسيما إن كانت ستؤدي إلى نجاعة أكبر على المستوى الاجتماعي-السياسي.

أمّا تواتر التعبير عن الحاجة الماسة إلى أماكن نسويّة « آمنة « في خطابات الناشطات فإنّه مؤشر على تغيير في مستوى الطلبات والاحتياجات في علاقة بالسنّ والسياق، وباختلاف التجارب ومسارات النضال. فبينما لم يرد في خطابات المناضلات ما يشير إلى حاجتهن إلى أمكنة يشترط فيها توفّر الأمان النفسي ألحت الشابّات على ضرورة أن تكون الأمكنة النسوية آمنة. ونقدّر أنّ الضغط النفسي الناجم عن استشراء أشكال العنف، وخاصّة تقتيل النساء والعنف الرقمي/السيبرني، وتفكّك الروابط العائلية والمجتمعية، وتعقّد نمط الحياة وتواتر الصدمات trauma وتعدّد الأزمات الداخلية والخارجية واهتراء بنية العلاقات وغيرها من العوامل لها أثر بليغ على البنية النفسية للناشطات، التي تجعل بعضهن في وضع الهشاشة النفسية. وانطلاقا من هذا الواقع المعقّد فإنّ ما يميّز الأمكنة النسوية عن غيرها هو أن تكون بالفعل آمنة توفّر الأمان لا لضحايا العنف والتمييز والاضطهاد فحسب، بل للعضوات وأن تحرص على سلامتهن، وصحتهن النفسية. ونذهب إلى أنّ تعريفنا للأمان مرتبط بكوننا نشعر بأنّنا حقّا في أمان من(safe from) التحرّش والتعصّب الجنسي، الانتهاكات...وعندما نشعر بالأمان العاطفي والمعنوي والإدراكي نستطيع أن نوفّر الأمان للأخريات (safe to) [93] ونكون في نظرهن، السند والملجأ والحضن الدافئ و»الشقائق» أو لنقل، في تعارض، مع المثل الشعبي»لا ينحي شاشية على وليّة»: «لا ينحّي مرا داعمة ومحبّة وحاضنة على أيّ مرا».

93 Ruth Lewis, Elizabeth Sharp and Rhiannon Redpath+, Safe Spaces': Experiences of Feminist Women-Only Space ,Volume 20, Issue 4

والواقع أنّ تقديم مطلب الشعور بالأمان على مطلب المساواة ملفت للانتباه. فهل لنا تعريف موحد حول دلالاتها ام نحن مختلفات حول مضامينها؟ ثمّ هل توصلت النسويات إلى صياغة تعريف خاصّ بهنّ أم أنّهن يتبنين التعريف الذي صاغه الرجال؟ فنحن اليوم إزاء أصوات ترتفع لا تريد أن تتساوى مع الرجال لأنّهم ليسوا المعيار.

ولئن لم تفصّل المشاركات القول في طريقة إدارة المكان النسويّ وتنظيمه وهويّة المشاركات في وضع الاستراتيجيات واختيار البرامج والمشاريع والتدريبات ومعايير التعامل مع المموّليين ومدى الالتزام بضوابط الحوكمة ... فإنّ الأمكنة النسوية فضاءات التنظم «بين النساء أنفسهن» (d'entre soi féminin » (Degorce, 2016 والتنظيم المحكم وحسن التسيير والالتزام والتفاني في العمل، والالتفاف حول رؤية مشتركة (Tremblay et Carrier, 2006)

وهكذا يكون تعريف المكان النسويّ على أنّه فضاء مهيكل بطريقة محكمة تقطع مع التراتبية والهيمنة والتمييز والاستبعاد و»الحقرة» والخوف...وحيث يُمارس الاختلاف وتحترم الآراء المتعدّدة والتصورات المختلفة، وتتجلّى المواجهات الفكرية والثقافية خارج التسييج الأيديولوجي، ويتم التفاوض وفق الإيتيقا النسوية لتفرز الفاعلات، في نهاية المطاف، موقفا سياسيا نسويّا وخطابا بديلا معارضا يكون أكثر تعبيرا عن احتياجات النساء ومصالحهن ورؤيتهن لذواتهن وللمجتمع ككلّ.

ولا ضير في أن نعقد صلة بين الأمكنة النسوية الموجودة /المنشودة وبين النظام البطريكي باعتباره يمثّل «بيت الأسياد» ، (ونحن هنا نجوّز لأنفسنا توظيف استعارة لوردLorde)وأصحاب الامتيازات وممارسي الهيمنة الذكورية وحرّاس النظام. فالمطلوب من جميع النسويات على اختلاف مشاربهن، حمل المعاول لدكّ أسس «بيت السيّد» وهنا ينفتح نسق تمثيل الأمكنة على بعد آخر، فنحن أمام أمكنة مادية وفضاء رقمي وأماكن رمزيّة.

-*محدودية الدراسة

تجدر الإشارة إلى أنّ النتائج المستخلصة تستند إلى ما ورد في المحاورات التي دارت مع مجموعة من المشاركات، بالدرجة الأولى، وهي مطعمة ببعض الأراء التي وردت في بعض المقالات التي تطرّقت إلى الأمكنة النسويّة. وعلى هذا الأساس فإنّنا نفترض أنّ مواصفات الأمكنة النسويّة في مختلف الجهات قد لا تكون متطابقة بالضرورة، مع ما توصّلنا إليه من ملاحظات واستنتاجات، وهو أمر يستدعي مواصلة البحث ليغطي البلاد التونسية.
ثمّ إنّ هذه الدراسة اعتمدت على آراء النساء والشابّات بالدرجة الأولى بخصوص الأمكنة النسويّة، ونفترض أنّ توجيه نفس الأسئلة إلى الرجال وأصحاب/ات الهويات اللانمطية مفيدة لنتبيّن وفق مقاربة تفهمية ما تعريف التونسي الحامل للفكر النسوي أو المناصر للنساء اليوم للنسويّة؟ وما هو تمثله للأمكنة النسويّة؟ وكيف يرى أداء الفاعلات فيها؟ وعلى هذا الأساس تكون النتائج معبّرة عن تصورات جندر واحد (النساء).
ولمّا كانت النقاشات والمقابلات قد دارت في معظمها بين النساء (باستثناء حضور رجل في نادي الجندر، ورجلين في المجموعة البؤرية الخاصة بأصوات نساء) فإنّ النتائج تعكس تحرر النساء من الوصاية الذكورية والهيمنة أو الرقابة أو الحرج وغيرها من العومل التي قد تغيّر نتائج البحث إذا ما كان الحضور مختلطا.

-*التوصيات

-1نعتبر أنّه من الضروري الانتباه إلى أثر الاستقطاب الأيديولوجي الحدّي في توجيه المواقف واتخاذ الناشطات قرارات المشاركة في النقاشات العامّة داخل الأمكنة النسويّة، والعمل المشترك، وبناء التحالفات والتضامن و... وهو ما يستدعي النظر في طرائق التحرّر من ثقل هذه التراكمات الأيديولوجية حتى لا تفوّت على النسويات فرصة تحولهن إلى مجموعة ضغط

وتغيير ذات أثر ونجاعة.

-2 تقتضي المصلحة المشتركة اليوم، أن نعمل معا على تحويل المكان النسويّ إلى مكان لقاء واكتشاف وتدرّب وتعلّم: أوّلا لاكتشاف قدرات الأنا على الاستماع والفهم والمحاججة والإقناع والتنازل والانضباط ...وثانيا لاكتشاف الآخر المغاير باعتباره المرآة التي تساعدني على رؤية المسائل من منظور مختلف. وهو أيضا مكان نتعلّم فيه التعبير عن المشاعر ونحتفي فيه بالبهجة والمرح من خلال ممارسات بسيطة وغير مكلفة تمنح الفعل النسويّ ميزة وتحقّق له الديناميكية المطلوبة وتجعله منصهرا مع ثقافة حبّ الحياة.

-3ينبغي أن نقتنع بأنّه لا يُنتظر من اللقاءات التي تجمعنا في الأمكنة النسويّة أن تحقّق الإجماع ذلك أنّها لا تصدر عن مؤسسة فقهية صنعت «امرأة الإجماع» بل إنّ المطلوب أن نعمل بجدّ على جعل هذه الأماكن ضامنة للأمان والفرص المتساوية للمشاركة والعمل، ومحقّقة للعدالة، وأن تكون محكومة بممارسات فضلى كالحوكمة الرشيدة والمساءلة والتعديل الذاتي... وبذلك يمكن للمكان النسويّ أن يساهم في تشكيل آراء ومواقف أكثر تعبيرا عن تطور الوعي النسويّ، وهو وعي يدفعنا إلى أن نكون أكثر التزاما بالمنظومة القيمية وأكثر حرصا على تشريك الأصوات المهمّشة، وتمكينها من فرص الإفصاح عن الاحتياجات والمشاعر وممارسة الحقّ في الاختيار، وأن نعمل بكلّ حزم على تصويب كلّ من خالفت ايتيقا العمل النسويّ وبذلك تتحوّل الجمعيات/المجموعات النسويّة الى طاقة تغيير وقوّة اقتراح.

-4يجدر بالجمعيّات/المجموعات المستقلّة أن تأخذ بجديّة مطلب تحويل الأمكنة إلى أمكنة نسويّة محقّقة بالفعل، للأمان، وأن تعي بأنّ هذا المطلب هو من بين التحديات التي تواجهها

النساء والشابّات في علاقة بجميع الأفضية وفي كلّ الأزمنة. إنّ الشعور بالأمان يعكس تصوّرا لعلاقة وصل بين الجندر والأمان والمكان (gender, safety and space). فمعنى الأمان نستوحيه من جدران احتوتنا، وبيوت غمرتنا بالمحبّة، والتعاطف، ومقرّات أشعرتنا بالرعاية، ومن تجارب مررنا بها في حياوتنا. ثمّ إنّ العمل على توفير الأمان الفعليّ لجميع النساء يُعدّ علامة على الالتزام بتوفير السلامة وضمان حريّة الأشخاص الموجودات/ين داخل كلّ فضاء نسويّ. فتتحوّل النسويات بذلك إلى شخصيات مؤثرة وتغدو الأمكنة النسويّة أنموذجا يُحتذى به.

-5 تُدرك الفاعلات النسويات اليوم، أنّهن في لحظة تاريخية مفصليّة وتُلقى على عاتقهن مسؤولية جسيمة فإذا ما تمّ تسييج الفضاء العامّ بفرض الرقابة والحدّ من أشكال الحضور فيه تعيّن عليهنّ العمل أكثر من ذي قبل، على تحويل الأمكنة النسويّة إلى أمكنة تحرّر وإنتاج المعنى وابتكار أدوات العمل وبعث الأمل وتجديد أشكال المقاومة: مقاومة مصفوفة الاضطهاد وبنى الهيمنة. فالحرّية مسار من النضال المستمر. ونذهب إلى أنّ التذكير بالارتباط العضوي بين النسويّة والسياسة مهمّ ولابدّ أن يتجلّى في مستوى الخطاب، وفي الأفعال كما أنّ الوصول إلى شرائح أخرى من النساء اللواتي أدركن بوعيهن الحسّي واقع الغبن والاستغلال والهشاشة والتمييز فتكلّمن («مانيش ساكتة») ضروريّ. فالتحالفات لا تُبنى مع الجمعيات فقط بل تقتضي اللحظة المفصلية، التحام شرائح مختلفة من النساء وتحويل فضاءات أخرى إلى فضاءات نسويّة . فإذا شاعت في بيوت المَيسورات ‹المجالس الثقافية › و»المجالس الطربية»» فقد آن التفكير في بعث «المجالس النسويّة»، وإذا عزّ التمويل كان البحث عن «نساء الأعمال»» المقتنعات بأهميّة التغيير وتوفير الفرص أمام الأخريات، والمؤمنات بقيم التضامن النسائي وسيلة من بين وسائل أخرى ممكنة للعمل محليّا.

-6 تبيّن لنا من خلال المحاورات والمقابلات عدم إلمام أغلب الناشطات، وخاصّة من ولدن بعد الثورة بتاريخ الحركة النسويّة التونسية المكتوب، وعدم معرفتهنّ بالمسار الذي قطعته المناضلات والفاعلات النسويات في الفضاء الأكاديمي، وهو أمر ناجم عن تقصير الجمعيات في توثيق تاريخها وتجارب نضالها وكتابة سرديتها بأقلام النسويات يُضاف إلى ذلك كتابة السير الذاتية أو أنطولوجيا المناضلات حتى لا تُمحى آثار النساء ويُغيّب فعلهن في التاريخ. فلربّما يكون التدوين والأرشفة والتسريد جسرا للقاء الأجيال: المُمارِسات والأكاديميات والناشطات و... ووسيلة لمراكمة التجارب والخبرات وحفظ الذاكرة النسويّة. ومن هذا المنطلق نُجدّد دعوة الجمعيات وصاحبات المجموعات المستقلة إلى أن يبادرن بإنجاز هذا المشروع حتى لا يُضطررن في كلّ مرّة، إلى التذكير بتجارب الانكسار والانتصار والسجن والنضال والعمل الدؤوب من أجل الدفاع عن حقوق النساء وعن التصور المجتمعي الذي آمنّ به.

-7إنّنا نؤمن بأنّ إفادة النساء من تجارب نساء أخريات أمر أساسيّ ومن ثمّة يُمكن تشكيل فرق بحث مشتركة بين الجمعيات لرصد مختلف التجارب العالمية المُلهمة، ولعلّ أقربها تجربة الإيرانيات في ما وسم «بالثورة من أجل التحرّر من سلطة الملالي» إذ ابتكرت النساء أشكالا من المقاومة حوّلت أحتجاجاتهن إلى دروس سياسية. ونقدّر أنّ رصد تجارب نساء الجنوب في الصمود وفي خلق أمكنة نسوية بديلة (making space) لا تقلّ أهميّة عن غيرها إذ انطلقت من الأحياء الشعبية والأسواق وتجمّعات النساء لجلب الماء وغيرها لتتحوّل بعد ذلك إلى حركة تغييرية.
-8قد يكون البحث عن النساء الحاملات للفكر النسويّ في مختلف المؤسسات، وفي مقدّمتها المؤسسة التربوية والتعليمية، والأحزاب والإدارات والنقابات من أوكد الواجبات. فقد آن أوان استعادة أدوار المربيات اللواتي كنّ، بشهادة المشاركات، من أهمّ سفيرات النسويّة في مؤسسات اتسمت ‹بالأنثنة› وعقد الشراكات مع الفاعلات في مختلف هذه المؤسسات والإدارات، وحثّهن على بث المحتوى التوعويّ النسويّ في النوادي الثقافية أو دعم النسويات في النفاذ إلى المعلومات، ...إنّ هذا العمل والنضال خارج الحدود التقليدية للحركة النسويّة، يُشكّل في تقديرنا، ‹فضاء قضيّة النساء›› "L’espace de la cause des femmes"على حدّ قول››لور بيريني

Laure Bereni ›وهو الذي سيدفعنا إلى التفكير معا في مختلف أشكال النضال التي تنطلق من فضاءات غير مألوفة .[94]
-9 قد يكون من المهمّ وضع برامج مشتركة مع الجامعات لتأسيس الجامعات الصيفية الجوّالة التي تتناول قضايا تهمّ النساء والشابّات وفق احتياجات كلّ جهة ،شريطة أن تكون مفتوحة لشرائح متنوعة من النساء، وخارج محدّد تحصيل ‹‹الشهادات الجامعية›› ومحدّد السنّ...
-10يبدو مطلب إلحاح الناشطات على بناء المعرفة ملفتا للانتباه ويتطلّب جهدا تطوعيا من الكاتبات حتى يُقدّمن مجموعة من الكتب التي تتناول التعريف بالمصطلحات والمفاهيم... والروايات ذات المضمون النسوي لتحتلّ مكانها لا في المكتبات المغلقة بل أن تكون متناثرة هنا وهناك لأنّها حسب رأينا، جزء لا يتجزأ من تصميم المكان النسويّ.

-11 إنّ الخلط بين النسائي/النسويّ وسوء فهم النسويّة وعدم الوعي بوجود تيرات كثيرة قد يكون محفّزا على إنجاز مسرد خاص بالتعريف المبسّط بهذه التيارات أو بإصدار كُتيب صغير من ضمن الكتب المنضوية ضمن››السهل الممتنع›› وباللغة العربية. ولاشكّ أنّ إصدار دليل الجمعيات النسوية التي تخدم ‹القضية النسويّة›› بات ضروريا. وهكذا تكون الجمعيات النسويّة أمكنة للإنتاج وداعمة للجامعات وهنا تقلب المعادلة.

-12 إنّ من مهمّة الأمكنة النسويّة أن تؤسّس لتقاليد جديدة في التعامل والعمل وعقد التحالفات وإجراء البحوث وتنظيم الندوات وغيرها. كما أنّ تراكم الخبرات والمعارف المحصّلة يمكن أن يجعلها منتجة لمنظومة قيمية جديدة ‹›نسويّة›› وكتاب أبيض ‹› عقد نسويّ›› تُيسّر ‹›العيش معا النسويّ›(Le vivre ensemble féministe)

-13 لابدّ من الانتباه إلى أثر التصميم الداخلي للأمكنة النسويّة على النفوس وطبيعة التفاعل ومسار تحقيق مشروع التغيير. فوضع الطاولات والكراسي يعكس رؤية محدّدة تراقب الجميع وتضعهن››تحت السيطرة›› وعلى هذا الأساس فإنّ وضعية الجلوس والتصرّف في الأمكنة النسويّة لا بدّ أن تحول دون تسلل آليات السلطة من خلال التفاصيل البسيطة ولكن المثقلة بالدلالات الرمزيّة.

-14إنّ التمسّك بالأمكنة النسويّة المضطلعة بدورها السياسي النضالي، والحرص على إعادة هيكلتها بات ضرورة مستعجلة حتى لا يتم إقصاء النساء من الفضاء العام، ويُستبعدن من إدارة الشأن العامّ والفعل السياسي، ويُمنعن من أخذ الكلمة بدعوى عدم أهليتهن لأن يكن فاعلات وسياسيات وقياديات...ويمكن القول إنّه بدون فضاء مدنيّcivic space محرّر من ‹›سياسات الحظر› لا يمكن للنساء تحقيق مواطنيتهن والمشاركة في صنع القرار والتعبير عن آرائهن ومواجهة مصفوفة الاضطهاد، وبدون العمل مع مختلف مكونات المجتمع المدني، على حماية الفضاء المدني لن يتسنّى للأمكنة النسويّة أن تتطور وتنهض بوظائفها، وعلى هذا الأساس تتقاطع، من وجهة نظرنا، النضالات وتلتقي المصالح والطموحات والآمال.

*-على سبيل الختم
إنّ المكان الذي لا يؤنّث ولا يتحوّل إلى مكان نسويّ يبقى مجرّد مكان «مجمّد». أمّا المكان الذي يغدو بفضل إرادة صاحباته وشدّة تصميمهن، مكانا نسويّا فإنّه يعبّر عن المكان والزمان والحركة والمكانة والنضال والتاريخ والذاكرة والمقاومة . إنّه رمز الحياة.
آمال قرامي

94 Bereni, laure, Penser la transversalité des mobilisations féministes : l'espace de la cause des femmes. Christine Bard. .Les féministes de la 2ème vague, Presses universitaires de Rennes, pp.27-41, 2012, 978-2-7535-1808-7. ffhalshs-01349832f

قائمة بيبليوغرافية مقترحة

*les mouvements Féministes

Ahmed Zaki, Hind, Why Did Women's Rights Expand in PostRevolutionary Tunisia?2009, meb131.pdf (brandeis.edu)

Barrières, Sarah, Abir Kréfa et Saba Le Renard (dir.), Le genre en révolution Maghreb et Moyen-Orient, 2010-2020, Presses universitaires de Lyon,2023.

Bessis S., « Le féminisme institutionnel en Tunisie », Clio. Femmes, Genre, Histoire, no 9, avril,1999.

Bekalti S, La femme tunisienne du temps de la colinisation 1881 1956,Paris,L'Harmattan,1996,

BEM Hélé, Le désenchantement national. Essai sur la décolonisation, Paris, Maspéro 1982.

Charrad M "Policy Shifts: State, Islam and Gender in Tunisia, 1930s-1990"" (1997) 4:2 Social Politics pages 284-319.

Charrad, M, States and women's rights: the making of postcolonial Tunisia, Algeria, and Morocco. Los Angeles, CA: University of California Press. 2001.

CHEKIR, Hafidha, « La législation émancipatrice de la femme, mythe ou réalité », Colloque sur la psychologie différentielle des sexes, Tunis, 1984 .

Gaël Pannatier,Transmettre les savoirs féministes, Anne-Françoise Praz Dans Nouvelles Questions Féministes 2008/3 (Vol. 27), pages 146 à 149 ÉditionsÉditions Antipodes, 2008.

G. Albert, NICOLE, LES AVANCÉES FÉMINISTES AU MAGHREB : UN BILAN EN DEMI-TEINTE ENTRETIEN DE SOPHIE BESSIS AVEC NICOLE G. ALBERT ; Diogène n° 267-268, juillet-décembre 2019.

Guellouz ,Mariem et Sélima Kebaïli, Francoféminisme en Tunisie : pratiques langagières et enjeux institutionnels, Revue sur le langage, le genre, les sexualités 14 | 2023, : http://journals.openedition.org/glad/6638 ; DOI : https://doi.org/10.4000/glad.6638

Labidi Lilia Discours féministe et fait islamiste en Tunisie Dans Confluences Méditerranée /4 (N°59), pages 133 à 145 Éditions L›Harmattan, 2006.

ضيف الله، محمد، معالم الحركة النسائية في تونس (1936 - 1956): مساهمة في التأريخ للحياة الجمعياتية،مجلة روافد، جامعة منوبة - المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، العدد ال1، 1995، صص108-138.

المرزوقي ،إلهام ، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، ترجمة آمال قرامي، نشر المركز الوطني للترجمة ، تونس 2010 .مناهضة العنصرية في تونس: حوار مع خولة كسيكسي، بتاريخ 8 يونيو 2020.

مناهضة العنصرية في تونس: حوار مع خولة كسيكسي - Arab Reform Initiative (arab-reform.net)

*La question de l'inégalité des femmes

Fassatoui, Omar, Women's rights in Tunisia: The remaining legal inequalities, C·A·Perspectives on Tunisia No. 01-2016.

Gtari R. Aloui, Le Chantier de l'égalité, « un triomphe incomplet ». Les femmes tunisiennes entre rénovation et conservatisme, Ottawa, Université d'Ottawa, 2006.

--------------.L'Égalité des femmes en Tunisie : histoire et incertitudes d'une révolution juridique, Presses universitaires de Marseille, 2015.
Ketsia ,Mutombo, Laure Salmona ,Politiser les cyberviolence Une lecture intersectionnelle des inégalités de genre sur internet Collection : Convergences Éditeur : Le Cavalier Bleu, 2023.
Locoh, Thérèse &Monique Meron ,Souad Triki, une féministe pour la démocratie en Tunisie ,Dans Travail, genre et sociétés 2017/2 (n° 38), pages 5 à 25, 2017.
Mahfoudh ,Amel, Les chemins de la transmission féministe, Dans Nouvelles Questions Féministes 2022/2 (Vol. 41), pages 159 à 163 ,Éditions Antipodes, 2022.
Selmi A, «Les syndicalistes femmes contre le plafond de verre dans la Tunisie (post) révolutionnaire», Ethnologie française, vol. 49, no 2, p. 293-309, 2019.
Yacoubi, Imen, SOVEREIGNTY FROM BELOW: STATE FEMINISM AND POLITICS OF WOMEN AGAINST WOMEN IN TUNISIA, The Arab Studies Journal , Spring 2016, Vol. 24, No. 1 (Spring 2016), pp. 254-274 Published by: Arab Studies Institute, 2016.
Zufferey, Florence, Femmes et militantisme égalitaire : ambivalence des positionnements, Mémoire de licence en Sciences Sociales dirigé par Patricia Roux, Lausanne, octobre 2002.
تقرير:الحركات النسائية في العالم العربي، الأمم المتحدةاللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا
E/ESCWA/ECW/2005/1
جبهة المساواة وحقوق النساء: أرقام مفزعة في علاقة بالنساء التونسيات العاملات،موقع ألترا تونس،-01مايو2023-
جبهة المساواة وحقوق النساء: أرقام مفزعة في علاقة بالنساء التونسيات العاملات (ultrasawt.com)
الشناوي، هندة، المرأة التونسية...معركة الحقوق متواصلة، مو،،لمرأة التونسية... معركة الحقوق متواصلة
آيار / مايو 21 ,2018 ,العدد 63، موقع الإنساني،

حامد، منجي، إشكاليّة الحرّيات الفرديّة والمساواة في المجتمع التّونسي:تجارب بعض النّساء النّقابيّات أنموذجا، موقع نقد وتنوير،
29 2020،ديسمبر.
إشكاليّة الحرّيات الفرديّة والمساواة في المجتمع التّونسي - منجي حامد - tanwair

*Cyber féminisme
BERTRAND, David, L'ESSOR DU FÉMINISME EN LIGNE Symptôme de l'émergence d'une quatrième vague féministe ? Dans Réseaux 2018/2 (n° 208-209), pages 232 à 257 Éditions La Découverte, 2018.
Bailey, Cathryn, «Making Waves and Drawing Lines: The Politics of Defining the Vicissitudes of Feminism.» Hypatia 12(3):17-28. 1997.
Baumgardner, Jennifer and Amy Richards. Manifesta: Young Women, Feminism, and the Future. New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2000.
Boizot, Jéromine, Feminism and media, opportunities and limitations of digital practices, https://www.diva-portal.org/smash/get/diva2:1483333/FULLTEXT01.pdf(2019)

Castells, Manuel, Networks of Outrage &Hope: Social Movements, in the Internet Age, Blity Press, Cambridge, 2021.

Dicker, Rory C. and Alison Piepmeier, Catching a Wave: Reclaiming Feminism for the 21st Century. Boston: Northeastern University Press, 2003.
Dusanter Benoît, Le féminisme en ligne est-il un néo-féminisme ? Le féminisme en ligne est-il un néo-féminisme ? | INA, 06.12.2022.
Guellouz ,Mariem, Le cyberféminisme comme espace oppositionnel :Force d'émancipation langagière et risque de désinvestissement politique, Sextant : Revue de recherche interdisciplinaire sur le genre et la sexualité| La toile et les femmes, p39-57 , 2023.
Jackson, Sue, Young feminists, feminism and digital media, Feminism & Psychology, Volume 28 Issue 1, February 2018, pp 32-49.

Jouët ,Josiane , Le Web et les réseaux sociaux, dernière vague du féminisme ? Le Web et les réseaux sociaux, dernière vague du féminisme ? | la revue des médias (ina.fr), 08 mars 2019.
------------Numérique, féminisme et société., Paris, Presses des Mines, coll. « Sciences sociales », 270 p.Noémie TrovatoDans Communication & langages 2023/1-2 (N° 215-216), pages 223 à 225, 2022.
-----------. Digital feminism: questioning the renewal of activism. Journal of Research in Gender Studies, 8 (1), pp.133-157, 2018.
Lénaïg ,Bredoux (Sous la direction de Lénaïg Bredoux Mediapart SEUIL2023 « #METOO est un grand événement dans une révolution plus vaste »Entretien avec Michelle Perrot Lénaïg Bredoux , #MeToo. Le combat continue (numilog.com), 2023.
Ragnedda, M., & Muschert, G. W. (Eds.) (2013). The digital divide: The internet and social inequality in international perspective. Routledge Advances in Sociology. London, UK: Taylor & Francis.
Parallel, Ann Travers, Subaltern Feminist Counterpublics in Cyberspace Sociological Perspectives , Vol. 46, No. 2, pp. 223-237 Published by: Sage Publications, Inc. Summer 2003.

Schmidt, Francesca , DIGITAL SPACE AND AN INTERSECTIONAL FEMINIST FUTURE, Digital Space and an Intersectional Feminist Future - Zeitgeister - The Cultural Magazine of the Goethe-Institut - Goethe-Institut,2022.

Tazi, Maha ,The Arab Spring and Women's (Cyber)activism: "Fourth Wave Democracy in the Making?" Case Study of Egypt, Tunisia, and Morocco. Journal of International Women›s Studies, 22(9), 2021, 298-315.

Wiesslitz, Carmit, Women's Activism Online and the Global Struggle for Social Change, 2023,Palgrave Studies .

,
ملي راغب، النسوية العربية الرقمية... قضية لا ترند،8 يوليو،2022 ، موقع العربي الجديد
النسوية العربية الرقمية... قضية لا ترند (alaraby.co.uk)
حمّود، سالي ،الموجة النسوية الرابعة: بين وسائل الإعلام الجديدة والذكاء الاصطناعي، -2023 08-24
الموجة النسوية الرابعة: بين وسائل الإعلام الجديدة والذكاء الاصطناعي | نقطة (no2ta.org)
أسامة محمد،النسوية الإلكترونية.. مواقع التواصل وخلق مناخ نسوي جديد،30-1-2017
النسوية الإلكترونية.. مواقع التواصل وخلق مناخ نسوي جديد | الجزيرة نت (aljazeera.net)

*Femmes et espaces de prise de conscience et de mobilisation
Arfaoui, K. The development of the feminist movement in Tunisia 1920s-2000s. In The International Journal of the Humanities. Melbourne, Australia: Common Ground,2007.. http://CommonGroundSoftware.com.
---------------Women and Leadership in the Post-Arab Spring: The Case of Tunisia, in Women's Movements in Post-"Arab Spring" North Africa pp 223-234(edited by Fatima Sediqui),2016.
Banerjee, Soumi, Performing Agency in Shrinking Spaces: Acting Beyond the Resilience-Resistance Binary ,in Social Inclusion (ISSN: 2183-2803) 2023, Volume 11, Issue 2, Pages 147-158 https://doi.org/10.17645/si.v11i2.6446 Article
BOURAOUI, Soukaïna Ordre masculin et fait féminin In : Tunisie au présent : Une modernité au-dessus de tout soupçon ? [en ligne]. Aix-enProvence : Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans, 1987 (généré le 02 janvier 2024). Disponible sur Internet : . ISBN : 9782271081278. DOI : https://doi.org/10.4000/books.iremam.2573
Bret, B. (2015) Pour une géographie du Juste, Lire les territoires à la lumière de la philosophie morale de John Rawls. Nanterre : Presses Universitaires de Paris Ouest, coll. Espace et Justice
Brooke A. Ackerly (she/her/hers), Elisabeth Jay Friedman (she/her/hers), Krishna Menon (she/her/hers) & Marysia Zalewski (they/them/theirs) (2021) Feminist spaces: conferences, journals, community, International Feminist Journal of Politics, 23:4, 523-526, DOI: 10.1080/14616742.2021.1953293
Browne, Kath, Womyn's separatist spaces: rethinking spaces of difference and exclusion, Journal compilation Royal Geographical Society (with The Institute of British Geographers), pp541-556.
Caroline, Caron, ESPACE PUBLIC, FEMMES ET FÉMINISME, 2017, (14) Espace public, femmes et féminisme | Caroline Caron - Academia.edu
CHABBI , Lilia et ZGHAL A., Parole de Femmes, Tunis, Cérès Productions, 1985.
Chekir, Hafidha , Société civile et droits des femmes : du féminisme d'État au féminisme autonome Dans Confluences Méditerranée /2 (N° 125), pages 153 à 168, 2023.
Cinq-Mars, I. & Perraton, C. (1989). Femmes et espaces publics : l'appropriation des lieux et la maîtrise du temps. Recherches féministes, 2(1), 19-32. https://doi.org/10.7202/057532ar
Dahlgren, Peter. L'espace public et l'internet. Structure, espace et communication. In: Réseaux, volume 18 n°100. pp. 157-186., 2000. Traduit par Marc Relieu. http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/reso_0751- 7971_2000_num_18_100_2217
Fournet-Guérin, Catherine, La géographie et les espaces dominés dans la mondialisation : considérations épistémologiques Nord-Sud, Dans Diogène 2020/3-4 (n° 271-272), pages 90 à 109
FISCHER, G.N. La Psyco-sociologie de L'espace,Ed : P.U.F,Paris/1981.
Gago, Verónica. 2020. Feminist International: How to Change Everything. London: Verso.
Gareth A. Jones The Latin American City as Contested Space: A Manifesto Bulletin of Latin American Research , Jan., 1994, Vol. 13, No. 1, Special Issue: The Latin American City as Contested Space (Jan., 1994), pp. 1-12.
Gallamaso, Jane D, A Philosophy of Place: Place Attachment and the Dynamics of Change; Philosophy department, Xavier University Cagayan de Oro City, Philippines, Ignatian International Journal for Multidisciplinary Research Vol 1 No 1,2023.

Gervais-Lambony, P., Bénit-Gbaffou, C., Piermay, J.-L., Musset, A., Planel, S. (dir.) (2014) La justice spatiale et la ville. Regards du Sud. Paris : Karthala
González de la Rocha, Mercedes (1995) 'Social Restructuring in Two Mexican Cities: An Analysis of Domestic Groups in Guadalajara and Monterrey', European Journal of Development Research, 7:2, 389-406.
Hancock, Claire, La ville, les espaces publics… et les femmes, Dans Les Cahiers du Développement Social Urbain 2018/1(N° 67), pages 11 à 13 Éditions Labo Cité
Haryana, Prerna Siwach,Mapping, Gendered Spaces and Women's Mobility: A Case Study of Mitathal Village, The Oriental Anthropologist 20(1) 33-48, 2020 © 2020 Oriental Institute of Cultural and Social Research and SAGE Reprints and permissions: in.sagepub.com/journals-permissions-india DOI: 10.1177/0972558X20913680 journals.sagepub.com/home/oan
Hubbard, Phil, Rob Kitchin and Gill Valentine, Key Thinkers on Space and Place. London and Thousand Oaks: Sage Publications, eds. 2004.

Lefebvre, Henri, Reflections on the Politics of Space. Translated by Michael J. Enders. Antipode8 no. 2: 30-37. 1991.

-------------- The Production of Space, Cambridge, Mass: Blackwell, Translated by Donald Nicholson-Smith. 1976.

Leandra Hinojosa Hernández (2019) Feminist Approaches to Border Studies and Gender Violence: Family Separation as Reproductive Injustice, Women›s Studies in Communication, 42:2, 130-134, DOI: 10.1080/07491409.2019.1605213

Low, Setha M. and Denise Lawrence-Zuniga, The Anthropology of Space and Place. Maiden. MA: Blackwell Publishing, eds. 2003.

--------------- «Embodied Space(s): Anthropological Theories of Body, Space, and Culture.» Sage, 1 Feb. 2003. Web. 5 March 2015. http://blog.lib.umn.edu/willow/estudio_seminar/sethalow-embodied Spaces.pdf
Louargant, Sophie, De la géographie féministe à la «Gender Geography» : une lecture francophone d›un concept anglophone, Espace Populations Sociétés Année 2002 / 3 pp. 397-410

Löw, Martina. «The Social Construction of Space and Gender.» European Journal of Women's Studies Copyright. SAGE Publications, 1 Jan. 2006. Web. 3 Apr. 2015. http://www.postcolonialeurope.net/uploads/Low, Martina_119.pd

Lewis, Ruth, Gender, voice and space: Feminism online, Gender, voice and space: Feminism online | Dígitos. Revista de Comunicación Digital (revistadigitos.com)2018.

Mahfoudh Draoui ,Dorra, Amel Mahfoudh, Mobilisations des femmes et mouvement féministe en Tunisie, Dans Nouvelles Questions Féministes /2 (Vol. 33), pages 14 à 33, 2014.
Manaï ;Bochra, Conditions sociales des femmes dans la Tunisie contemporaine : entre symbolisme féministe et justice spatial, HÉRODOTE, 1(N°180), pages 115 à 130 Éditions La Découverte, 2021.

Marzouki, I. Le mouvement des femmes en Tunisie au XXième siècle. Tunis: Cérès Production. 1993.
Massey, Doreen, Space, Place, and Gender. Minneapolis: University of Minneapolis Press; 1994.

McDowell, Linda. Gender, Identity and Place: Understanding Feminist Geographies. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1999.

Miraftab, Faranak (1994) '(Re)Production at Home: Reconceptualising Home and Family', Journal of Family Issues, 15:3. 467-89.

Moghadam, Valentine (1999) 'Gender and Globalisation: Female Labour and Women's Mobilisation', Journal of World-Systems Research, 5:2, 298-314.

Morange, M. et Spire, A. (2019) « Le droit à la ville aux Suds. Appropriations et déclinaisons africaines », Cybergeo : European Journal of Geography. URL : http://journals.openedition.org/cybergeo/32166 ; DOI : https://doi.org/10.4000/cybergeo.32166

Myers, G. (2020) Rethinking Urbanism- Lessons from Postcolonialism and the Global South. Bristol : Bristol University Press

Nakha, Jana, Women as Space/Women in Space: Relocating our Bodies and Rewriting Gender in Space; Kohl: A Journal for Body and Gender Research Vol. 1, No. 1 (Summer 2015) pp15-24.
Negt O., L'espace public oppositionnel, trad. A. Neumann, Paris, Payot, 2007.
Nirmal Puwar, Making Space for South Asian Women: What Has Changed Since Feminist Review Issue 17? Feminist Review , Autumn, 2000, No. 66, Political Currents (Autumn, 2000), pp. 131-138.
Pawlowski , Merry ,VIRGINIA WOOLF›S VEIL: THE FEMINIST INTELLECTUAL AND THE ORGANIZATION OF PUBLIC SPACE, Modern Fiction Studies , Vol. 53, No. 4, pp. 722-751, Winter 2007.
Radcliffe, Sarah and Westwood, Sallie (eds) (1993) 'Viva': Women and Popular Protest in Latin America London: Routledge.
Suarsana, Laura, Heinz-Dieter Meyer, and Johannes Glückler, The Place of Civil Society in the Creation of Knowledge, in Johannes Glückler • Heinz-Dieter Meyer Laura Suarsana, Knowledge and Civil Society, Knowledge and Space Volume 17, Springer in 2006; pp1-19

Spain, Daphne, Gendered Spaces , The University of North Carolina Press ,1992.
-------------, Women›s Rights and Gendered Spaces in 1970s Boston, Frontiers: A Journal of Women Studies, Vol. 32, No. 1, Gender and the City: The Awful Being of Invisibility, pp. 152-178 Published by: University of Nebraska Press, 2011.
Sharp, J. P. (2009) Geographies of Postcolonialism. Spaces of Power and Representation. Londres : Sage.
Sternbach, Nancy Saporta, Marysa, Navarro-Aranguren ,Patricia Chuchryk and Sonia E. Alvarez, Feminisms in Latin America: From Bogotá to San Bernardo, Signs,Vol. 17, No. 2 (Winter, 1992), pp. 393-434 (42 pages)Published By: The University of Chicago Press.

Sawalha, Aseel, Gendered Space and Middle East Studies, Int. J. Middle East Stud. 46 ,2014.
Stathis G. Yeros ,Lesbian Feminism and Women's Spaces, in ,Queering Urbanism Book Subtitle: Insurgent Spaces in the Fight for Justice Published by: University of California Press. (2024) Stable URL: https://www.jstor.org/stable/jj.11589107.7
Tchaïcha Jane D. & Khedij a Arfaoui, Women and Leadership in the Post-Arab Spring: The Case of Tunisia | SpringerLink,2016.
--------------Tunisian women in the twenty first century: past achievements and present uncertainties in the wake of the Jasmine Revolution ,The Journal of North African Studies 2011, 1 - 24,
Tuan,Yi-Fu. Topophilia: A Study of Environmental Perceptions, Attitudes, and Values. Englewood Cliffs: Prentice-Hall. 1974.

--------------Space and Place: The Perspective of Experience. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977.
Velasco-Graciet, Hélène « Des frontières et des géographes », Géoconfluences, octobre 2008. https://geoconfluences.ens-lyon.fr/doc/typespace/frontier/FrontScient.htm
Wrede ,Theda: Rocky Mountain Review , Vol. 69, No. 1, SPECIAL ISSUE: Theorizing Space and Gender in the 21st Century , pp. 10-17, 2015.
Wischermann, Ulla and Ilze Klavina Mueller Feminist Theories on the Separation of the Private and the Public: Looking Back, Looking Forward, in Women in German Yearbook, Vol. 20 (2004), pp. 184-197 Published by: University of Nebraska Press, 2004.
Ouvrage collectif, Les géographies féministes : des géographies engagées, au-delà du genre et des sexualités : Collectif de géographes féministes, Dans Fragments de GéoPresses universitaires de Vincennes, 2022.

أرزازي محمد، .سوسيولوجيا النوع الاجتماعي والفضاء العام داخل المجتمع الجزائري،مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، المجلد11، العدد2، 2021-12-28، صص 657-634.
 بن جنات, زهير, المرأة والفضاء العام : نتائج بحث موجه ، دار صامد للنشر والتوزيع. صفاقس - 2016
خليل ليلى، المرأة في الفضاء العام، مجلّة صور، 08 آذار 2022،
المرأة في الفضاء العام - مجلة صور (suwar-magazine.org)
مجلّة طيبة ،العدد، الخامس - النساء والفضاء الخاص، المكتبة النسوية العربية.

ملحق رقم1: أسئلة المقابلات

كيف تعرّفين نفسك؟
ما تعريفك للنسوية؟
ما دورالمعرفة النسوية في الالتزام بالعمل النشاطي الحقوقي؟
ما هي الفضاءات التي ساعدتك على صياغة مواقف حقوقية وممارسات نسوية فضلى ؟
هل وفّرت الأطر النسوية المختلفة فضاء آمنا ومشجعا على العمل الجماعي والممارسات الديمقراطية وتحقيق المساواة والعدالة الجندرية؟
هل تعتبرين أنّ تشريك الرجال وأصحاب الهويات اللامعيارية مهم في الحركة النسوية التونسي؟
هل تشعرين بصدام الأجيال النسوية؟ وفيم يتجلّى؟
لماذا لم تستطع النسويات المختلفات من حيث الانتماء والسنّ والتصورات الجلوس على نفس الطاولة والتحاور حول العمل الجماعي وتحقيق المساواة والعدالة والكرامة؟
ما هو النقد الذاتي الموجه إلى الحركة النسوية التونسية؟
هل تعتبرين انّنا دخلنا مرحلة الموجة الرابعة ؟ وما هو تعريفك لها؟

ملحق رقم2

دليل المجموعات البؤريّة

التاريخ ....
رقم المجموعة البؤريّة ....

المحور الأوّل:تعريف النسوية و دوافع الانخراط صلب الحراك النسوي
-1شنوه تعرف على تاريخ الحركة النسائية/ النسوية في تونس؟
-2شنوه تعريفك للنسوية؟
-3كيفاش تكوّن وعيكنّ النسوي؟
-4كيفاش كانت تجربة الانخراط صلب الحراك/المجموعات النسويّة؟
-5شنيّة كانت أهدافكنّ وانتظاراتكنّ من الالتحاق بالحراك النسوي؟
المحور الثاني: خصوصيّة النشاط صلب المجموعات النسويّة
شنيه أبرز الأنشطة إلي تقوموا بيها كنسويّات داخل الفضاءات النسويّة؟
ما الذي يميّز نشاطكنّ كمجموعة نسويّة/ جمعيّة عن البقيّة؟
ما هي طبيعة العلاقات داخل الأمكنة النسوية؟
المحور الثالث: خصوصيّة الفضاء النسوي:
ما هي الفضاءات الي تعتبروها نسويّة؟
ما الذي يعنيه لكنّ/كم الفضاء النسوي؟
هل تعتبر الفضاءات الجامعية فضاءات لتلقّي معرفة نسوية ووعي نسوي؟
حسب رأيكنّ/كم كيفاش نجموا نأسسوا فضاء نسوي؟ وماهي أبرز المقوّمات والخصائص ؟
المحور الرابع: وظائف الأمكنة النسوي،
-1ماذا قدّمت الفضاءات النسويّة لقضايا النساء ولاهتماماتهنّ على اختلاف مشاربهنّ؟
-2ماهي الممارسات الإيجابيّة إلي حرصت النسويات على ترسيخها؟
-3كيفاش يمكن المحافظة على استمرارها وتعزيزها؟

المحور الخامس: تقييم الفضاءات النسوية والنشاط النسوي:
كيفاش نجمو نقيموا مردوديّة العمل النسوي وآثاره على أرض الواقع؟
شنوه الحاجات إلي لازم نطوروها كنسويّات فيما يتعلّق بأدائنا ونشاطنا النسوي وفضاءنا؟
-3ماهي الممارسات داخل الفضاءات النسوية والمواقف إلّي تعتبروها عائق في سبيل نشر ثقافة الحقوق والمساواة وتكريس القيم النسوية ؟
-4ما هي الحلول الي تقدموها حتى نتجاوزوا العقبات والممارسات السلبية؟.
المحور السادس: الطموحات والآمال
-1شنيه تصوّرك للمكان النسويّ الأمثل؟
-2كيفاش نبنيو فضاء ملبّي لحاجات النسويات وداعم لمعرفتهم ووعيهم؟
-3شنيه توصياتك للجيل الجديد/للجيل القديم/للجيل التي تنتميلو؟

ملحق عدد3 :أنموذج الموافقة

مشروع البحث...
إسم الباحث/ة..
لفائدة..
موافقة المشارك/ة
أنا السيد/ة .... أوافق على المشاركة في مشروع البحث الموسوم» عنوان المش روع..............» الذي يُجريه الباحث/ة(ون) (اسم الباحث) الذين أخبروني عن ملامح مشروع البحث.
وقد قرأت الوثيقة بعد أن شُرح لي محتواها وغايتها واحتفظت بنسخة منها -1مشاركتي هي طوعية
وأقبل ذكر اسمي ولقبي ..../ لا أقبل ....
واختار ذكر حرفين ....أو وضع هذا الاسم ....
-أقبل تضمين شواهد من إجاباتي أو جزءا منها في البحث/الدراسة...........نعم .... لا...............
-من حقّي أن اطلب الاطلاع على الشواهد التي ضمنت في الدراسة/البحث قبل نشر نتائج البحث والتقارير
-لي الحقّ في سحب مشاركتي في الدراسة في أي وقت دون أي تبعات شريطة أن لا تتجاوز المدّة شهرا من تاريخ إجراء المقابلة.
-أدرك الاجراءات التي اتخذت من المشرفين على الدراسة/البحث/ المشروع لتقليل أي مخاطر محتملة أو أذى محتمل نتيجة لمشاركتي في مشروع البحث(سرية معلوماتي الشخصية في حالة تنصيصي على حجب هويتي، عدم إفشاء ما تم التصريح به لأي جهة، إتلاف التسجيل الصوتي أو الصور......)
بالإضافة إلى ذلك، أوافق على:
-التسجيل الصوتي الكامل لتدخلاتي............نعم...............................لا.............................
-أخذ الصور أثناء إجراء المقابلة.............نعم ....لا أوافق.............
-نشر نتائج هذه الدراسة وذكر اسمي وتضمين أقوالي ....أو على شرط أن لا يتم الكشف عن هويتي.
الاسم واللقب...
التوقيع:
التاريخ:

أصوات نساء
ASWAT NISSA

دراسة لفائدة جمعية "أصوات نساء"